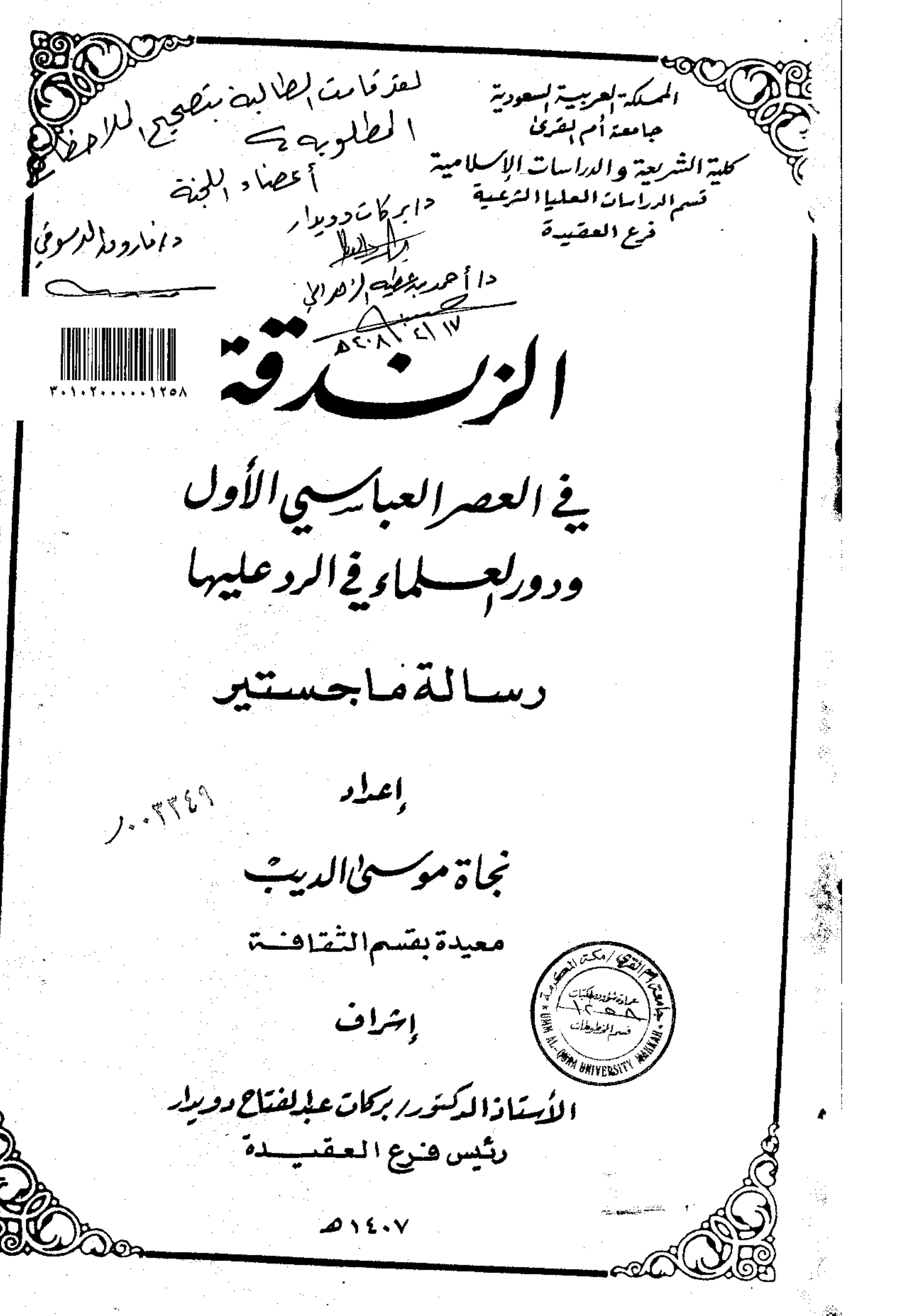


المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الزندقة

في العصر العباسي الأول ودور العلماء في الرد عليها

رسالة ماجستير

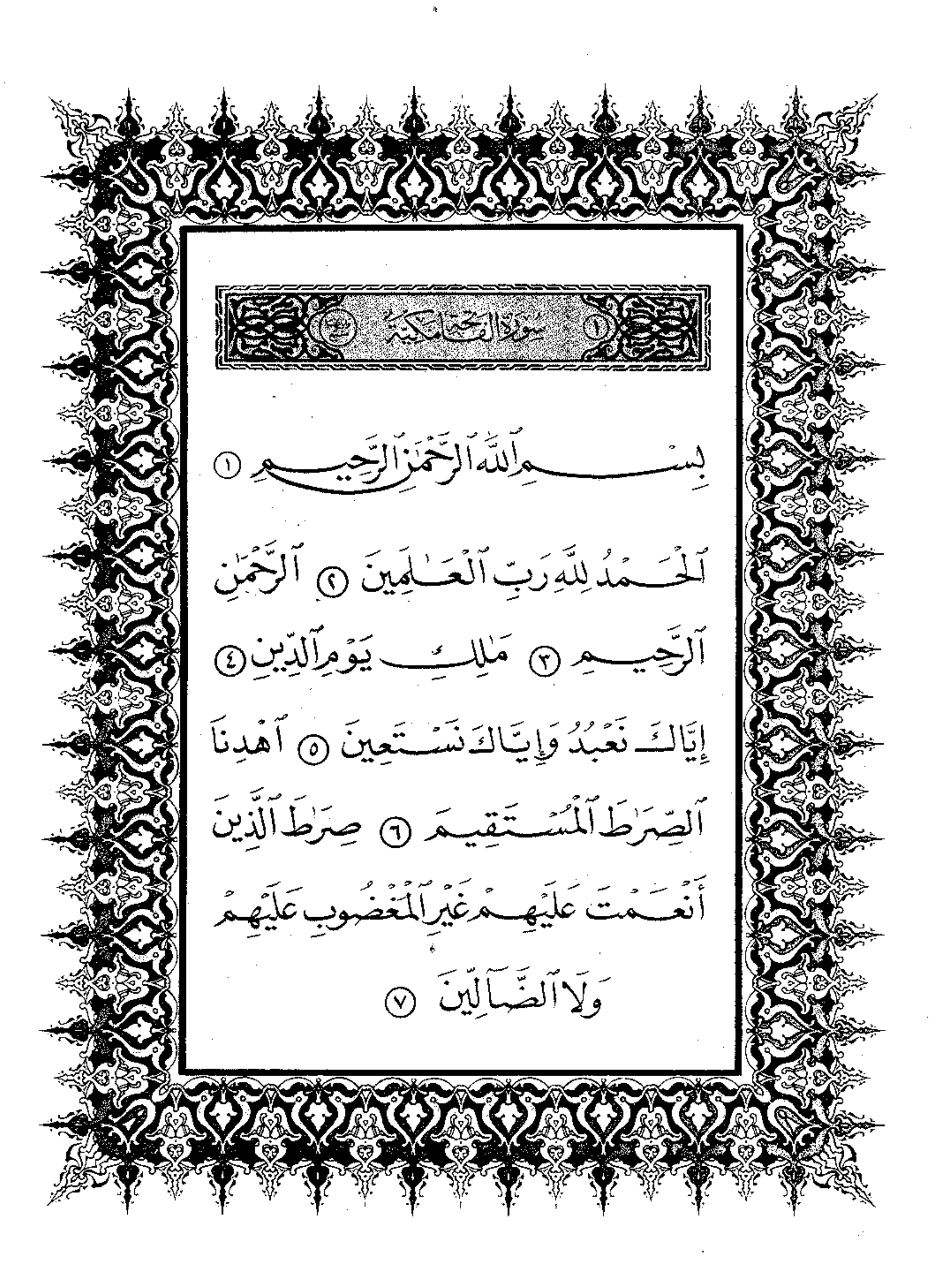
إعداد

نجاة موسى الديب
معيدة بقسم الثقافة

إشراف

الأستاذ الدكتور / بركات عبدالفتاح دويدار
رئيس فرع العقيدة

١٤٠٧هـ



سُورَةُ الفَاتِحَةِ ١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

المقدّمة

بسم الله .. والحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين .. هاديا الى الحق المبين ، بشيراً ونذيراً . وبعد :

خلق الله آدم وأهبطه الى الأرض خليفة ، ولم يتركه بلا عناية وهدى ، بل تعهده برحمته وهداه .

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ (١)

وشاءت ارادة الله أن يكون الانسان دائما فى محل اختبار وابتلاء فجعل معه ابليس وجنوده يزينون له المنكرات والضلالات ويصرفونه عن هدى الله ويترصدون له ليخرجوه من النور الى الظلمات

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا (٢)

وتوالت رسل الله على البشرية ، لتعيدها الى عقيدة التوحيد وهدى الله المبين كلما ضلت طريقها واتبعت شياطين الانس والجن

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ (٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨ .
(٢) سورة فاطر آية ٦ .
(٣) سورة يونس آية ٤٧ .

وكلما مضى العهد بالرسالة انتكست الأمة وحرّفت كلمات الله وزاغت عن هداه ، حتى جاء عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين والعالم أجمع غريق فى أوحال الشرك والضلالات والعبودية للشيطان . وتحكمت الوثنيات فى عقول الناس ورقابهم ، وعمت الفوضى والمظالم أرجاء العالم تتحكم فى حضارات وثنيه ضاله طاغيه من فارسية أو هنديه أو يونانيه أو رومانيه

وجاءت الرسالة الخاتمة لتنقذ البشرية من ظلمة الشرك والوثنيات الى نور التوحيد ، ومن ظلم الانسان لأخيه الانسان الى عدل الله الرحمن ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة . وجاء محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرج - بالأسلام - الناس من الظلمات الى النور.

ولما كان القرآن الكريم آخر كتب الله الى الناس كافة فقد تكفل الله - وله الحمد والشكر - بحفظ كتابه من النقص والتحريف ، حتى تظل كلمة الله دائماً وأبداً ناصعة تامة بعيدة عن عبث العابثين ومكر الشياطين والضالين .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ (١)

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

وكما تكفل الله بحفظه ، فقد تكفل - جلت قدرته - باعلاء كلمته ونشر دينه واظهاره ، قال تعالى :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ (١)

وقال تعالى :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ (٢)

وهكذا تمت نعمة الله علينا وعلى الناس ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا (٣)

وهكذا أخذ الاسلام بما يتضمنه من عقيدة صحيحة سامية ، ومبادىء عليا ، وتشريع عادل ، وأخلاق فاضلة ، ورجال مؤمنين صادقين ، ينتشر فى أرجاء الدنيا ، محطما الوثنيات والامبراطوريات الساقطة التى أخذت تهوى أمامه وتنهار بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ولكن اقتضت سنة الله أن يكون هناك كافرون كما ان هناك مؤمنين . وأن يكون هناك منافقون كما أن هناك مخلصين

---

(١) سورة الصف آية ٩ .
(٢) سورة الفتح آية ٢٨ .
(٣) سورة المائدة آية ٣ .

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١)

وليدور الصراع بين الحق والباطل ليميز الله الخبيث من الطيب

وكما قال تعالى :

وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ (٢)

وهكذا ترصد لهذا الدين وأهله أعداؤه من كل ملة وضلالة من يهود ونصارى ومجوس ومشركين .. كافرين ومنافقين ، يكيدون له ويمكرون بأهله ويحاولون صرف المؤمنين عنه كما قال تعالى :

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ (٣)

وقال تعالى :

وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا (٤)

وقال تعالى :

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥)

---

(١) سورة هود آية ١١٨ .
(٢) سورة محمد آية ٤ .
(٣) سورة البقرة آية ١٢٠ .
(٤) سورة البقرة آية ٢١٧ .
(٥) سورة البقرة آية ١٠٩ .

ولقد تنوعت وسائل الحرب ضد الاسلام وتعددت فكما كانت بالقتال والحروب كما حدث فى حرب الردة وغيرها ، فقد تفننوا فى صنع المكائد والتآمر على المجتمع الاسلامى كما حدث فى واقعة مسجد الضرار وما حاوله اليهود من احداث وقيعة بين الأوس والخزرج حتى همت الطائفتان أن يحملوا السلاح وفى ذلك قول الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ (١)

ومنها اظهار الايمان أول النهار وهم يبطنون الكفر ثم الرجوع الى كفرهم آخر النهار آملين أن يتأثر حديثوا الايمان بهم وما يحدثه ذلك من بلبلة فى نفوسهم ، قال تعالى :

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ (٢)

وما زالت تلك المكائد والمؤامرات والفتن تتوالى وتتنوع حتى كان العصر العباسى ، حيث كانت قد اتسعت الفتوحات الاسلامية وضمت الدولة الاسلامية شعوبا واجناسا متعددة ، كانت لهم دولة امبراطوريات وعقائد ومذاهب وثنية شتى . فمنهم من هدى الله

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ٧٢ .

وتفتح قلبه لنور القرآن وهداه . ومنهم من كان على عينه غشاوة وختم على قلبه وسمعه فصرف عن الحق وظل على ضلاله وكفره وان أظهر الاسلام نفاقا . وهؤلاء امتلأت قلوبهم حسدا وحقدا على الاسلام والمسلمين يتربصون بهم الدوائر ويتحينون الفرص للانقضاض عليهم .

وفي العصر العباسي الأول -١٣٢ - ٢١٨ - بدأت الدولة الاسلامية عصر انفتاح على الثقافات المجاورة ونشطت حركة الترجمة من لغات هذه الثقافات الى اللغة العربية ، كما زاد اعتماد العباسيين على غير العرب خاصة الفرس . وهنا وجد الحاقدون على الاسلام الثغرة التي ينفذون منها لتحقيق أهدافهم في هدم الاسلام وتشويه العقائد وهدم الأخلاق والمبادىء الاسلامية وصولاً لما كانوا يأملون من هدم المجتمع والقضاء على الاسلام . ومن أبرز مكائدهم ماعرف في التاريخ الاسلامي (بحركات الزندقه) .

وتعتبر الزندقة وحركات الزنادقة - وهي موضوع رسالتي هذه - من أخطر ما واجهه الاسلام والمسلمون . ولولا أن الله قد تكفل بحفظ دينه وكتابه لأصيب الاسلام بما أصيبت به الرسالات من التحريف والتغيير . ولكن الله - وله الحمد والشكر - حفظ دينه وكتابه وقيض للدفاع عنه والذود عنه رجالا مؤمنين صادقين من الخلفاء والأمراء والعلماء ، دافعوا عن دين الله لتظل عقيدة

التوحيد صافية نقيّة ولتظل بين يدى الناس كلمات الله بلا تبديل أو تأويل أو تحريف وليبقى الاسلام هدى ونوراً للبشرية جمعاء الى أن تقوم الساعة ان شاء الله . فردوا كيد الزنادقة فى نحورهم وردوا شبهاتهم وبينوا زيغهم وزيف ضلالاتهم فالقموهم الحجر وأخرسوا ألسنتهم وأحبطوا مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال .

وفى هذه الرسالة التى أتقدم بها هذا اليوم بيان لحركات الزندقة ومصادرها وما قام به العلماء من جهود طيبه لمجابهتها والرد عليها وتتبعها حتى القضاء عليها . وفى بيان ماقام به العلماء من جهود وهمة وحماس ، قدوة لنا ، فهى صورة مشرفة يجب أن تحتذى دائماً فى الصراع ضد الباطل .

والباحث فى موضوع الزندقة غالباً ما يجدنفسه يخوض فى بحر عباب ، فهو موضوع متشعب الجوانب كثير المباحث متعدد المراجع. وهذا ما وجدت نفسى أمامه وكان علىّ - مستعينة بتوفيق الله - أن أخوضه وأن أطوف بمراجعه العديدة . فالموضوع تتناوله كتب التاريخ ومراجعه كما تتعرض له كتب الفرق والحركات الهدامة ومراجع العقائد وكتب الفلسفة . وكان علىّ أن أجمع معظم تلك المراجع وأدرس مافيها لجمع مادة بحثى هذا . والتجأت كذلك للمكتبات الكبرى فى المملكة وخارجها ، مثل مكتبات جامعة

أم القرى وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وجامعة الملك سعود بالرياض وجامعة القاهرة ومكتبة جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة . وبقدر ماكانت تلك الجولات العلمية بين المكتبات والكتب مضنية مرهقة ، الا أنها كانت متعة بما تقدمه من حقائق ومعارف وما تصوره من مواقف وأحداث . وقد أفادتني هذه المراجع الكثيرة المتعددة في الالمام الشامل بموضوع بحثي والاحاطة بجوانبه المتعددة كما سيأتي بيانه .

ويشتمل بحثي على تمهيد وثلاثة أبواب.

أما التمهيد فقد تناولت فيه معنى الزندقة في معاجم اللغة وكذلك معناها كما وردت في كتب المصطلحات ، وما ورد فيها من معاني مختلفة للزندقة ، وخلصت من هذا العرض الى أن لفظ الزندقة قد اتسع ليشمل كل ملحد حتى هؤلاء الذين كان مصدر الحادهم غير فارسي ويتركز هذا البحث على الزنادقة الذين اظهروا الاسلام وهم في باطنهم يوالون دينا آخر ويعملون على نصرته وهدم الاسلام . وكذلك ماكان منها طعنا في أساس الدين كالنبوة والقرآن وما تفرع عن ذلك كالقول بالاباحية ورفع التكاليف.

وأما الباب الأول فيتناول مصادر التأثير الأجنبي، ويشتمل على أربعة فصول . الفصل الأول يتحدث عن المصدر الفارسي والثاني



عن المصدر اليوناني ، والثالث عن المصدر الهندى ، أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه أثر تلك المصادر فى الزندقة .

وقد بدأت هذا الباب بتمهيد سريع تناولت فيه عوامل انتشار الزندقة في بعض البلاد الاسلامية دون البعض الآخر.

وفى الفصل الأول - وهو عن تأثيرات المصدر الفارسي - تحدثت عن زرادشت ونشأته وأثبت فى بحثى أن زرادشت هو حقيقة وأنه غير ابراهيم عليه السلام ولا يمكن أن يكون نبى بل أخذ من رسالات سماوية . كما تناولت الأساطير والقصص التى حيكت حوله وحول مولده وأحواله ومعجزاته المزعومة . وبعد ذلك تناولت بالتفصيل ماورد حول دعوته ومدى انتشارها ومذهبه في الوحدانية والثنوية والنور والظلمة وعرضت لكتب زرادشت وأهمها (الابستاق) وبعد ذلك تناولت العبادات والشرائع والأخلاق الزرادشتيه وكذلك عقيدته فى اليوم الآخر ثم نهايته مقتولا فى بيت من بيوت النار .

ثم بعد ذلك تناولت (المانوية) ؛ فتحدثت عن نسبتها ونشأتها والاساطير التى حيكت حول مولد مانى ومدى تأثر المانوية بالديانات، فلقد وجدت أن المانوية تختلف باختلاف المناطق أو باختلاف الديانات التى تجاورها . وعرضت لبعض أسماء الكتب والرسائل التى تنسب الى مانى . ثم بعد ذلك تحدثت عن بداية دعوته ومدى انتشارها .

وتناولت جانب العقيدة عند مانى وكيف تظهر - في البداية - الدعوة الى الفضيلة الصارمة والعفه والزهد حتى تتمكن من السذج من معتنقيها فتوصلهم الى حقيقتها المستورة فى الدعوة الى الاباحية والكفر . وبينت عقيدته فى أصل العالم والقول بالنور والظلمة وما فرضه على أتباعه من شرائع ضالة مضلّة . كما عرضت رأيه وعقيدته فى بيان الخلق ونهايته وعقيدته فى المعاد ثم نهايته مقتولا .

وبعد ذلك تحدثت عن المزدكية نسبة الى مؤسسها مزدك . وعقيدته فى الأصليين : النور والظلمة . ومدى الاتفاق والاختلاف بين المزدكية والمانوية فى ذلك . وتناولت ماتدعو اليه المزدكية من القول بالحلول والتحلل واباحتها للأعراض والأموال . وناقشت ما يدعيه البعض من أن مزدك يدعو الى نوع ما من العدالة الاجتماعية كما توهمها وبينت فساد هذا الرأى وأن عكسه هو الصحيح اذ أن دعوته تؤدى حتما الى تخريب الحياة الاجتماعية وبينت الآثار السيئة والمدمرة لدعوته على العالم الاسلامى فى ذلك العصر بسبب دعوته ، خاصه دعوته الى الاباحية . وبعد ذلك تحدثت عن نهاية مزدك مقتولا كسابقيه ثم ذكرت الفرق المزدكية بعده .

وفى الفصل الثانى من الباب الأول تحدثت عن المصدر اليونانى المؤثر فى الزندقة وحركاتها .

وفى التمهيد لهذا الفصل تحدثت باختصار شديد عن بعض ملامح الفلسفة اليونانية ومدارسها ،من السفسطائيين الى سقراط الى أفلاطون الى أرسطو ، وآرائهم فى الكون والنفس والاله وما جاءت به الأفلوطينيه الحديثه وزعيمها أفلوطين من وثنيات قامت مع سابقتها من الفلسفة اليونانيه بدور بالغ الخطورة فى زعزعة العقيدة وفسادها عند كثير من المسلمين .

وبعد هذا التمهيد تحدثت عن الاختلاف بين الفلسفة اليونانية والاسلام وتعارضهما . كما تناولت بالحديث عوامل انتقال الفلسفة الى العالم الاسلامى ، ثم انتشار الفلسفة فى العالم الاسلامى والعوامل التى ساعدت على هذا الانتشار ومراحله وما قامت به الترجمة والمترجمون من دور بالغ الأهمية فى التعريف بهذه الفلسفة ونشرها .

أما **الفصل الثالث** من الباب الأول فقد تحدثت فيه عن المصدر الهندى .

وتحدثت في هذا الفصل عن البرهمانية ؛ نسبتها ونشأتها واخلاق البراهمان ودعوته والتي تحدث عنها الشهرستاني فحددها فيما يلي : الكائن الالهي - مقابلة الاساءة بالاحسان - القناعة - الاستقامة - الطهارة - كبح جماح الحواس - معرفة الفيدا (وهي الوصايا العشر للدين البرهمي) - الصبر - الصدق - اجتناب الغضب .

كما تحدثت عن اختلاف الطبقات ومراتبها الأربع في البرهمية وتعليل العلماء وتحليلهم لعوامل هذه الطبقية ، بين الدوافع الكهنوتية والعصبيات العنصرية ، ومدى ما تتمتع به طبقة الكهنة من سلطات ومميزات وما تعانيه طبقة المنبوذين من هوان في ظل العقائد المسيطرة على المجتمع الهندي .

ثم تناولت بعد ذلك الكتب المقدسة عند البراهمانية ثم انتقلت بعد ذلك الى مذهب آخر ألا وهو (البوذيه) فعرفت البوذيه ومعنى كلمة (بوذا) وهل هي اسم علم على شخص معين أم هي لقب ديني . ثم تحدثت عن بوذا ودعوته وانتشارها وأهم التعاليم التي دعا اليها بوذا .

ثم سلطت الضوء بعد ذلك على عدد من عقائد الهند والتي كان لها تأثيرات بالغة في حركات الزندقة والأفكار الهدامة والمنحرفة في المجتمع الاسلامي .

فتحدثت أولا عن القول بالحلول عندهم ثم عن عقيدتهم في وحدة الوجود وبينت الفرق بينهما . وبعد ذلك تحدثت عن قولهم بالتناسخ الذى يعتبر علم النحله الهندية التي تؤمن بعدم فناء الروح بل تتردد في الأجسام وتتقمصها سواء في جسد انسان أو حيوان على حسب ما قدمت الروح من أعمال .

وتبينت من الدراسة كيف كانت عقيدة الهند توحيديه في البداية ثم تدهورت حتى قالوا بالحلول ووحدة الوجود والتناسخ بل وتطورت الى عقيدة التثليث .

ثم انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن عقيدة البراهمة في انكار النبوات والاكتفاء بالعقل وحده في ادراك المعقول والمقبول .

وفي الفصل الرابع من الباب الأول تحدثت عن أثر هذه المصادر الأجنبية في الزندقة . ولقد بينت في هذا الفصل أثر العقائد والأفكار الأجنبية فارسيه ويونانيه وهنذية على العالم الاسلامى وما أصيب به من حركات ومعتقدات هدّامه خارجة عن الاسلام . وكيف استغلت العناصر المتربصة بالاسلام والمسلمين تلك الأفكار الضالة لتفسد بها عقائد المسلمين وتحطم مجتمعهم . ومما يؤسف له أن البعض من أهل الأهواء واعداء الأسلام اتخذوا التشيع

وسيلة يتوصلون بها الى تحقيق أهدافهم وغاياتهم والوصول الى مآربهم فكان من نتيجة ذلك ظهور الثورات والفتن ، حتى أصبح التشيع ستارا لكثير من الفرق الضالة التى كان أول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الاسلام . وبينت كيف تأثرت بعض فرق الشيعة كالاسماعيلية بمذاهب الفرس وقولهم بالاصلين النور والظلمة وغير ذلك من مبادىء باطله وأفكار ضالة كالاباحيه وتألية الامام وانكار ما بعد الموت . كما بينت مواطن تأثرهم باليهود والنصارى كقولهم مثل اليهود (لن تمسنا النار الّا أياما معدودة) ومثل قولهم بتقديس الأمام ونسبته الى اللـه كما قال النصارى فى المسيح . وقد يرد سؤال؛ لماذا لم تعقدى فصلاً خاصاً باليهودية والنصرانية كمصدر تأثير كما عقدت فصلا لكل من المصدر الفارسى والهندى واليونانى ؟ والجواب على ذلك أن اليهودية والنصرانية هما ديانتان سماويتان فى أصلهما ولكن الفساد الذى دخل عليهما كان من تلك المصادر التى دخل منها الفساد على بعض المسلمين . وتأثرهم كذلك بالحلول والتناسخ وظهور جماعات خارجة كالمانويه والديصانيه تحطها الى العالم الاسلامى بقايا فارسية .

ثم تناولت الأثر الدينى لتلك المصادر متمثلا فيما حدث من تأويل كلام اللـه على غير معناه حتى يوافق أهواءهم . واتخذوا من ذلك التأويل وسيلة للطعن فى القرآن والادعاء بهتانا بأن بعضه

يناقض بعضه ويعارضه . ويتمثل ذلك أيضا في وضعهم للأحاديث كذبا وزورا ، وبينت مافي هذه الموضوعات من آثار تلك الفلسفات الأجنبية مثل قولهم (وأول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ...) والصبغة الأجنبية واضحة عليه . كما يظهر الأثر الديني كذلك في بعض المسائل التي تناولها علماء الكلام في مباحث علم الكلام والرد على الدهرية والمعطلة وغيرهم .

ثم تناولت بعد ذلك أثر المصدرين اليوناني والهندي في التصوف وما ورد فيه من قول بالحلول ووحدة الوجود وطلب الفناء والتناسخ وضربت أمثلة على ما ورد في ذلك من عقائد وأفكار بعيدة عن الاسلام بل متناقضة معه ومستمدة من هذه المصادر الهندية والفارسية واليونانية .

ثم تناولت بعد ذلك الأثر الاجتماعي لتلك المبادىء والأفكار المعادية للاسلام من انتشار الأباحية والغدر والخيانة وفساد الأخلاق والمجون ، وعددت بعضاً ممن اشتهر بالمجون من الشعراء الزنادقة وعرضت لبعض العوامل التي ساعدت على انتشار اللهو والمجون في المجتمع كاضطراب الحياة السياسية ووجود العناصر الأجنبية ، وخاصة الفارسية ، في المجتمع بتقاليدها الموروثه وعاداتها الاجتماعية . ومنها كذلك الارستقراطيه العربية وثراؤها الفاحش واستباحة الموسيقى والغناء والنبيذ .

ولقد تطور تيار الانحراف والزندقه من كونه قضايا فكرية عقائديه الى حركات ثوريه مقاتله تهدف الى الاطاحة بالاسلام والمسلمين مثل حركات : الراونديه والمقنعية والخرمية . وهذه هى موضوعنا فى الباب الثانى .

الباب الثانى

وتناولت فيه حركات الزنادقة ضد الدولة الاسلامية . وهو يشتمل على ثلاثة فصول . الفصل الأول عن الراونديةً والثانى عن المقنعيةً والثالث عن الخرميةً .

وقد قدمت لهذا الباب بتمهيدين . الأول عن أثر اليهود وتأثيرهم فى فارس والعراق ودورهم فى بث العقائد الفاسدة وتحريك الحاقدين والمتآمرين للعمل ضد الأمة الاسلامية وتحطيم المجتمع الاسلامى ، أما التمهيد الثانى فقد بينت فيه حقيقة من يكيدون للاسلام وطبيعتهم فهم إمّا منافقون تظاهروا بالاسلام ومازالت قلوبهم متعلقة بأديانهم القديمة وانتهزوا الفرصة للانقضاض على الدولة الاسلامية مدفوعين بدوافع دينيه الحاديه أو قوميه سياسية . واما من المغرر بهم ضعاف الايمان والعقول من الذين لمّا يدخل الايمان فى قلوبهم .

وفى الفصل الأول من هذا الباب الثانى تحدثت عن الراونديه فبينت عقيدتهم وكيف أنهم جعلوا الامامة فى العباس بن عبد المطلب وغالوا فى الأمامة حتى قالوا بالحلول فى الأئمة، بل وقالوا كما قالت الهند من قبل بالتناسخ .

وتناولت حركة الراونديه وفشلها والعوامل التى أدت وساعدت على فشلها .

وفى الفصل الثانى تناولت حركة (المقنعيّة) وهى تعتبر من أخطر حركات الزنادقة فى العصر العباسى الأول فتحدثت عن المقنع الخرسانى وأصله وعقائده وادعائه الربوبية عن طريق التناسخ ، وابطال التكاليف . ونادى بشيوعية مزدك فى الأموال والنساء . كما تناولت حيله ومخاريقه ومعرفته بالسحر للسيطرة على أتباعه وكسب ثقتهم وطاعتهم له . وعرضت بعضاً من تلك الحيل الخادعة .

ثم تحدثت بعد ذلك عن حركتهم وثوراتهم وما قاموا به من قلاقل واضطرابات ثم نهايتهم وفشل حركتهم .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن (الخرمية) وعرضت لأقوال العلماء فى أصل كلمة الخرميه وكذلك فى المعاجم ودائرة المعارف الاسلامية . ثم تحدثت عن أصلهم وان أصل مصدرهم المزدكيه . ثم تناولت بالحديث فروع الخرميه وقول العلماء ومؤرخى الفرق فى ذلك .

بعد ذلك تحدثت عن عقائد الخرمية وكيف أن بابك قد ادعى الألوهيه هذا بالاضافه الى قولهم بالرجعة والتناسخ وتعظيمهم لأبى مسلم وتبركهم بالخمور ، وقولهم بالاثنينيه (النور والظلمة) والاباحية وغير ذلك من الضلالات .

ثم عرضت لحركاتهم وأماكنهم . وتحدثت عن الحركة البابكيه الخرميه والتى انتهت بقتل المعتصم لبابك بعد حروب طاحنه وبذلك فشلت حركته كما فشلت سابقتها .

الباب الثالث

وفى هذا الباب تحدثت عن دور العلماء فى الرد على الزنادقه فى العصر العباسى الأول . وقبل أن أعرض لمباحث هذا الباب ومافيه من أحداث ووقائع وما ورد فيه من صور للجهاد الرائع سواء بالكلمة والحجة والفكر ، أو بالقوة والسيف ، أود - قبل أن أعرض لهذا - أن أركز على حقيقتين هامتين فى هذا الصراع .. أولاهما أنه - أى الصراع ضد الزنادقه ودور العلماء فيه - يعبر أصدق تعبير عن واقع المقوله الصادقه (ان العلماء ورثة الأنبياء) و (ان الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، بل ورثوا العلم) وبذلك ظل وسيظل ان شاء الله دور الأنبياء فى احقاق الحق واظهاره .. وكشف الباطل وازهاقه ، سيظل هذا الدور بعون الله دائما ومستمرا على أيدى علماء الاسلام المخلصين .

والحقيقة الثانية التي أود أن أبرزها هنا أيضا ، هي أن الدولة العباسية كانت مصطبغة بالصبغة الاسلامية - اذا استثنينا ما صدر من بعضهم كما كان من المأمون وغيره في تشجيع القول بخلق القرآن وتشجيع ترجمة كتب الفلسفة - ولذا رأى الخلفاء أنفسهم مندوبين للدفاع عن الدين ورأوا أن من واجبهم القضاء على الزنادقة ، ولقد قاموا بواجبهم في هذا المجال سواء على مستوى الصراع بالحجة والعلم أو بتجييش الجيوش لمقاتلة الزنادقة . ولذلك فقد أدرجت الخلفاء - من هذه الزاوية - في سلك المدافعين عن الدين ضد أعدائه .

وقد بدأت هذا الباب الثالث بتمهيد تحدثت فيه في عجالة عن الزنادقه وبواعثهم الباطنيه في الضلال والانحلال وانغماسهم في أوحال الملذات والشهوات ، وموقف العلماء والخلفاء منهم وجهادهم ضدهم على اختلاف مذاهبهم . وبينت كيف أنه كلما ظهر الايمان والاسلام كانت السنه وأهلها أعز وأقوى وكلما ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع والضلالات ، وانعكاس ذلك على عهود خلفاء بني العباس.

وفي الفصل الأول من الباب الثالث ، وهو عن الخلفاء بدأت حديثي عن الزنادقة ومقاومتهم في عهد الخليفة (المنصور) وبينت كيف أنه لم يهمل أمرهم على الرغم من هوان أمرهم في

عهده وضعف نشاطهم ، ومن ذلك مافعله مع ابن المقفع وقتاله لأبى مسلم الخرسانى وقضائه عليه وقضائه على الحركة (البيهافريدية) أتباع أبى مسلم وغير ذلك من حركات الزنادقة فى عهده كالراونديه وغيرهم .

ثم تحدثت عن جهاد (المهدى) ضدهم وحزمه وبأسه فى القضاء عليهم وحماسه فى تتبعهم فى كل مكان لدرجة أنه أنشأ لهم دائرة خاصة تعنى بالبحث عنهم والقبض عليهم ومحاكمتهم فجعل لهم ديوانا خاصا وجعل على رأسه (عمر الكلواذى) الذى سمى بصاحب الزنادقة وساعده فى مهمته كبار رجالات العرب المخلصين وعرضت نماذجا لهذا الصراع فى عهد المهدى ، وكيف أنه - أى المهدى - لم يكتف بهذه المقاومه المسلحة لقتال الزنادقة وتتبعهم ومحاكمتهم بل أنشأ هيئة علمية لمناظرتهم وتأليف الكتب فى الرد عليهم واقامة الحجة والبرهان ضدهم .

ثم تحدثت بعد ذلك عن مقاومة الزندقة والزنادقة فى عهد (الهادى) الذى اشتد فى مقاومتهم تنفيذا لوصية والده (المهدى) وقد كان يقول (والله لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك فيها عينا تطرف) .

ثم انتقلت بعد ذلك للحديث عن أعمال (الرشيد) وجهاده ضد الزنادقة وشدته فى مقاومتهم لدرجة أنه سجن أحد أعمامه

ظنا منه أنه متأثر بكلامهم ولم يطلق سراحه الا بعد أن تأكد من سلامة معتقده .

وتحدثت بعد ذلك عن موقف المأمون ، وهنا بينت موقفه الايجابى فى حربه للزنادقة وعقد المجالس للمناظرة التى عمت حتى أصبحت المساجد تعج بالمناظرات التى تقام فيها لتطهير الاعتقاد وتصحيح العقيدة بالحجة الدامغة والعلم الصحيح ، لدرجة أن المأمون كان يقوم بمناظرة أفراد الزنادقة بنفسه . الا أن هناك للمأمون جانبا سلبيا والمتمثل فى نزوعه للفكر الأجنبى حتى ظهرت الجهمية والرافضة وغيرهم .

كما تحدثت أيضا عن استعانة المأمون بكبار العلماء والفقهاء لحماية الدين من الزنادقة . وضربت مثلا لتلك المناظرات بمناظره المأمون للمرتد الخرسانى .

ثم انتقلت بعد ذلك الى عهد المعتصم وحربه لبابك الخرمى وعرضت أيضا لحادثة كبرى حدثت فى عهده وهى محاكمته (للأفشين)

ومن هذا العرض السريع تبين لنا مدى اهتمام هؤلاء الخلفاء بمحاربة الزنادقة والقضاء عليهم .

كما عقدت مبحثا خاصا تحدثت فيه باختصار عن المقاومة الشعبية ضد الزنادقة والتى كان دافعها الغيرة على هذا الدين وحماية المجتمع من فسادهم وضربت أمثلة من ذلك ، كحركات خالد الدريش،

وسهل بن سلامة ، وأحمد بن نصر الخزاعى وغيرهم .

الفصل الثانى

وفى هذا الفصل الثانى من الباب الثالث تحدثت فيه عن العلماء ودورهم فى الدفاع عن الدين وصحة العقيدة ضد الزنادقة وضلالاتهم والحادهم .

ويتضمن هذا الفصل سبعة مباحث . المبحث الأول عن دورهم فى الرد على المشككين فى الربوبية القائلين بالطبيعة ، والمبحث الثانى فى ردهم على المشككين فى الربوبيه القائلين بالنور والظلمة والمبحث الثالث عن ردهم على القائلين بالحلول والاتحاد . أما المبحث الرابع فهو عن ردهم على منكرى النبوة والأديان . وأما المبحث الخامس فهو ردهم على الطاعنين فى القرآن والسنة .

تحدثت فيه عن ثلاثة مواضيع ، **أولها** : الرد على الطاعنين فى القرآن والسنة القائلين بالتناقض . **وثانيهما** الرد على القائلين بخلق القرآن وتناولت فيه ردود الكثير من العلماء وحججهم كابن تيمية وابن قتيبة والامام أحمد والحسن البصرى وايوب السختيانى ومالك ابن أنس والليث بن سعد وسفيان الثورى وأبى حنيفة والشافعى وغيرهم من الأئمة الأعلام والفقهاء الأجلاء .

وثالثها خصصته لمواجهة علماء الأمة للأحاديث الموضوعة وكشفها وفضح أقوال الزنادقة الذين اتخذوا من وضع الأحاديث المكذوبة

وسيلة خبيثة لطمس حقائق الدين والتلبيس على الناس واقناعهم بضلالاتهم . ويكفى لكى نتصور خطورة هذه الوسيلة اللئيمة الخبيثة أن نعرف أن واحداً فقط من الزنادقة أقر أمام المهدى بأنه وضع مائة ألف حديث ، كذبا وبهتانا . ومن هنا يتبين لنا جلال وعظمة الجهود الطيبة التى قام بها العلماء لكشف هذه الموضوعات والرد عليها وحماية الاسلام من شرورها .

وتناولت فى المبحث السادس ردهم على القائلين بالتناسخ . وأخيراً تناولت فى المبحث السابع ردهم على القائلين بالاباحية واسقاط التكاليف . وقد أوردت فى كل مبحث من هذه المباحث صوراً عديدةً لمجابهة العلماء لأقوال الزنادقة المنحرفة وضلالاتهم وشبههم والحادهم ، بالحجة الدامغة والمنطق السليم والرأى السديد . ولولا خوف الاطالة لعرضت بعضا مما جاء فى الرسالة من هذه الردود والحجج والمناظرات والتى يبدو منها كذب أقوال هؤلاء الزنادقة وواهى حجتهم وسوء طويتهم واعتمادهم على الخرافات والأوهام وسوء التأويل الذى لا يتفق مع منطق أو عقل أو لغة .

وكان على أن أبين فى نهاية هذا البحث موقف الشرع من الزنديق وأقوال العلماء فى قبول توبة الزنديق ، والفتوى فى قتل الزنديق .

وفى الختام ، وبعد هذا العرض السريع لموضوعات الرسالة وما ورد فيها من أبحاث ودراسات ، لأرجو الله أن أكون قد

وفقت فى اعطاء هذا الموضوع بعض حقه من الدراسة والبحث ،
فهو ولا شك موضوع هام فى تاريخ الاسلام والمسلمين ، وصورة
بالغة الخطورة والتأثير واجهه ويواجهه الاسلام من خبث مكائد
أعدائه ومحاولتهم الدائمة لصرف المسلمين عن دينهم ،عقيدة ..
وتشريعا .. وخلقا ومبادىء.

ولا يسعنى فى النهاية الا أن أتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى
أولا ، ثم الى معالى مدير جامعة أم القرى الدكتور
راشد الراجح،وسعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية د. صالح بن عبدالله
ابن حميد،وسعادة عميد كلية الدعوة واصول الدين د. عبد العزيز الحميدى،
وسعادة عميد مركز الدراسات الجامعية للبنات د.عدنان وزان، والى سعادة
وكيل كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الدكتور سليمان التويجرى
على ما أولونى به من عطف مدة دراستى وتحضيرى الرسالة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير الى أستاذى الدكتور بركات عبد الفتاح
دويدار . فقد كان لى نعم الناصح وخير موجه طوال مراحل
البحث المضنية وكان لاشرافه وتوجيهاته القيمة - منذ البداية
الى النهاية - أن اجتزت خضم هذا البحث المتشعب الروافد المتعدد
المَصَاب والذى كان علىّ لاجتيازه وسبر أغواره أن ألم بالعشرات
والعشرات من الكتب والمراجع .

كما يطيب لى أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتى الأفاضل الممتحنين أعضاء لجنة التحكيم

لتكرمهم بقبول مناقشة الرسالة ، وأدعو الله أن يحوز هذا البحث على اعجابهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

تمهيد

معنى الزندقة في معاجم اللغة :

* **جاء في الصحاح :**

الزنديق : (من الثنوية ، وهو معرّب ، والجمع الزنادقة .... والاسم الزندقة .)[1]

* **وجاء في لسان العرب :**

الزنديق : (القائل ببقاء الدهر ، فارسي ، معرّب وهو بالفارسية : زُندِكرَاى ، يقول بدوام بقاء الدهر ، والزندقة : الضيق ، وقيل الزنديق منه لأنه ضيّق على نفسه ....

وقال أحمد بن يحيى : ليس زنديق ولا فرزين من كلام العرب ، ثم قال : ولكن البياذقة : هم الرجّالة ، قال وليس في كلام العرب زنديق ، وانما تقول العرب رجل زندق وزَنْدَقي اذا كان شديد البخل ، فاذا أرادت العرب معنى ماتقوله العامة قالوا : ملحد ودهري ، فاذا أرادوا معنى السّن قالوا : دُهْرِي ، قال : وقال سيبويه الهاء في زنادقة وفرازِنة عوض من الياء في زنديق وفَرْزِين

---

(١) الجوهري - ج ١ - ص ١٤٨٩ .

وأصلـه الزناديـق .)[١]

* **أما المعجم الوسيط فانه يقول :**

الزندقه : (القول بأزليـة العالـم ، وأطلق على الزرادشتيه ، والمانويه وغيرهم من الثنويه وتوسع فيه فأطلق على كل شاك ، أو ضال ، أو ملحد).[٢]

* **معنى الزندقة فى كتب المصطلحات :**

يتحدث ابن قتيبه عن الزندقه باعتبارها دينا خاصا من أديان الفرس فيقول :

(كانت النصرانية فى ربيعه وغسان وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية فى حمير وبنى كنانة الحارث بن كعب وكنده ، وكانت المجوسيه فى تميم ، وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الحيرة[٣]).[٤]

ونرى الخياط المعتزلى[٥] يستعمل لفظ الزنادقة للدلالة على فرقة خاصة قرينة لليهود والنصارى ، فيقول :

---

(١) ابن منظور - ج ٢ - ص ٥١ .

(٢) مجمع اللغة العربية - ج ١ - ص ٤٠٣ .

(٣) الحيرة بالكسر ثم السكون ، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل ، والسدير فى وسط البرية التى بينها وبين الشام كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه (انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٢ - ص ٣٢٨) .

(٤) المعارف - ص ٦٢١ .

(٥) هو أبو الحسين بن أبوعمرو الخياط المتولى - توفى سنة ٣٠٠ هـ (انظر الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٧٦ .

قال ابن الراوندى : (وزعم ثمامه أن أكثر اليهود والنصارى ، والمجوس والزنادقة والدهرية يصيرون فى القيامة ترابا[١] ..)

أما المسعودى فانه يقول :

ان فى (أيام مانى ظهر اسم الزندقة الذى اليه أضيف الزنادقة ، وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن اسبيمان ... بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية ، وعمل له التفسير ، وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند ، وكان الزند بيانا لتأويل المتقدم المنزل ، وكان من أورد فى شريعتهم شيئا بخلاف المنزل الذى هو البستاه ، وعدل الى التأويل الذى هو الزند ، قالوا : هذا زند ، فأضافوه الى التأويل وانه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل ، فلما ان جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا : زنديق ، وعربوه ، والثنوية هم الزنادقة ، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم .)[٢]

* كما أن الخوارزمى يقول :

(المانويه وكانت المزدكية يسمون بذلك).[٣]

---

(١) الانتصار - ص ١٢٢ .

(٢) مروج الذهب - ج ١ - ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) مفاتيح العلوم - ص ٢٥ .

* أما السيد المرتضى فانه يرى أن الزنادقة : هم أعداء الأسلام الذين يظهرون الأسلام والدخول فى أهله ، ولكنهم فى الباطن يخفون الحقد عليه والكيد له ، (نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ، ويحقن باظهار شعاره والدخول فى جملة أهله ، دمه وماله زنادقة ملحدون ، وكفار مشركون ، فمنهم عز الأسلام وأهله أعظم وأغلظ ، لأنهم يدخلون فى الدين ، ويموهون على المستضعفين بجأش رابط ، ورأى جامع فعل من قد أمن الوحشة ، ووثق بالأنسه ، بما يظهره من لباس الدين ، الذى هو منه على الحقيقة عار).[1]

* ويقسم أبوحامد الغزالى الزندقة الى قسمين : مطلقة ومقيدة

الزندقة المطلقة : أطلقها على من أنكر أصل المعاد عقليا وحسيا وعلى من أنكر الصانع للعالم أصلا ورأسا .

أما الزندقة المقيدة : فقد أطلقها على من أثبت المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسيه وعلى من أثبت الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم ، فهذان النوعان عنده زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الأنبياء.[2]

---

(١) امالى - ج ١ - ص ١٢٧ .

(٢) انظر فيصل التفرقة - ص ١٤٢ .

ويطلق ابن الجوزى كلمة الالحاد والزندقة على بعض المتكلمين واستدل على ذلك بقول أحمد بن حنبل حيث قال : (لا يفلح صاحب كلام أبدا، علماء الكلام[1] زنادقة)[2].

كذلك يطلق ابن الجوزى هذه الكلمة على أعداء الاسلام الذين يضمرون له الحقد والبغضاء ويعملون بكل ما لديهم من وسائل من أجل القضاء عليه فيصلون بذلك الى ما يبتغونه من نيل الملذات واستباحة المحظورات مثل بابك الخرمى وصاحب الزنج والقرامطة وابن الراوندى والمعرى[3].

وذكر فى كشاف اصطلاحات الفنون :

الزنديق : (الثنوى القائل بالهين فيهما يكون النور والظلمة ويسميهما (يزدان وأهرمن) فيسمى خالق الخير (يزدان) ، وخالق الشر (أهرمن) .

وهو الذى لا يؤمن بالله تبارك وتعالى وبالآخرة ، وهو الذى يظهر الايمان ويبطن الكفر ....)[4]

---

(١) يقصد بعلماء الكلام الذين أفضى الكلام بأكثرهم الى الشكوك وببعضهم الى الالحاد .

(٢) تلبيس ابليس - ص ٨٢ - ٨٣ .

(٣) انظر المصدر السابق - ص ١١١ .

(٤) محمد على الفاروقى التهانوى - ج٣ - ص ١١٧ .

* أما شيخ الأسلام ابن تيمية فانه يفهم من كلامه أن معنى الزندقة قد شمل أناسا كثيرين ، شمل من يقصد الطعن في القرآن والرسول ودين الاسلام ومن يضع الحديث يكون التصديق به طعنا في الاسلام.(١)

كذلك جعله يشمل كل من يعتقد أن هذا الدين من وضع البشر حيث يقول : (حتى أني أعرف طائفة من الزنادقة كانوا يقولون أن دين الاسلام اتفق عليه في الباطن النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وثالثهما عمر لكن لم يكن عمر مطلعا على سرهما كله).(٢)

أيضا اطلق كلمة الزندقة على المنافقين الذين يبغضون الرسول صلى الله عليه وسلم كما أطلقها على القرامطة والاسماعيلية والنصيرية(٣)

هذا بالاضافة الى أن علماء السلف يجعلون نفاة الصفات من الزنادقة ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(وكل من تدبر كلام السلف والأئمة في هذا الباب علم أن الجهمية النفاة للصفات كانوا عند السلف والأئمة من جملة الملاحدة الزنادقة).(٤)

---

(١) انظر منهاج السنة - ج ٢ - ص ٣ .
(٢) المصدر السابق - ج ٤ - ص ٢٥٧ .
(٣) انظر منهاج السنة - ج ٤ - ص ٢٥٧ .
(٤) درء تعارض العقل والنقل - ج ٥ - ص ٢٠٢ .

أما المعنى الآخر للزندقة والذى كان يفهمه الخاصة وأشباههم فهو ما كانوا يعنون به ممن اعتنق الاسلام ظاهرا وتدين بدين الفرس القديم باطنا ، وخاصة مذهب مانى[1] .

نلاحظ من كل ما تقدم ان لفظ الزندقة اتسع ليشمل كل ملحد[2] حتى هؤلاء الذين كان مصدر الحادهم غير فارسى وفى هذا البحث سيكون التركيز على هؤلاء الذين اظهروا الاسلام وهم فى باطنهم يوالون دينا آخر ويعطون لنصرته على حساب الاسلام وخاصة أديان فارس القديمة حيث كان لها الأثر الأكبر فى تكوين الحركات ضد الاسلام وكذلك كل ماكان طعنا فى أساس الدين كالنبوة والقرآن وما تفرع عن ذلك من القول بالاباحية ورفع التكاليف ... الخ .

---

(١) انظر أحمد أمين ـ ضحى الاسلام ج ١ ـ ص ١٤٦ ـ ١٥٠ .

(٢) ألحد : السهم عن الهدف : عدل عنه وفلان عدل عن الحق وأدخل فيه ماليس منه . ويقال : ألحد اليه : مال ... (مجمع اللغة ـ المعجم الوسيط ـ ج ٢ ـ ص ٨١٧) .

الباب الأول

مصادر التأثير الأجنبي في الزندقة

تمهيد

يلاحظ الباحث فرقا كبيرا بين انتشار الزندقة في بعض البلاد الاسلامية دون بعضها الآخر.

كما يلاحظ فرقا كبيرا بين سلوك أعداء الاسلام في بعض البلاد دون بعضها الآخر، فتجد أن أعداء الاسلام في مكة مثلا لهم سلوك معين، وهو اظهار الكفر واضحا واعلان الحرب على المسلمين ما وجدوا لذلك سبيلا فاذا ما أسلموا أخلصوا دينهم لله ولم يبق عندهم للكفر ولاء، والسبب في ذلك هو طبيعة الانسان العربي من احترامه للعهد وأن خيانة العهد سبّة لا يقف أثرها على صاحبها فقط بل تنتقل الى قبيلته وذريته من بعده.

فلما انتقل الاسلام الى المدينة وجدنا النفاق يظهر لأن وجود اليهود بالمدينة كان سببا في تلوث الأمم فأصبح الخلف بالوعد نوعا من الشطارة، ولذلك لما وجدوا قوة المسلمين قابلوها بالنفاق غير مبالين بما يلحقهم من عار، فالغاية عندهم تبرر كل أنواع الوسيلة.

ولذلك وجدنا ضروبا من الكيد للاسلام والمسلمين تظهر من هؤلاء المنافقين ما كان للمسلمين عهد بها، مثل

اتخاذ مسجد الضرار ، والايمان بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار والكفر آخره والتشكيك فى الدين .... وغير ذلك من الوسائل التى تحدث عنها القرآن الكريم والسنة النبوية .

فلما انتقل الاسلام أوسع من ذلك فى بلاد لها ثقافاتها ودياناتها المتنوعة ، وجدنا العداء للاسلام يأخذ اشكالا قد لا نجدها فى مكة ولا فى المدينة ، لا نجدها فى مكة لأن كفار مكة كانوا من الوضوح بالشكل الذى قلناه ، كما لانجدها فى المدينة لأن المسلم الحقيقى كان أبعد ما يكون عن التأثر بما يحاك حوله من مؤامرات ، فان دينه كان عاصما له من كل سوء ، وعلى فرض أن بعض المسلمين تأثر بنوع من هذا المكر - كما حصل من الأوس والخزرج حين دس بينهم اليهود - فأنهم يرجعون الى دينهم تائبين عارفين أن ما وقع كان من كيد شيطان ، والمنافقون فى المدينة كان أولادهم على الاخلاص للدين كما كان من ابن عبد الله بن أبى سلول ، ولكننا وجدنا العداء فى فارس وفى بعض أجزاء الجزيرة العربية يتخذ شكلا آخر حيث استطاع أعداء الاسلام - وهم

أصحاب ثقافات قديمة ومكر ودهاء - أن يؤثروا فى المسلمين حديثى العهد بالاسلام ، وان يوهموا الذين لم يعرفوا الاسلام على حقيقته أن هذا الدخيل هو الاسلام .

وبذلك وجدنا الذين تكونت منهم حركات الزندقة أما شيطان يعرف ما يفعل وأنه يكيد للاسلام لما بينه وبينه من العداء الذى لا ينتهى واما مغفل انساق وراء الشيطان ظنا أن مايفعله هو الأسلام . ومن هؤلاء كانت حركات الزندقة على مدى التاريخ الاسلامى والتى أهمها ما كان فى العصر العباسى الأول .

ولما كانت هذه الحركات لم تنشأ من فراغ بل من فعل أقوام تأثروا بديانات وثقافات قديمة فاننى فى هذا الباب سأبين مصادر هذه الزندقة .

<u>وهى فى مجموعها لاتخرج عن ثلاثة مصادر :</u>

المصدر الفارسى ، والمصدر اليونانى ، والمصدر الهندى .

واذا كان هناك مصدر غير هذه المصادر الثلاثة فانه بالبحث نجد أنه يرجع الى واحد من هذه المصادر الثلاثة أو اليها جميعا وأن أصحاب هذا المصدر لم يكونوا الا ناقلين .

فاليهود - أتباع اليهودية المحرفة طبعا - لم يكن لهم فكر مستقل بل كانوا ناقلين عن واحد من هذه المصادر .

وكذلك النصارى - أتباع النصرانية المحرفة - لم يكونوا الآ ناقلين من الوثنيات القديمة كاليهود تماما .

اذاً ،حينما نجد تأثير اليهود والنصارى في بعض الانحرافات التي أصابت المسلمين، يجب أن نعلم أن هذه الانحرافات راجعة عند التدقيق - لواحد من هذه المصادر الثلاثة (الفارسي ، واليوناني ، والهندى) وقد جعلت هذا الباب الأول لدراسة مصادر هذا التأثير الأجنبي الذى أفسد على المسلمين صفاء عقيدتهم كما أفسد عليهم وحدتهم وجعلهم شيعاً وأحزاباً متناحرين يقتل بعضهم بعضا.وقد بدأت بالمصدر الفارسي[1] لأنه أقرب تأثيراً ،فقد كان أصحاب الحركات متأثرين به مباشرة ، عنه يأخذون ومن أجله يعملون.ثم ان فارس كانت أوضح البيئات التي أثرت وتأثرت ،فقد كانت ملتقى القوافل والأفكار والجيوش والديانات ، وقد أصبح واضحا بعض الشيء ما أعطته هذه المنطقة لغيرها وما أخذته من غيرها .

---

(١) أقصد بالفارسي هنا ما يشمل المنطقة بأكملها بما يشمل وادى الرافدين .

فكثير من الأفكار خرجت من هذه البيئة لتؤثر في بيئة أخرى ، ثم رجعت الى مصدرها الأول ، حيث ظن البعض أنها وافدة من الخارج وأدرك البعض الآخر أنها رجعت بعد أن هاجرت .

وأنا في هذا الباب لم أتعرض لكل الفكر الفارسي بل اقتصرت على ما كان واضح التأثير على المسلمين .

فأنا لم أتعرض للحضارات السومرية والبابلية والآشوريه وغيرها من الثقافات القديمة لأن أديان فارس الحديثة المؤثرة انما تمثلتها وأضافت اليها ثم كانت هذه الأخيرة هي المؤثرة في حركات الزندقة وهي موضوع دراستي .

الفَصْل الأوّل

المصدر الفارسي

الزرَادشْتيَّة
المَانوَيَّة
المَزْدكيَّة

زرادشت

نسبه ونشأته

زرادشت بن بورشسب ، ظهر أيام الملك كشتاسف بن لهراسب ، وهو نبى المجوس ، قد أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمه [١] عند الناس واسمه عند المجوس بستاه .

ان الذين يؤمنون بوجود زرادشت اختلفوا فى تاريخ ظهوره فالبعض يذهب الى أنه ولد فى الألف السادسة أو السابعة قبل الميلاد ، وقيل فى منتصف القرن السابع ق-م وهو أرجح الأقوال لأن معظم المراجع التى بحثت فيها تقول بذلك .

كما وأنه قد زعم قوم من أهل فلسطين أنه كان خادما لبعض تلامذة أرميا النبى خاصا به أثيرا عنده .

درس الأديان الفارسية القديمة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت . ولقد اختلف الباحثون فى شخصيته وانقسموا فى ذلك الى ثلاث فرق :

---

(١) الزمزمه : كلام المجوس عند أكلهم أو المجوس عند الأكل أو الشرب (مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٤٠٠).

١ - فريق ينكر وجوده ، ويقول : أن شخصيـة زرادشت خرافية نسجت حولها طائفة من العقائد والتقاليد والشرائع والعبادات التى كان يسير عليها الايرانيون ، ولا يقدمون فى ذلك دليلا يشهد بصحة قولهم هذا .

٢ - فريق آخر يقول : ان شخصيته حقيقية ، وأنه هو ابراهيم الخليل الذى ذكر فى القرآن ، وأن أسفار (الأبستاق) هى صحف ابراهيم التى تحدث عنها القرآن [(١)] . ولكنهم - كذلك - لم يأتوا بدليل . يقول على عبد الواحد :

لعل التشابه بين ما تذكره الكتب المقدسة عن حياة ابراهيم وما تذكره التراجم والاساطير الفارسية عن حياة زرادشت خاصة ما يتعلق بتأمل كل منها فى كواكب السماء، ومحاربة كليهما ما كان يعكف عليه قومه من عبادة الكواكب وما يمثلها ويرمز اليها من أصنام ، وما يتعلق بالقاء كليهما فى النار [(٢)] ، وجعلها بردا وسلاما عليه ، فكل هذا التشابه

---

(١) انظر المسعودى - مروج الذهب - ج ١ - ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، والشهرستانى - الملل ج ١ - ص ٧٧ - ٢٣٦ - ٢٣٧ ، وسامى النشار نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ١٧٧ - ١٩١ ويحيى الخشاب ، التقاء الحضارتين ص ٢١ - ٣٠ .

(٢) أى كما ترد د الاسطورة عن زرادشت .

بينهما فى هذه الأمور جعل هذا الفريق يقول : بأن زرادشت هو ابراهيم وان الابستاق هو صحف ابراهيم.

* فهذا الرأى لايعتد به لأن من الأدلة التى تؤكد بطلانه أن زرادشت قد ظهر فى أصح الروايات فى القرن السابع قبل الميلاد على حين ان ابراهيم الخليل كان ظهوره حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد أى قبل زرادشت بنحو عشرة قرون.

كذلك ابراهيم عليه السلام نشأ فى بلدة أور ببلاد الكلدان وأنه سامى الجنس، على حين أن زرادشت قد نشأ بأذربيجان احدى مقاطعات ميديا فى بلاد ايران وأنه آرى الجنس.

كذلك نجد أن القرآن الكريم قد ذكر رحلة ابراهيم عليه السلام الى مكة وأسكن فيها ابنه اسماعيل وأمه هاجر وبناءه الكعبة ، بينما زرادشت لم تكن له آية صلة بمكة.

هذا وبالاضافة الى ماسبق فانه سواء صحت الرواية أنه ابراهيم ، أو غير ابراهيم فانني بعد بحث متأن أستطيع أن أقول بثقة أن هذا الدين تأثر فى أكثر من موضع بأديان إلهيه خاصة ماجاء فيه من وصف قبض الروح والحساب والصراط واجتيازها والجنة والنار

كل هذا نجده - فى أكثر من نقطة - يوافق الدين الالهى ولا يمكن أن يكون هذا من اختراع بشر .

اذاً فلم يبق الآ أنه متأثر بدين الهى. وأمّا أن صحت الرواية وهو أنه ابراهيم عليه السلام وهذا مالا نستطيع أن نجزم به لأنه قد دخل عليه التحريف حيث نجده كذلك فى أكثر من نقطة يخالف الدين الالهى وخاصة فيما ورد من تقديس النار . . . .

٣ - الرأى الصحيح هو ما ذهب اليه الفريق الثالث الذى يقرر أن زرادشت انما هو حقيقة وأنه غير ابراهيم عليه السلام ولا يمكن أن يكون نبيا بل أخذ من رسالات سماوية .[1]

---

(١) انظر الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص ١٢٧ - ١٣٠ .

الأساطير والقصص التي حيكت حوله

لقد نسجت الزرادشتيه أساطير وقصصا حول مولد زرادشت فأدعت بأنها معجزات ، وقالت عنه بأنه نبي ونسرى فيما قالوه أن هناك شبهاً كبيراً بين ماقيل عن ولادته وما قيل في ولادة المسيح عليه السلام حيث زعموا بأن الله عز وجل خلق خلقا روحانيا ، فلما مضت ثلاثة آلاف سنة أنفذ مشيئته في صورة من نور متلألىء على تركيب صورة الانسان وأحف به سبعين من الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكواكب والأرض وبني آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة ثم جعل روح زرادشت في شجرة أنشأها في أعلى عليين ، وغرسها في قلة من جبل من جبال أذربيجان ثم مازج شبح زرادشت بلبن بقرة فشربه والد زرادشت فصار نطفة ، ثم مضغة في رحم أمه ، فقصدها الشيطان وغيرها فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالات على برئها فبرأت ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر واحتالوا على زرادشت حتى وضعوه بين مدرجة البقرة ومدرجة الخيل ، ومدرجة الذئب ، وكان ينتهض كل واحد منهم لحمايته ، ونشأ بعد ذلك الى أن بلغ ثلاثين سنة ، فبعثه الله نبيا الى الخلق

-كما يزعمون - هذا ؛ ولقد زعموا أيضا له معجزات أخرى منها أنه أخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات ، وقالوا بدخول قوائم فرس كشتاسف فى بطنه وكان زرادشت فى الحبس فطلبوا منه أن يشفى ذلك الفرس فاطلق فانطلقت قوائم الفرس فآمن به الملك .

كما يزعمون أنه مر على أعمى بالدينور ، فقال لمن معه خذوا حشيشه - وصفها لهم - واعصروا ماءها فى عينه فانه يبصر ففعلوا فأبصر الأعمى .

وقيل عنه بأن روح الله حلت فيه أو أنه أحد الأقانيم المكونة للاله ، هذا وقد نسبت اليه خوارق ومعجزات أخرى ، كأحياء الموتى ورد قوة الابصار الى العينين .

كما قيل أيضا بأنه قد ظهر قبل مولده ثور وتكلم منبئا بقرب ظهوره الى غير ما هنالك من الأساطير والخرافات التى قيلت عنه .(١)

هذه مزاعمهم حول زرادشت . ونرى فيها خليطا مما قيل فى المسيح من المعجزات وما زعمه النصارى زورا من القول بالحلول الذى بنوا عليه القول بالأقانيم.

---

(١) انظر المسعودى- مروج الذهب -ج ١ -ص ٢٢٩ - ٢٣٠ والشهرستانى الملل -ج ١ ص ٢٣٨ ، وسامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى -ج ١ - ص ١٩١ - ١٩٢ ، ويحيى الخشاب - التقاء الحضارتين ص ٢١ - وعلى عبد الواحد - الاسفار المقدسة -ص ١٣٠ .

دعوته ومدى انتشارها

لقد دعا زرادشت قومه في أزربيجان الى عقيدته وديانته الجديدة التي أتى بها ، ولكنه لم يلق أي قبول في ذلك ، ثم كانت محاولته بأن هجر قومه الى بلاد فارس وأخذ يدعو هناك من جديد في السنوات الأولى .
أيضا لم يلق قبولا ولكنه استطاع ان يؤثر في المجتمع الفارسي حيث آمن به الملك كبستاسب ودخل ديانته تأثرا عندما استطاع أن يشفى له فرسه المريض فظن أن ذلك معجزة وأنه نبي[(١)] فصدقه فيما جاء به ولقيت ديانة زرادشت نجاحا كبيرا حيث قبلها أباطرة الفرس وأصبحت هي الدين الرسمي الفارسي حتى قيل أنه ليس من المستبعد أن يكون الملك دارا قد شيد مقبرة هذا النبي[(٢)] .

---

(١) انظر الشهرستاني - الملل والنحل - ج ١ - ص ٢٣٨ .
(٢) انظر هنري برستد - تاريخ الشرق القديم - ص ٢٦١ ، وسامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي - ج ١ - ص ١٩٢ - ١٩٣ .

مذهب زرادشت

ينسب الى زرادشت القول بالوحدانية كما ينسب اليه القول بالثنويه ، فالأولون يرون أن الديانة الزرادشتية في بدايتها كانت ديانة توحيد وذلك لأنها تدعو الى عبادة اله واحد وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وسائر قوى الطبيعة غير أنه كما هو واضح أنه دخل الديانة الزرادشتية التحريف فيما بعد ، أى أصبحت ديانه ثنويه تعتقد بوجود الهين : أحدهما (يزدان)[1] وتجعله الها للخير ، والآخر (أهرمن)[2] وتجعله الها للشر ، وتعتقد أن بينهما صراعا لأن كليهما يرمى الى السيطرة على العالم.[3]

ويقول الشهرستاني: (وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث . . . والنور والظلمة أصلان متضادان ، وكذلك (يزدان) ، و (أهرمن) وهما مبدأ موجودات العالم ، حصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب المختلفة ، . . .

---

(١) خالق الخير بزعم المجوس (الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ،ص٥٦) .

(٢) خالق الشر بزعمهم (الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ،ص ٥٦) .

(٣) انظر على عبد الواحد - الاسفار المقدسة -ص ١٤١ ، وسامى النشار نشأة الفكر الفلسفى -ح ١ -ص ١٩٣ .

والخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ،ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم . وهما يتقاومان ويتغالبان الى أن يغلب النور الظلمة ،والخير الشر ،ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه ، وذلك هو سبب الخلاص ، والبارى تعالى هو الذى مزجهما وخلطهما لحكمة رآها فى التراكيب وربما جعل النور أصلا وقال وجوده وجود حقيقى ، وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة الى الشخص فانه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعا لأن من ضرورة الوجود التضاد ، فوجوده ضرورى واقع فى الخلق لا بالقصد الأول .)[1]

وهناك من يرى غير هذا ،كما سيأتى أنه أبقى على عبادة النار والكهنة مشعلى النار . وكل ما يقال فى زرادشت لا زال من باب الاحتمال لأن ضياع المصادر تجعلنا لانتيقن هل هو من قول زرادشت أو من قول من جاء بعده وأسندوه اليه .

---

(١) الملل - ج ١ - ٢٣٧ - ٢٣٨ .

كتب زرادشت

أهم كتاب له هو (الأبستاق) الذى ادعى أنه أنزل عليه وشرحه " الزندوستا أو الزندافستا " ، والكتاب يقسم العالم الى قسمين الروحانى والجسمانى ، أو الروح والشخص كما يقسم الخلق الى قسمين التقدير والفعل ، ثم يتكلم فى موارد التكليف وهى حركات الانسان ويقسمها الى ثلاثة أقسام (الاعتقاد ، والقول ، والعمل) وبالثلاثة يتم التكليف.

واذا جرى على مقتضى الشريعة ، فاز الفوز الأكبر.

ولقد أمر أردشير الأول بعد أن ولى عرش ايران الهربذان هربدتنسر (١) بجمع النصوص المبعثرة من الأوستا الأشكانيه وكتابة نص واحد منها. ثم أجيز هذا النص واعتبر كتابا مقدسا ثم جاء شابور الأول ابن أردشير وخليفته فأدخل فى هذه المجموعة من الكتب المقدسة النصوص التى لا تتعلق بالدين والتى تبحث فى الطب والنجوم وما وراء الطبيعة. والأوستا الساسانية - والتى لم يتبق منها اليوم غير أقلها - لم تكن تحتوى على العبادات فقط

(١) الهرابذه : هم عبدة النيران ، وأحدهم هربذ (الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، ص ٥٦٠)

بل بالاضافة الى ذلك كانت دائرة معارف تحوى العلوم كلها، المعاد، وأساطير الأولين، والنجوم، وعلم التكوين، والعلوم الطبيعية، والتشريع، والحكمة العملية للعهد الساسانى[1].

---

(1) انظر المسعودى - مروج الذهب - ج ١ - ص ٢٢ - ٢٣ ، والشهرستانى الملل - ح ١ - ص ٢٣٨ ، ويحيى الخشاب - ايران فى عهد الساسانيين - ص ١٣٠ ، وعلى عبد الواحد - الأسفار المقدسة ص ٢٩٢ ، ويحيى الخشاب التقاء الحضارتين - ص ٢١ - ٣٠ .

العبادات والشرائع والاخلاق الزرادشتية

أولا : العبادات :

من أهم العبادات فى الديانة الزرادشتية تقديس النار حيث (أبقى زرادشت على احترام الآريين للنار وعبادتهم لها على أنها رمز ظاهر للخير والنور كما احتفظ أيضا بفكرة الكهنة مشعلى النار.)[(١)]

كذلك يدخل من ضمن تلك العبادات الأدعية التى يتجه بها الى الاله والملائكة والأرواح المقدسة وقوى الخير والصلوات التى كانت تقام فى الهياكل خمس مرات حول النار المقدسة. والصلاة فى الزرادشتيه دعاء يوجه الى أهورا مزدا.

وكان الزرادشتى مقيدا بعدة طقوس وعبادات فى كثير من شئون حياته الخاصة، كالأكل والنوم والاستيقاظ منه واضاءة المصابيح، وكان عليه أن يبقى نار الموقد فى داره مشتعلة لاتخبو، وألا يسمح لضوء الشمس أن يقع على النار ولا للماء أن يلقى على النار ولا ليده أن تمس

---

(١) جيمس هنرى برستد - انتصار الحضارة - ص ٢٦١.

جثة ميت أو جسد امرأة حائض وألا يلوث الماء وألا يتكلم ولا يبكى فى أثناء الطعام .

وكان الزرادشتيون يذهبون الى هياكل النار فى أيام أعيادهم الرئيسية ليقيموا الصلوات و يبتهلوا الى أهورامزدا بالدعوات وخاصة يوم التوبة ، وهو عيد النيروز .

وليس فى الديانة الزرادشتية رهبانية، بل إنها لتكره كل ما يؤدى الى الخمول واضعاف الجسم. كذلك تنهى عن الصوم الاّ فى ظروف خاصة نادرة .

وكان يشرف على شئون العبادات وما اليها من الشئون الدينية طبقتان من رجال الدين :

أحداهما : طبقة الموابذة ويسمى كل واحد منهم موبذان وكانوا يتولون الوظائف الدينية العليا ويرأسهم الموبذموبذان[1] ، ولم يكن نشاط الموابذه مقصورا على الشئون الدينية بل انهم كانوا يمارسون كذلك شئون الطب والقضاء والتعليم ويشتركون فى ادارة الشئون السياسية للدولة وفى شئون التشريع والتنفيذ ، ومن ثم كان لهم سلطان حتى على

(١) " الموبذ: تفسيرها ـ حافظ الدين.لأن الدين بلغتهم (مو) و (بذ) حافظ وموبذ موبذان رئيس الموابذه وقاضى القضاه ومرتبته عندهم عظيمة نحو من مراتب الأنبياء.والهرابذة دون الموابذه فى الرئاسة (المسعودى ، التنبيه والاشراف ،ص ٩٠ وانظر الخوارزمى مفاتيح العلوم ص ٢٥) .

الملوك أنفسهم ، فقد كان زرادشت نفسه موجهـا سياسيا للملك كشتاسب .

والطائفة الأخرى هى الهوابذه وكانوا يتولون اقامة الشعائر الدينية فى هياكل النور.

ثانيا : الشرائع :

ولقد ورد فى الأبستاق أن أهورامزدا قد أوحى الى زرادشت أن " المتزوج " أعلى منزله عند الله ممن ليس له بيت وأن من له خلف أعلى منزلة ممن ليس له خلف وكانت أكبر كارثة تحل بالرجل عند الزرادشتيين ألا تكون له ذريه .

وكانوا يعتقدون أن من يدركه الموت من قبل أن ينجب أولادا لا يدخل من باب الجنة .

كذلك تحث الشريعة الزرادشتيه على العمل والسعى والضرب فى الأرض لكسب الرزق وانتاج الثروة ، وخاصة عندهم الانتاج الزراعى وتربية الماشية .

ثالثا : الأخلاق :

وقوام الأخلاق عند زرادشت ثلاثة أمور :

الفكر الطيب ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب.

وكان لا يقبل دخول أحد فى الدين الزرادشتى الاّ بعد أن يؤخذ عليه بهذه الأمور ميثاق مدونة صيفته فى الأبستاق.(1)

---

(1) انظر على عبد الواحد ـ الاسفار المقدسة ـ ص ١٤٧ - ١٤٨ -١٤٩ - ١٥٠ .

(لقد طلب زرادشت من الانسان أن يجعل هدفه في هذه الحياة مكافحة الأرواح الشريرة بأن لا ينقاد الى غوايتها وأن يحافظ على الطهارة والنظافة لئلا يترك الى تسلطها عليه ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الاطلاق ، فعلى الانسان قبل كل شيء أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة ولم تكن فارس الزرادشتية تسمح باقامة الهياكل أو الأصنام ، بل كانوا ينشئون المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور أو في قلب المدن ، وكانوا يوقدون النار فوقها تكريما لأهورامزدا بل كان الايرانيون يعتبرون النار مقدسة وهي في نظرهم أكثر العناصر طهارة ، كلها حياة وحركة ، تزيل الظلمة وتطرد الشياطين وكانت كل أسرة تعمل على أن تظل نار دارها متقدة دائما ، لأن انطفاء النار معناه بؤس الأسرة واضمحلالها .

وملوك الفرس كانوا لا يسيرون الى حملة أو رحلة الا وتتقدم مواكبهم المشاعل المقدسة ومحاريب النار ، وكانت بيوت النار[1] المقدسة تشيد على دكة صخرية مرتفعة ويصعد اليه بدرج

---

(١) أول بيت بناه أفريدون : بيت نار بطوس ، وآخر بمدينة بخارى ، هوبرسون واتخذ بهمن بيتا بسجتان يدعى كركو . ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى ، يدعى =

حجرى ، ويقوم الكهان بايقاد النيران داخل البيت أو على سطحه .)[1]

= قباذان وبيت نار يسمى كويسه ، بين فارس وأصبهان ، بناه كيخسرو وآخر بقوس يسمى جرير . وبيت نار يسمى كنكدر ، بناه سياوش في مشرق الصين ، وآخر بأرجان من فارس اتخذه أرجان جدكشتاسب ، وهذه البيوت كانت قبل زرادشت ثم جدد زرادشت بيت نار بنيسابور ، وآخر بنسا . وأمر كشتاسب أن يطلب نارا كان يعظمها جم فوجدها بمدينة خوارزم فنقلها الى دار بحرد وتسمى آذرخره ، والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها - ويقال أن أنوشروان هو الذى نقلها الى كاريان فتركوا بعضها ، وحملوا بعضها الى نسا . وفى بلاد الروم على أبواب قسطنطينيه بيت نار اتخذه سابور بن أردشير ، فلم يزل الى أيام المهدى وبيت نار باستينيا ، على قرب مدينة السلام لبودان بنت كسرى وكذلك بالهند والصين بيوت نيران . وأما اليونانيون فكان لهم ثلاثة أبيات ليست فيها نار . والمجوس انما يعظمون النار لمعانى فيها ، منها أنها جوهر شريف علوى ، ومنها أنها ما أحرقت الخليل ابراهيم عليه السلام ومنها ظنهم أن التعظيم لها ينجيهم فى المعاد من عذاب النار. والجملة هى قبلة لهم ، ووسيلة واشارة .
(الشهرستانى ، الملل ج ١ - ص ٢٥٤ - ٢٥٥).

(١) نورالدين حاطوم - نبيه عاقل - أحمد طربين - صلاح مدنى تاريخ الحضارة - ج ١ - ص ٢٩٣ .

عقيدته في اليوم الآخر

هناك أمور تنسب الى زرادشت فيها شبه بينها وبين الأديان السماوية ، ويظهر أن وجود فارس في ملتقى الديانات كان سبب هذا . فالأرواح عند زرادشت (لا تفنى وأنها تنعم بطيبات الحياة أو تشقى بمحنها ثلاثة أيام بعد الموت ثم تحملها الرياح حتى تصل الى الصراط (جينوو) وهناك يقام حسابها أمام ثلاثة قضاة (ميترا - سرااش - راشنو) ، فتوزن أعمالها من خير وشر ويحكم عليها طبقا لموازينها خفت أو ثقلت ، ثم عليها بعد الحكم أن تمر على الصراط الذى يتسع للأرواح الخيرة ويدق على الأرواح الشريرة بحيث تتردى في جهنم (دوزخ) وتمر الروح الخيرة بثلاث مراحل حتى تصل الى الجنة (بهشت) وهذه المراحل هي الفكر الطيب والعمل الطيب والقول الطيب وبين الجنة وجهنم مكان يسمى الأعراف (همشتكان) وفيه تستقر الأرواح التي تعادلت موازينها .

وتنتظر الأرواح يوم القيامة ، وينبئ به المخلص (سا أشيان) الذى يرد الى الأرواح حياتها الأولى على أن تحاسب في الآخرة بعد أن يطهر الأرض من المعدن المنصهر ، وحينئذ ينشب القتال بين أهورا مزدا وأهريمن فيحترق هذا الأخير ويصير النصر نهائيا لأهورا مزدا ، وهذا كله لتتاح الفرصة أمام كل مخلوق ليساعد الى الخير وليعمل على تقوية الأصول الثلاثة : الفكر الطيب والعمل الطيب والقول الطيب .)[1]

---

(١) التقاء الحضارتين ص ٢٦ - ٢٧ .

نهاية زرادشت

لقد مات زرادشت قتيلا في بيت من بيوت النار في بلخ . عندما أغار عليها الطورانيون في بلاد ايران ، وقيل كان عمره في ذلك الوقت ٧٧ سنة[١] .

وقبل أن نترك زرادشت نقول انه برغم مافي دينه من توحيد وحض على الأخلاق الطيبة وايمان باليوم الآخر ، انه برغم هذا نرى فيه مبدأ الثنويه متأصلا ثم عبادة النار وتقديسها وتقديمها على كل شيء مما جعل الناس يذكرونها قبل أن يذكروا الله سبحانه .

وبذلك تراجع التوحيد وتقدمت الثنويه مما سيكون له الأثر البالغ فيمن سيأتي بعد .

ونحن لانقول انه هو الذى سن عبادة النار ،بل نقول انه أبقى عليها لأنه يبدو من المراجع أن عبادة النار في بلاد فارس كانت أسبق من زرادشت فقد كان للنار بيوت (قبل زرادشت ثم جدد زرادشت بيت نار بنيسابور وآخر بنسا . . .)[٢]

---

(١) انظر المسعودى ـ مروج الذهب ـ ح ١ ـ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ وعلى عبد الواحد ـ الاسفار المقدسة ، ص ١٣٠ .

(٢) الملل والنحل ج ٢ ـ ص ٩٢ على هامش الفصل .

المانوية

نسبتها ونشأتها

المانويه : نسبة الى مؤسسها مانى بن فاتك ، أو كما جاء في بعض الروايات مانى بن فاتق ، ولد سنة ٢١٥ - ٢١٦ ، والذى ظهر فى زمان شابور بن أردشير. من أسرة عريقة ، وقيل فارسى من الأسرة الملكية البرتيه . وقيل من العائلة الاشكانية ، وكانت لا تزال تحكم ايران حين ولد مانى ، ومن بلدة همدان نشأ والده فاتك فى أذربيجان ثم هاجر بعد ذلك الى بابل حيث أقام فى قرية وسط ولاية حيسين ، وهناك كان يحضر مجالس المغتسله[1] ، ولكنه تعمق بعد ذلك فى دروس أديان زمانه الزرادشتية والمسيحية ومذاهب أخرى وخاصة مذهب الديصانيه[2] والمرقونية[3] فترك مذهب المغتسلة بعد ذلك .

---

(١) هؤلاء القوم كثيرون بنواحى البطائح ، وهم صابة البطائح ، يقولون بالاغتسال ، ويغسلون جميع ما يأكلونه ، ورئيسهم يعرف بالحسيح وهو الذى شرع الملة ويزعم أن الكونين ذكر وأنثى ..) (ابن النديم **الفهرست** ، ص ٤٧٧) .

(٢) منسوبون الى ابن ديصان وهم ثنوية (الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، ص ٢٥ ، وانظر ابن النديم ، الفهرس، ص ٤٧٤ ، والشهرستانى الملل ، ج ١ ، الهامش ص ٢٥٠) .

(٣) ينسبون الى **مرقيون** وهم ثنوية أيضا (الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ٢٥ وانظر ابن النديم ، الفهرس ، ٤٧٤ ، والشهرستانى ، الملل ج ١ ، الهامش ص ٢٥٦)

كان مانى هذا ثنويا فى الأصل مجوسيا احدث دينا ، ودعا اليه ، حيث كانت المانوية هى الدين الذى أتى به والذى حاربه الزرادشتيون فى ايران من أجله ، كما حاربه المسيحيون فى الغرب .

حاول مانى أن يكون هذا الدين الجديد الذى أتى به من مبادىء شائعة من عدة أديان ، خاصة وان الفرس قد اعتادوا المرونة فى العقيدة ، وكان الاجتهاد فى الأديان أمرا مألوفا عندهم .

ولم يكد أردشير مؤسس الأسرة الساسانيه يموت حتى ظهرت المانويه منافسة للزرادشتيه التى حاول فرضها على ايران[1].

---

(١) انظر الشهرستانى - الملل - ج ١ - ص ٢٤٤ ، والخوارزمى - مفاتيح العلوم - ص ٢٥ ، وسامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - ح ١ - ص ١٩٤ والبغدادى - الفرق بين الفرق - ص٢٧١ ويحيى الخشاب - التقاء الحضارتين - ص ٣٠ - ٣١ .
ويحيى الخشاب - ايران فى عهد الساسانيين - ص ١٧١ .

الأساطير التي حيكت حول مولده

في الوقت الذى كانت فيه أم ماني حاملا به قيل بأنه كان هناك هاتف من هيكل بيت الأصنام . يهتف باسم والده : يافتق (لاتأكل لحما ، ولا تشرب خمرا ، ولا تنكح بشرا) وقيل : بأن هذا النداء قد تكرر عليه ثلاث مرات ومن خلال هذه الكلمات يتضح لنا مدى خطورة الدعوة المانوية التى جاء بها ماني بعد ذلك اذ دعا الى نفس ما أمر به فتق والده الذى أمر بقطع النسل ولكن المجتمع الفارسى قد أدرك مدى خطورة ذلك عليه ، فهى تعنى القضاء عليه ، فكان ذلك هو السبب الرئيسي فى قتل ماني والخلاص منه ومما يدعو اليه كما سيأتى .

ثم نتابع الحديث عن تلك الأساطير التى قيلت فيه حيث زعموا أن والدته عندما كانت حاملا به كانت ترى منامات حسنة ، وفى اليقظة كانت ترى أن آخذا يأخذه فيصعد به الى الجو ثم يرده .

كما زعموا أنه كان على الرغم من صغر سنه ، يتكلم بكلام الحكمة فلما تم له اثنتا عشرة سنة أتاه الوحى وقال له : اعتزل هذه الملة فلست من أهلها ، وعليك بالنزاهة

وترك الشهوات ، وطلب منه أن لا يخرج في ذلك الوقت لحداثه سنه وعندما أتم (٢٤ سنة) قال له : حان لك أن تخرج فتنادى بأمرك .

وخرج يوم ملك سابور بن أردشير ، ووضع التاج على رأسه ومعه رجلان من اتباعه على نفس مذهبه ، أحدهما يقال له : شمعون والآخر زكوا ، ومعه أبوه ينظر مايكون من أمره ، ومن هنا بدأ الدعوة الى مذهبه .

وفي بعض الروايات كان يرى الوحي في صورة ملاك اسمه القرين فكان يكشف له عن الحقائق الالهية .

أخذ ماني يدعي بأنه أتى لتكميل كلام الله وأنه خاتم الأنبياء ، وأنه الفارقليط [1] المبشر به عيسى عليه السلام ،كما زعمت المانويه أنه عندما دخل على سابور بن أردشير - الذى كان ظهور مانى في عهده - كان على كتفيه مثل السراجين من نور فلما رآه أعظمه وكبر في عينه وكان قد عزم على الفتك به وقتله فلما لقيه داخلته له هيبة وسر به . [2]

---

(١) الفارقليط : مترجم عن اليونانى ، فاذا كان الأصل بارقلي طوس فيكون معناه الممزى والمعين والوكيل ، وان كان الأصل بيركلوطوس يكون قريبا من معنى محمد وأحمد والنصارى يقولون بالأول ليبعدوا بشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم مخطئون (رحمة الله الهندى ،اظهار الحق ،حـ ٢ ، ص ٤١٨، ٤٢٤)

(٢) انظر ابن النديم - الفهرست - ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ويحيى الخشاب ايران في عهد الساسانيين ص ١٧٢ والمسعودى - التنبيه والاشراف - ص ٨٧ .

تأثره بالديانات

اختلفت المانوية باختلاف المناطق التى بشرت فيها أو باختلاف الديانات التى جاورتها ، حيث نجد أن ماني كما ذكرت سابقا قد نشأ على مذهب المغتسلة ولكنه تعمق بعد ذلك فى دراسة أديان زمانه كالزرادشتية والمسيحية والبرهمانية والمجوسيه ومذاهب أخرى وخاصة مذهب ابن ديصان ومرقيون وخرج من هذه الدراسة - كما يدعى - بفكرة خلق دين عالمى يصلح للناس كافة ولا يخص الايرانيين وحدهم ، حاول أن يجمع الشرق والغرب تحت لواء دين واحد قائم على العقائد المعروفه فى زمنه[1] (لذا فقد اعترف ببوذا وزرادشت والمسيح . رأى فى تعاليم بوذا وأخصها الزهد فى الدنيا ما يصلح لأن يقبله الناس . ورأى فى مذهب زرادشت ان الصراع بين الهى النور والظلمة يصلح أساسا لحل قضية الخير والشر ، ورأى المسيح مثلا محققا للخلاص فادعى أنه الفارقليط الذى بشر به المسيح والذى ينتظره العالم ثم انه مزج هذه العقائد ، وهذا المزج

---

(١) انظر الأسفرايني - التبصير في الدين - ص ٨٠ ، ويحيى الخشاب ايران فى عهد الساسانيين - ص ١٧١ - ١٧٢ ونفس المؤلف التقاء الحضارتين ص ٣١ .

أتاح للمانوية سهولة التسرب بين الفرق المختلفة والأديان الأخرى ففي الغرب مثلا أكد المانوية على العناصر المسيحية في مذهبهم ، وفي الشرق أكدوا على المبادئ التي أخذوها عن البوذية بل جعلوها في مقدمة مذهبهم. ثم انهم في ايران أكدوا على الصراع بين النور والظلمة الذي كان معروفا لدى الفرس منذ القدم ، هذا الصراع الذي بشر به زرادشت.)[1]

(١) يحيى الخشاب - التقاء الحضارتين - ص ٣٢ - ٣٣ .

أسماء كتب ماني

لماني سبعة كتب ، أحدها : فارسي . والأخرى بلغة سوريا ، فمن ذلك :

* كتاب سفر الأسرار .
* كتاب سفر الجبابرة .
* كتاب فرائض السماعين .
* كتاب الشابرقان .
* كتاب سفر الأحياء .
* كتاب فرقماطيا .... (١)

أسماء الرسائل التي تنسب إلى ماني

ولماني عدة رسائل أورد منها صاحب الفهرست أكثر من سبعين رسالة منها :

رسالة الأصليين ، رسالة الكبراء ، رسالة هند العظيمة ، رسالة قضاء العدل ، رسالة فتق العظيمة ، رسالة أرمينية ، رسالة الكلمات العشر ... الخ.(٢)

---

(١) انظر ابن النديم - الفهرست - ص ٤٧٠ .

(٢) انظر نفس المرجع السابق - ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

بداية دعوته ومدى انتشارها

عندما أتم مانى أربعا وعشرين سنة جاءه الملك - كما يزعمون - وقال له : حان لك أن تخرج فتنادى بأمرك. وخرج يوم ملك سابور بن اردشير يبشر بدينه الجديد ووضع التاج على رأسه ومعه رجلان من أتباعه أحدهما يقال له : شمعون والآخر زكوا ومعه أبوه ينظر ما يكون من أمره .

وزعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام وأنه يرى الوحى فى صورة ملاك أسمه القرين وأنه يكشف له عن الحقائق الالهية فهو قد أتى لتكميل كلام الله وهو خاتم الأنبياء .

وبذلك استطاع أن يؤثر فى الكثير من الناس فصدقوا ما يقوله من قصص وأساطير ، وتبعه خلق عظيم من المجوس ادعوا له النبوة وما زال على تلك الحال حتى قتل كما سيأتى .
وفى بداية دعوته حاربه الزرادشتيون فى ايران كما حاربه المسيحيون فى الغرب.

كذلك بعد ظهور المانوية أيضا كمنافس للزرادشتية التى فرضت على ايران كدين رسمى وبعد أن راجت فى ايران، تجمع رجال الدين الزرادشتى وعادوا لمحاربتها، ولكنه بالرغم من ذلك الاضطهاد الذى لاقاه مانى واتباعه الا أنه لم ييأس بل حاول أن يبشر بمذهبه فى شمال الهند والتبت وتركستان الشرقية وخراسان وعاد الى ايران فى عهد هرمز الأول فرحب به الملك ترحيبا مشجعا واستطاع أن يظفر بدخول الملك بهرام الأول فى دينه فبذلك اشتد ساعده وقويت شوكته ، ولما رأى الملك مالحق بالدولة من فساد بسبب دعوته أمر به فقتل ، وحتى بعد مقتله تابعت الدولة سياسة البطش والاضطهاد بأتباعه مما زاد فى حماسهم ونشاطهم فأخذوا يعملون جاهدين على نشرها فى الخارج فانتشرت فى المغرب وكان لها اتباع الى أقصى حدود الدولة الرومانية ، وفى الشرق كان لها اتباع حتى بلغت الصين. ومع أنها كانت بغير دولة تحميها وترعى مصالحها، بل أصبحت مشتتة ، قد تفرق أصحابها، الاّ أنه بالرغم من ذلك نجد أنها قد ظلت حتى القرن السابع عشر . أما فى ايران فقد سرت فى الخفاء وذلك بسبب مقتل مانى وأصحابه ، وقد كان هناك البعض

من أفرادها الذين أرادوا الاحتفاظ بها فقد فضلوا ترك ايران ليمارسوا عقيدتهم فى الخارج فى حرية تامة[1].

ويقول المسعودى فى هذا : ان (المانوية انتشرت فى مصر قبل الاسلام بين النصارى ، ويذكر ان بطريق الاسكندرية طيماوس اطلق للبطارقه والأساقفه والرهبان ببلاد مصر والاسكندرية أكل اللحم لأجل الثنوية ليعرف من كان منهم ثنوي المذهب لذا كانت الثنويه تمتنع عن ذلك .

فأما البطارقه والاساقفه والرهبان بغير مصر والاسكندرية كروما وأنطاكيه وغيرهما من البلاد فانهم امتنعوا عن أكل اللحم ، وأكلوا بدلا منه السمك محنة لهم،اذ كانت الثنوية لاتأكل اللحم ولا السمك الا السماعين منهم فان منهم من يأكل اللحم ومنهم من يأكل السمك دون اللحم .)[2]

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٢ - ص ٥ - وسامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى ج ١ - ص ١٧٥ وابن النديم الفهرست - ص ٤٥٧ - ويحيى الخشاب - التقاء الحضارتين ص ٣٠ - ٣٢ ونفس المؤلف ايران فى عهد الساسانيين ص ١٧٢ .

(٢) التنبيه والاشراف - ص ١٢٦ - ١٢٧ .

جانب العقيدة عند ماني

أخذ ماني في بداية أمره يدعو الى الفضيلة الصارمة والحياة المستقيمة وبعض المبادئ كالتعفف عن قتل الحي في شتى صوره والزهد في الدنيا ، واجتناب السحر وعبادة الأوثان ،وهذا ليس بالغريب ،ولا عجب منه لأن هذه هي طريقة الكثير من الفرق والمذاهب الفاسدة الضاله . فهي تبدأ بنفس هذه البداية .وهذا مما يدل على خطورة الأمر لأن النفس البشرية التي مازالت فطرتها سليمة وخالية مما يعكر صفوها ويدنسها من الشوائب لاتقبل الا ما يوافق حقيقتها الانسانية السليمة أو بالأحرى نجد أن الكثير من البشر الذين وان شابتهم بعض الشوائب في هذه الحياة لكنهم بطبيعتهم الانسانية يميلون الى المبادئ الصحيحة والتمسك بالفضيلة والحياة المستقيمة .

فهذه المبادئ لاتعافها النفس وان لم يعمل بها البعض من البشر لكنها مقربة الى النفس ، محببة لها . أدركت المانوية بخبثها هذا الشيء وبدأت به في الدعوة الى مبادئها وأفكارها وعقائدها . وقد استطاعت بالفعل التأثير في الكثير من الناس واجتذابهم اليها ثم بعد ان تمكنت أخذت تدعو الى الاباحية والكفر الذي شمل تلك الدعوة أو ذلك المذهب.(1)

(1) انظر العراقي - الفرق المفترقة -ص ٦٧ ولترالسون -تاريخ العالم ص ٣٦٦ .

عقيدته في أصل العالم

ان القول بالنور والظلمة كان قبل ماني كما تقدم عند الكلام على زرادشت ولما جاء ماني مشى في نفس الطريق بل نراه يحاول تأصيل الثنويه :

يقول الشهرستاني : ان ماني زعم (أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمه وأنهما أزليان لم يزالا ، ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء الا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين ، دراكين سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك في النفس ، والصورة ، والفعل ، والتدبير ، متضادان ، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل)[(١)] .

والسبب الذي جعلهم يقولون بالأثنينية أنهم حاولوا تفسير الشر الموجود في العالم فأخذوا يبحثون في تلك الأصول التي تقوم على الخير والشر ولكن نجد أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا صدور القوتين الخير والشر عن مصدر واحد لذلك قالوا : بالمبدأين النور والظلمة ، وبالفارسية " يزدان " و " اهرمن " .

---

(١) الملل والنحل - ج ١ - ص ٢٤٤ ، وانظر ابن حزم - الفصل - ج ٢ - ص ٨١ والبغدادي الفرق بين الفرق - ص ٢٧١ ، ويحيى الخشاب التقاء الحضارتين - ص ٣٥ - ٣٨ . ونفس المؤلف - ايران في عهد الساسانيين - ص ١٧٢ . والقاضي عبد الجبار - المغني ج ٥ - ص ١٠٤ .

هذا كما أنهم أرادوا ألا يضيفوا الى الله خلق ما ظنوه شرا .

يقول الملطي الشافعي : ان المانوية (يزعمون أن الهين وخالقين ، خالق للخير والنور والضياء ، وخالق للشر والظلمه والبلاء ، نزهوا الله وزعموا أنه لم يخلق الظلمة والبلاء ، والهوام والسباع ، فجعلوا معه لما نزهوه شريكا خلق هذه الأشياء ، وزعموا أن الله تعالى خلق الروح الجارى فى الجسد ، فقالوا : ألا ترى الروح اذا فارق الجسد أنتن ، وأن الخالق الآخر عندهم خلق الجسد والله لا يخلق نتنا ولا قذرا ، فجعلوا للخلق كلهم خالقين تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ...)[1].

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - ص ٩٢ .

الشريعة عند ماني

لقد لبست المانوية لباس التصوف الذى تسترت به واخفت الحقيقة من ورائه وخدعت الكثير في ذلك ، فقد ظهرت بظاهر حسن ودعت الى الزهد فى الدنيا والعمل للآخرة وترك الفواحش والابتعاد عنها وجعلت من الفرائض العشر فى شريعتها : ترك الزنا ، والسرقة وتعليم العلل والسحر.

يقول ابن النديم : (فرض ماني على أصحابه عشر فرائض على السماعين ويتبعها ثلاث خواتيم ، وصيام سبعة أيام أبدا فى كل شهر. فالفرائض هى الايمان بالعظائم الأربع : الله ونوره ، وقوته ، وحكمته ، فالله جل اسمه ملك جنان النور ، ونوره الشمس والقمر ، وقوته الاملاك الخمسة وهى : النسيم ، والريح ، والنور ، والماء ، والنار ، وحكمته الدين المقدس ، وهو على خمسة معانى : المعلمين أبناء الحلم ، المشمسين أبناء العلم ، القسيسين أبناء العقل الصديقين أبناء الغيب ، السماعين أبناء الفطنة ، والفرائض العشر ترك عبادة الأصنام ، ترك الكذب ، ترك البخل ، ترك القتل ، ترك الزنا ، ترك السرقة ، وتعليم العلل والسحر ، والقيام بهمتين ، وهو الشك فى الدين والاسترخاء والتوانى فى العمل).[1]

أما الصلاة : عندهم فى اليوم أربع مرات أو سبع .

---

(١) الفهرست – ص ٤٦٥ .

والصوم : متى ما نزلت الشمس القوس وصار القمر نورا يصام يومان ولا يفطر بينهما ، واذا أهل الهلال يصام يومان لا يفطر بينهما ، ثم من بعد ذلك يصام يومان في الجدي ، ثم اذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام كذلك يصام حينئذ ثلاثون يوما ، والفطور يكون عند غروب الشمس كل يوم .

ثم تنتقل الى تحريم اللحوم ومس الماء الطهور ثم من هذا الى القول بعبادة النور والظلمة ثم الى القول بالاباحية والتحلل حيث أباحت نكاح الأخوات والبنات وسرقة الأطفال من الطرق لانقاذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور على حسب ما تزعم المانوية . ثم قالت بقطع النكاح ، كما قالوا أيضا بالاغتسال بالبول ..

هذا وبالاضافة الى ما سبق يتضح لنا مدى فساد هذا المذهب الذى قد أتى بمثل هذه التعاليم الفاسدة والتى ليس لها سوى المردود السيء على النفس **بل على البشرية جمعاء.**

أما ما يعتقده مانى فى الشرائع والأنبياء ، فانه يقول : ان أول من بعثه الله بالحكمة والعلم هو آدم ثم شيث ثم نوح ، ثم ابراهيم عليهم الصلاة والسلام

ثم بعث بالبدده[1] الى الهند والمسيح الى أرض الروم والمغرب وزرادشت الى فارس وبولس بعد المسيح اليهم ، فجعل دعوته خاصة بالعرب فقط.

كذلك نجد أن البعض من المراجع تروى عنه بأنه يقول : بنبوة عيسى عليه السلام ولايقول : بنبوة موسى عليه السلام، وفى البعض الآخر منها كالفهرست لابن النديم يذكر عنه أنه ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ويرميهم بالكذب ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم وتكلمت على ألسنتهم بل يزعم أنهم شياطين بما فيهم عيسى عليه السلام.[2]

الحقيقة أن المؤرخين وأصحاب الفرق قد اختلفوا فى تصوير رأى مانى فى الأنبياء وذلك لأن المانويه افترقت الى عدة فرق ولعل كل مؤرخ يكتب بما يكون قد سمع عن تلك الفرقه التى كان قد عاصرها أو سمع عنها ، أو حكم تبعا لما تحت يديه من مراجع .

---

(١) البد اسم للجنس ، والأصنام كالأنواع ، فأما صفة البد الأعظم فانسان جالس على كرسى ، لا شعر بوجهه مغموس الذقن فى الفقم ما هو مشتمل بكساء ، كالمبتسم عاقد بيده اثنين حسب حال الانسان ، أما من الذهب المرصع بأنواع الجواهر أو الفضة أو الصفر أو الحجارة أو الخشب ، يعظمونه كيف استقبلهم بوجهه ، أما من المشرق الى المغرب ، أو من المغرب الى المشرق ولكنهم فى الأكثر يستدبرون به المشرق ، حتى يستقبلون المشرق والجمع البدده .

(ابن النديم - الفهرست - ص ٤٨٧) .

(٢) انظر ابن النديم - الفهرست - ص ٤٦٥ - ٤٦٦ والشهرستانى - الملل - ج ١ ص ٢٤٨ ويحيى الخشاب - التقاء الحضارتين ص ٤١ .

عقيدته في بداية الخلق

يقول الشهرستاني[(١)] : (اختلف المانويه فى المزاج وسببه والخلاص وسببه .

قال بعضهم : ان النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار .

وقال أكثرهم : ان سبب المزاج ان أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت النور فبعثت الأبدان على ممازجة النور فأجابتها لاسراعها الى الشر فلما رأى ذلك ملك النور وجه اليها ملكا من ملائكته فى خمسة اجناس من أجناسها الخمسة فأختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فخالط الدخان النسيم وانما الحياة والروح فى هذا العالم من النسيم . والهلاك والآفات من الدخان ، وخالط الحريق النار ، والنور الظلمة ، والسموم الريح ، والضباب الماء فما فى العالم من منفعة وخير وبركة فمن اجناس النور ، ومافيه من مضرة وشر وفساد ، فمن أجناس الظلمة .)[(٢)]

---

(١) أى امتزاج النور والظلمة .

(٢) الملل ـ ح ١ - ص ٢٤٧ وانظر يحيى الخشاب ـ التقاء الحضارتين ص ٣٦ - ٣٧ .

عقيدته في نهاية الخلق

كيف تكون نهاية العالم على حسب مذهب ماني ؟

ذلك انما يكون بتخلص النور من الظلمة ، يقول الشهرستاني :

(فلما رأى ملك النور هذا الامتزاج أمر ملكا من الملائكة فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتخلص أجناس النور من أجناس الظلمة وانما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة فالشمس تستصفى النور الذى امتزج بشياطين الحر ، والقمر يستصفى النور الذى امتزج بشياطين البرد والنسيم الذى فى الأرض لايزال يرتفع لأن من شأنها الارتفاع الى عالمها وكذلك جميع أجزاء النور أبدا فى الصعود والارتفاع واجزاء الظلمة أبدا فى النزول والتسفل حتى تتخلص الأجزاء من الأجزاء ويبطل الامتزاج وتنحل التراكيب ويصل كل الى كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد .

قال : ومما يعين فى التخليص والتمييز ورفع أجزاء النور : التسبيح والتقديس والكلام الطيب ، وأعمال البر ، فترتفع بذلك الأجزاء النورية فى عمود الصبح الى فلك القمر ، ولا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر الى نصفه فيمتلىء فيصير بدرا ثم يؤدى الى الشمس الى آخر الشهر وتدفع الشمس الى نور فوقها ، فيسرى ذلك فى العالم الى أن يصل الى النور

الأعلى الخالص . ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من اجزاء النور شيء في هذا العالم الا قدر يسير منعقد ، لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذى يحمل الأرض ، ويدع الملك الذى يجذب السموات ، فيسقط الأعلى على الأسفل ، ثم توقد نار حتى يضطرم الأعلى والأسفل ولا تزال تضطرم حتى ينحل مافيها من النور ، وتكون مدة الاضطرام ألفا وأربعمائه وثمان وستين سنة .

..... وزعم أبو سعيد **المانوى** رئيس من رؤسائهم - أن الذى مضى من المزاج الى الوقت الذى هو فيه ، وهو سنة احدى وسبعين ومائتين من الهجرة : أحد عشر ألفا وسبعمائة سنة ، وأن الذى بقى الى وقت الخلاص : ثلاثمائه سنة .

وعلى مذهبه مدة المزاج اثنا عشر ألف سنة ، فيكون قد بقى من المدة خمسون سنة في زماننا هذا ، وهو احدى وعشرون وخمسمائة هجرية .[1]

فنحن في آخر المزاج وبدء الخلاص . فإلى الخلاص الكلى وانحلال التراكيب خمسون سنة).[2]

---

(١) ان هذا الذى يزعمه مانى ويدعيه لأكبر دليل على كذبه في دعواه النبوه حيث ان العالم لا يزال كما هو فلو كان نبيا لصدق ما أخبر به عن نهاية العالم .

(٢) الملل - ح ١ - ص ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ .

عقيدته في المعاد

اعترف مانى باليوم الآخر ولكن على طريقته فقد قال بالتناسخ حيث قال فى بعض كتبه :

ان الأرواح التى تفارق أجسادها نوعان : أرواح صديقين وأرواح أهل ضلاله ، فأرواح الصديقين بعد مفارقتها الأجساد فانها سرت فى عمود الصبح الى النور الذى فوق الفلك فبقيت فى السرور الدائم فى ذلك العالم ، أما أرواح أهل الضلالة فهى تريد اللحوق بالنور الأعلى ولكنها ترد منعكسة الى السفل حيث تتناسخ فى اجسام الحيوانات فهى تنتقل من حيوان الى حيوان حتى تصفو ثم تلتحق بعد ذلك بالنور الذى فوق الفلك.[(١)]

ويلخص جاكسون وهو يبحث عن الموضوع بتوسع ، ملاحظاته على النحو الآتى :

(اننا على حق اذا اعتقدنا أن مانى قد اتخذ من هذا المذهب - التناسخ - مبدأ خاصا فى تعاليمه الدينية . . .) [(٢)].

(١) انظر البغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٧١ والاسفرايني - التبصير ص ٨٠ .
(٢) نقلا عن يحيى الخشاب - ايران فى عهد الساسانيين - ص ١٨٢ .

لقد أخذت المانويه بفكرة التناسخ[1] من المذاهب الهندية عندما نفى مانى من " ايرانشهر " فدخل الهند ونقل منهم التناسخ حيث قال فى سفر الاسرار : (ان الحواريين لما علموا أن النفوس لا تموت، وأنها فى التردد منقلبة الى شبه كل صورة هى لابسة لها، ودابة جبلت فيها، ومثال كل صورة أفرغت فى جوفها، سألوا المسيح عن عاقبة النفوس التى لم تقبل الحق ولم تعرف أصل كونها، فقال : أى نفس ضعيفة لم تقبل قرائنها من الحق فهى هالكة لا راحة لها ، وعنى بهلاكها عذابها لا تلاشيها ، فانه قال أيضا : قد ظن " الديصانيه " أن عروج نفس الحياة وتصفيتها هو فى جيفة البشر ولم يعلموا عداوة الجيفة النفس ومنعها اياها عن العروج وأنها لها حبس وعذاب مؤلم ولو كانت صورة البشر هذه حقا لم يدعها خالقها ان تبلى وتحدث فيها المضرة ولم يحوجها الى التناسل بالنطف فى الأرحام ....)[2].

---

(١) انظر يحيى الخشاب - التقاء الحضارتين - ص ٤١ ، ونفس المؤلف ايران فى عهد الساسانيين - ص ١٨١ .

(٢) البيرونى - ماللهند من مقوله - ص ٤١ - ٤٢ .

نهاية ماني

ان جميع الروايات قد اتفقت على أنه مات قتيلا ولكننا نجد أنها اختلفت في الكيفية ، فبعض الروايات تروى أن بهرام أظهر احتيالا في استجابته لماني بعد أن عرض عليه ماني مذهب الثنويه فكانت تلك الاستجابة خدعة منه حتى جعله يحضر دعاته المتفرقين في البلاد وأصحابه الذين كانوا يتبعونه على نفس مذهبه فقتله بهرام ورؤساءه معه .

وبعض الروايات تقول : ان ماني بعد أن ظفر بدخول الملك بهرام الأول (٢٧٣ - ٢٧٦) في دينه وقويت به دعوته حاربه رجال دين زرادشت جدالا عن دينهم ونجحوا في مجادلتهم حيث عدل الملك عن مذهب ماني الى ملتهم وسلم ماني واتباعه لرجال دين زرادشت وأمر بقتله سنة (٢٧٣ - ٢٧٤) فقتلوه قتلة شنيعه وسلخوا جلده وحشوه بالتبن وقطعوا رأسه وعلقوه على بوابة المدينة ليكون عبرة لمن يجرؤ على الكفر بدين زرادشت .

والبعض منها أيضا يقول : ان بهرام بن هرمز قد استبرى ما عند ماني فوجده داعية للشيطان فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبنا وعلق على باب من أبواب مدينة جندى سابور

وقتل أصحابه ومن تبعه في ملته ، وبعض الروايات تذكر أنه قتل زمان سابور بن بهرام .

والبعض منها يقول أنه مات في الحبس والصلب لاشك فيه[1] .

ولكن الذى نحب ان نلفت اليه الانتباه أننا لو حاولنا أن نلتمس أسباب قتله فإننا لا شك سنجد أن من أهم تلك الأسباب بل ويكاد يكون السبب الأساسي هو أنه حض على عدم التناكح لقطع النسل في دولة هي احدى الدولتين العظيمتين اللتين تقتسمان العالم في ذلك الحين (فارس والروم) فدولة تحتاج الى الجنود لتقف أمام عدوها ، هل ترضى بدين هذا شأنه ان ينتشر ليدمرها من الداخل وذلك بقطع نسلها .؟

ولما كان ذلك غير ممكن كانت النهاية هي قتل صاحبه اذ لا يمكن أن يكون السبب في قتله هو لأنه يدعو الى الثنويه لأن فارس هي بلاد الثنويه وليست بلاد التوحيد .

اذاً ، السبب الأساسي في مقتل مانى كونه يدعى أن العالم شر وأن التخلص من ذلك لايكون الا بقطع النسل

---

(١) انظر الطبرى -ج ٢ - ص ٥٣ وابن النديم - الفهرست - ص ٤٦٨ - والبغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٧١ والمسعودى مروج الذهب -ج ١ - ص ٢٥٠ - ٢٥١ - ويحيى الخشاب التقاء الحضارتين - ص ٣٢ - ٣٣ - ٤١ - ٤٣ .

وعدم التناكح ، ودعا الى ذلك فكانت نهايته .

يقول ابن حزم : (ان مانى قتله الملك بهرام ابن بهرام اذ ناظره بحضرته آذرباد ابن ماركسفند موبذ موبذان فى مسألة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم ، فقال له الموبذ : أنت الذى تقول : بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ورجوع كل شكل الى شكله ، وان ذلك حق واجب ، فقال له مانى : واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج ، فقال آذرباد : فمن الحق الواجب ان يعجل لك هذا الخلاص الذى تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم . فانقطع مانى . فأمر بهرام بقتل مانى ، فقتل هو وجماعة من أصحابه) .[1]

---

(١) الفصل فى الملل والنحل - المجلد الأول - ج ١ - ص ٣٦

المزدكيـة

نسبتهـا :

المزدكيـة تنسب الى مؤسسها مزدك أو مزدق كما جاء في بعض الروايات ، ومزدك هذا : فارسى الأصل من نيسابور ولد في أواخر القرن الخامس[1] ، وكان ظهوره في أيام قباذ بن فيروز ، وكان مانويا أول الأمر تابع مانى فى القول بالأصلين القديمين (النور والظلمة) الا أنه اختلف عنه فيما بعد كما سيتضح ذلك في عقيدته الثنويه[2] .

يقول المسعودى : (وهو المتأول كتاب زرادشت المعروف بالابستاق ، والجاعل لظاهره باطنا بخلاف ظاهره ، وهو أول من يعد من أصحاب التأويل والباطن والعدول عن الظاهر في شريعة زرادشت)[3] .

---

(١) يذكر ابن النديم اثنين يطلق على كل منهما مزدك أولهما مزدك القديم وكان يدعو الى الاباحية ، والثانى مزدك الأخير الذى ظهر أيام قباذ ، وهو ما نؤرخ له (الفهرست ص ٤٧٩)

(٢) انظر سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفي - ج ١ - ص ١٩٧ - والملطى الشافعى - التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع - ص ٩٢ ، ومحمد الديلمى - بيان مذاهب الباطنية - ص ٢٤ والمسعودى - مروج الذهب ج ١ - ص ٢٦٣ والشهرستانى - الملل - ج ١ - ص ٢٤٩ والخوارزمى مفاتيح العلوم ص ٥٦ وابن النديم - الفهرست ص ٤٧٩ - ٤٨٠ وجمال الدين - الرد على الدهريين - ص ٧٧ .

(٣) التنبيه والاشراف - ص ٨٨ .

عقيدته في الأصلين النور والظلمة

يوضح لنا الشهرستاني هذه العقيدة عند المزدكية نقلا عن الوراق حيث يقول : أن قول المزدكية في الأصلين كقول الكثير من المانويه ، أى أن مزدك بدأ يناقش الصلة بين النور والظلمة الا أنه اختلف عنهم بعد ذلك حيث يقول : (ان النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق .

والنور عالم حساس ، والظلام جاهل أعمى ، وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار ، وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار) .[1]

لقد تابع مزدك ، ماني في القول : بالأصلين القديمين (النور والظلمة) ولكننا نجد أنه اختلف عنه في قوله : ان النور يفعل بالقصد والاختيار ، وان امتزاج كل منهما بالآخر كان اتفاقا ، وخلاصهما كان أيضا اتفاقا .

ثم نعود مرة أخرى الى قول الشهرستاني حيث يقول : (ومذهبه

---

(١) الملل والنحل - ج ١ - ص ٢٤٩ ، وانظر سامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي - ج ١ - ص ١٩٧ ، ويحيى الخشاب : ايران في عهد الساسانيين - ص ٣٢٦ .

فى الأصول والأركان أنها ثلاثة : الماء والأرض والنار . ولما اختلطت حدث عنهما مدبر الخير ، ومدبر الشر ، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر . وروى عنه : أن معبوده قاعد على كرسيه فى العالم الأعلى ، على هيئة قعود خسرو فى العالم الأسفل ، وبين يديه أربع قوى : قوة التمييز ، والفهم ، والحفظ والسرور كما بين يدى خسرو أربعة أشخاص ... وتلك الأربع يدبرون أمر العالم بسبعة من ورائهم ... وهذه السبعة تدور فى اثنى عشر روحانيين ... وكل انسان اجتمعت له هذه القوى الأربع والسبع ، والاثنا عشر : صار ربانيا فى العالم السفلى ، وارتفع عنه التكليف ...).(١)

(وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضه والقتال - ولما كان أكبر ذلك انما يقع بسبب النساء والأموال فأحل النساء وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ ، وحكى أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ، ومزاج الظلمة).(٢)

---

(١) الملل والنحل -ج ١ - ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وانظر يحيى الخشاب - ايران فى عهد الساسانيين ص ٣٢٧ ، وسامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ١٩٧ .

(٢) الملل والنحل -ج ١ - ص ٢٤٩ .

هنا تظهر نوايا المزدكية في الدعوة الى الحلول والتحلل بشكل واضح ، يصير ربانيا ثم يتحلل من جميع التكاليف وتسقط عنه ويحل له أن يفعل ما يشاء من شيوعية في المال والنساء دون أن يكون هناك أى رادع يردعه .

انه مادام قد أباح الأعراض والأموال لكل الناس فاننا نستطيع ان نقول أنه لا يزيد عن تقنين الاباحية واللصوصية لأن أى عقل لا يمكن أن يقبل اباحة الأعراض ، نأخذ هذا الأمر من أى زاوية ، ان أخذناه من زاوية الأمراض فانه سيكون سببا في انتشارها وان أخذناه من ناحية التربية فان الطفل الذى يحرم حنان الأبوين يكون قد حرم كل شىء مهما أكل وشرب . وان أخذناه من ناحية المرأة فانها ستذهب الى الضياع ولن تكون الاتسليه في يد مجموعة من الشواذ يرمون بها بعد ذلك في عرض الطريق أو في ملجأ من الملاجىء على أحسن تقدير ، وان أخذناه من ناحية المال والاقتصاد فان الذى يعلم ان تعبه سترجع ثمرته الى غيره سيسأل نفسه لم التعب ؟ .

وقبل كل هذا وبعد كل هذا هو الدين الالهى الذى لا يبيح شيئا مما أتى به مزدك .

اذا فليس صحيحا ما يدعيه البعض من أن مزدك انما يدعو

الى العدالة الاجتماعية ، بل انه فى الحقيقة بمذهبه ذاك انما يسعى الى عكس ما يدعيه له هؤلاء ،انه انما يسعى الى افساد ذلك المعنى والى تخريب الحياة الاجتماعية ،وبالفعل قد كان لذلك الأثر السيء على العالم الاسلامى فى ذلك العصر حيث تفشت الاباحية والتحلل بين معظم الفرق الباطنية كالقرامطة والصوفية المنحرفة ، والحركات الزندقية الهدامة كالراوندية [1] ، والمقنعيه [2] ، والخرمية [3] ، هذا بالاضافة الى تأثر الكثير من الأفراد بها والذين لم يكونوا تابعين لفرقة معينة ولا لأى حركة من تلك الحركات الثائرة ، وانما هم قد تأثروا بتلك الأفكار الأباحية لأنها كانت منتشرة بشكل ملحوظ فى وسط ذلك العصر العباسى ، فتأثر بها هؤلاء الأفراد ، فالبعض منهم كانت تظهر فى شعره ، والبعض الآخر كان يمارسها كعقيدة ولم يكن له اتباع ولم تكن له فرقة قائمة بنفسها وانما هم مؤمنون بتلك الأفكار ويمارسونها بين بعضهم البعض وهذا ما سيتضح لنا بشكل أوسع فى أثر المصادر الأجنبية على العالم الاسلامى فى الفصل الرابع .

(١، ٢، ٣) انظر ص ٣١٣ ، ٣٣٣ من الرسالة من الباب الثانى (الحركات) .

دعوته إلى الأباحية

ظهر مزدك كما ذكرت سابقا أيام قباذ والد أنو شروان ثم دعا قباذ الى مذهبه فأستجاب له فى بداية الأمر ولكن ما لبث الا أن قتله وسوف نعرف ذلك وأسبابه فى نهاية مزدك.

يقول يحيى الخشاب : (انه مما لاشك فيه أن دعوة مزدك كانت فى بداية أمرها دعوة للعدالة الاجتماعية قصد منها تحقيق تلك العدالة بين أفراد الشعب الفارسى، فلا تكون مجاعة وبطون الأغنياء ملوءة بما هو فائض عن حاجاتهم. ولكن قال : ان افلات الزمام من يد المصلح هو الذى جعل الشعب يندفع منساقا وراء ما تمليه عليه الشهوة والجنس دون أى تفكير، فبذلك أحدثت المزدكية هزة عنيفة للدين الزرادشتى حيث أصبح ذلك النظام الجائر، نظام الطبقات مقيتا عند عامة الشعب وعند غير المنتفعين من أهل الرأى، بل أصبحت العقول مهيأة لتقبل نظام جديد يدعو الى المساواة العادلة[1]) . هذا مايراه يحيى الخشاب.

ثم يتابع ذلك حيث يقول أيضا : (فاضطهد غير الزرادشتين اضطهادا شديدا فمنهم من اضطر الى ترك موطنه لينجو بنفسه

---

(١) انظر التقاء الحضارتين ص ٤٦ .

فظل متربصا ليعود الى بلاده فى حكم جديد ، ومنهم من أعلن الزرادشتيه وأبطن المانويه أو المزدكيه حتى لاتضار مصالحه[١])

ومن هنا بدأت الباطنية فى العصر العباسى لأنهم تعودوا على اظهار مالا يبطنون (ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية ،كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين الى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين) [٢].

وتعقيبا على قول الخشاب أقول : ان مزدك لو أراد الناحية الاجتماعيةومساعدة الفقراء كما قال لطلب من الملك - وقد كان قريبا منه فى بعض الأوقات - ان يجبر الأغنياء بأن يخرجوا من أموالهم للفقراء ، أما أن يدعو الى الاشتراك فى النساء بحجة العدالة الاجتماعية فهذا مالا يقول به عاقل .

ثم ماذا ينتظر من رجال الدين أيام كانت تلك الفوضى ؟ هل يسكتون ؟

انى هنا مع جمال الدين الأفغانى فى تصويره الأثر السىء لمزدك على ترابط الأمة الفارسية ،وكيف كان سببا فى انهيارها .

---

(١) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة وتراث فارس - ص ٥
(٢) البغدادى - الفرق بين الفرق -ص ٢٨٤ .

يقول جمال الدين : (ان مزدك انتحل لنفسه لقب "رافع الجور ودافع الظلم" ، بنزعة من نزعاته ، قلع أصول السعادة من أرض الفارسيين ونسفها فى الهواء وبددها فى الأجواء فانه بدأ تعاليمه بقوله :

جميع القوانين ، والحدود ، والآداب التى وضعت بين الناس قاضية بالجور ، مقررة للظلم ، وكلها مبنى على الباطل ، وان الشريعة الدهريه المقدسة ، لم تنسخ حتى الآن ، وقد بقيت مصونة فى حرزها عن الحيوانات والبهائم . . . أى عقل ، وأى فهم ، يصل الى سر ما شرعته الطبيعة ؟ وأى ادراك يحيط بمثل ما أحاط به ، وقد جعلت الطبيعة حق المأكل والمشرب والبضاع[1] شاعا بين الآكلين والشاربين والباضعين بدون أدنى تخصيص .

فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته ثم تركهن لغيره يتمتع بهن انقيادا لما يخيله له الوهم مما نسميه شريعة وأدبا ؟ . . .)[2]

---

(١) الاتصال الجنسى (الجماع) لجمال الدين ـ الرد على الدهريين ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق نفس المؤلف ـ ص٧٧ - ٧٨ .

لقد اعتقد مزدك ان سبب الخلاف بين الأفراد النساء والأموال وان علاج ذلك هو أن يصبح كل ذلك حقا مشاعا بينهم يشترك فيه الكل ، فزعم أن الدنيا خلقها الله تعالى خلقا واحدا وخلق لها خلقا واحدا ، وهو آدم ، وجعله يأكل من طعامها ويشرب من شرابها ، ويتلذذ بلذائذها ، وينكح نساءها ولكنه عندما مات جعل ذلك ميراثا لذريته من بعده ، وقد جعل لهم كل ذلك بالسويه فمن قدر على مافى ايدى الناس وتناول نساءهم بسرقة أو خيانة أو بأى معنى عن المعانى فان ذلك له مباح .

هذه هى الاباحية بكل معانيها والتى نادى بها مزدك ودعا اليها (استباحة الأموال والفروج) وجعل الناس فيها شركة كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ .[1] وهذا هو السبب فى جذب الكثير اليها واتباعهم لها .

ويقول ابن النديم : (ولهم - أى للخرمية وأتباع مزدك القديم - مذهب فى الضيافات ليس لأحد

---

(١) انظر يحيى الخشاب - ايران فى عهد الساسانيين - ص ٣٢٨ - ٣٢٩ والشهرستانى - الملل - ج ١ - ص ٢٤٩ والخوارزمى مفاتيح العلوم - ص ٥٦ ومحمد الديلمى - مذهب الباطنية وبطلانه - ص ٢٥ والملطى الشافعى - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٢ والبغدادى الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ . ومحمد بديع شريف - القادسية الكبرى - ص ١٥١ وأحمد محمد جلى - دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين والخوارج والشيعة - ص ١٠٩ .

من الأمم اذا أضافوا الانسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائنا ما كان . وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذى ظهر فى أيام قباذ بن فيروز)[١] .

لقد بلغت الهمجية بالمزدكية الى حد أنهم طلبوا من قباذ نفسه ان يملكهم نساءه حيث قالوا له :

(. . . . . . . ليس يطهرك من ذلك الا اباحة نسائك . . . .)[٢] .

---

(١) الفهرست ص ٤٧٩ .
(٢) الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٢ - ص ٩٢ - ٩٣ .

نهاية مزدك

قتل مزدك سنة ٥٢٣ ، قتله كسرى انوشروان ، وأمر بهرؤوس أصحابه فضربت أعناقهم ،وقسمت أموالهم في أهل الحاجة .كما قتل جماعة كثيرة من الذين كانوا قد دخلوا على الناس في أموالهم ، فرد تلك الأموال الى أصحابها ، وأمر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو فيهم ، اذا لم يعرف أبوه وأن يعطى نصيبا من مال الرجل الذي يسند اليه اذا قبله الرجل .كذلك كل امرأة غلبت على نفسها يؤخذ الغالب لها حتى يغرم لها مهرها ويرضى أهلها ثم تخير المرأة اما أن تبقى عنده أو تزوج من غيره الا أن يكون لها زوج أول فترد اليه .

من خلال هذا يتضح لنا أن أنوشروان حاول أن يوجد الكثير من الاصلاحات لكي ينقذ البلاد مما تردت فيه من أوضاع سيئة قد أوصلها مزدك بمذهبه الفاسد الى ماوصلت اليه من وضع سيء لا تحمد عقباه.(١)

---

(١) انظر الشهرستاني - الملل - ج ١ - ص ٢٤٩ والبغدادي - الفرق بين الفرق - ص ٢٦٦ - والمسعودي - مروج الذهب - ج ١ - ص ٢١٣ - والمسعودي - التنبيه والاشراف - ص ٨٩ وابن النديم - الفهرست - ص ٤٨٠ - والطبري - تاريخ الأمم والملوك - ج ٢ - ص ١٠١ - ١٠٢ .

فرق المزدكية

يقول الشهرستاني : هم فرق الأسبيد خامكيه ، وأبو مسلميه والماهانيه ، والكوذيه بنواحي الأهواز[(١)]، وفارس وشهرزور[(٢)] والآخر بنواحي سغد[(٣)] سمرقند[(٤)].

---

(١) وهي جمع هوز ، وهي اسم عربي سمي به في الاسلام وكان اسمها في أيام الفرس (خوزستان) وقيل ان أول من بنى الأهواز أردشير ، وفتحت الأهواز سنة ١٥ هـ ، ثم نكث أهلها العهد فأعاد فتحها أبوموسى الأشعرى سنة ١٧ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأشهر ما نسب اليها من العلماء عبدالله بن أحمد بن موسى ابن زياد أبي محمد الجواليقي الأهوازي ، أحد الحفاظ توفي سنة ٣٠٦ هـ.
(ملخص ياقوت الحموي - معجم البلدان - ج ١ - ص ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٢) وهي كورة واسعة في الجبال بين أيل وهمذان ، أحدثها زورن الضحاك ومعنى شهر بالفارسية المدينة ، وأهل هذه الضواحي كلهم أكراد وهي مجموعة مدن وقرى .
(ملخص ياقوت الحموي ، معجم البلدان - ج ٣ - ص ٢٧٦).

(٣) تقع بين بخارى وسمرقند وهي قرى كثيرة ، وهي كثيرة المياه نضرة الأشجار خضرة الجنان وقد نسب اليها أبوالعلاء كامل بن مكرم بن محمد بن عمر بن دردن السغدى.
(ملخص الحموي - معجم البلدان - ج ٣ - ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

(٤) يقال لها بالعربية سمران قيل انه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر فتحها سعيد بن عثمان سنة ٥٥ في ولاية معاوية .
(ملخص ياقوت الحموي ، معجم البلدان - ج ٣ - ص ٢٤٦ - ٢٥٠).

والشاش[١] ، وابلاق[٢] . هذه هى أهم فرق المزدكية والتى ذكرها الشهرستانى[٣] .

وتفصيل هذه الفرق سيخرج بنا عن منهج البحث لذلك أمسك عن التفصيل .

وفى نهاية كلامنا عن المصدر الفارسى نقول أنه من هذه المنطقة كانت كل الحركات ضد الاسلام تقريبا .

(فهى المنطقة التى حاول الخليفة المهدى أن يقضى فيها على الزنادقة ، والتى ظهر فيها فيما بعد القرامطة ، وهى موطن الاسماعيلية ، وهى على كل حال مناوئة للعباسيين وكارهة للعرب عن التحقيق)[٤] .

---

(١) قرية يقال لها : شاس : النسبة اليها قليلة ولكن الشاش التى خرج منها العلماء ونسب اليها خلق من الرواة والعظماء فهى بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك وأهلها شافعية المذهب وانما شاع بها هذا المذهب مع غلبة مذهب ابى حنيفة فى تلك البلاد ... الخ .
(ياقوت الحموى معجم البلدان - ج ٣ - ص ٣٠٨ - ٣٠٩) .

(٢) مدينة من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك على عشرة فراسخ من مدينة الشاش وفى جبالها معدن الذهب والفضة ، ويتصل جبلها بحدود فرغانة وهى من قرى بخارى ونواحى نيسابور (ملخص معجم البلدان ، ياقوت الحموى ، ج ١ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

(٣) انظر الملل - ج ١ - ص ٢٥٠ .

(٤) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص ٤٤٦ .

الفصل الثاني

المصدر اليوناني

تمهيد

بدأت الفلسفة اليونانية[١] بالبحث في أصل الكون ، هل هو الماء ؟ ، هل هو التراب ؟ ، هل هو الهواء ، وفي أثناء ذلك كانت نظرية التفسير المستمر تغزو هذه العقلية ، ولما جاء السوفسطائيون[٢] ، نزعوا الثقة من العقل نهائيا وأغتني فكرهم على أنه لا حقائق ثابتة وانما الأشياء كما يراها الانسان فليس هناك حق مطلق ولا باطل مطلق وانما هناك نسبية وبالتالي يصبح التعليم مستحيلا لأن ما هو عندي بصفة كذا قد يكون عند غيري بغير هذه الصفة وكانت مهمة السوفسطائيين هي اكتساب القضية التي يدافعون عنها ، ولذلك كانوا يهتمون بصفة الجدل. ولما جاء سقراط[٣]

---

(١) محبة الحكمة . والفيلسوف هو فيلاوسوفا . وفيلا هو المحب ، وسوفا : الحكمة ، أي هو محب الحكمة (الشهرستاني ، الملل ، ج ٢ ، ص ٥٨) .

(٢) هم الذين لا يثبتون حقائق الأشياء ، وهي كلمة يونانية . (الخوارزمي ،مفاتيح العلوم ، ٢٦) .

(٣) ولد سقراط في أثينا حوالي سنة ٤٧٠ ق.م . من أب يحترف صناعة التماثيل ، وأم قابلة ،احترف حرفة أبيه ، ولبث يزاولها حينا قصيرا ثم ترك هذه المهنة ، وتخصص للفلسفة التي اعتبرها رسالته في الحياة وكان يعيش في أثينا مشتغلا بالفلسفة حتى أتهم في نحو سن السبعين بانكار آلهة اليونان ،والدعوة الى آلهة جديدة ، وأنه يفسد عقول الشبان فحكم عليه بالاعدام وأعدم .
(الشهرستاني - الملل - ج ٢ - ص ٨٣) .

حاول أن يقف ضد الفكر السوفسطائى فأوصى بدراسة النفس وهو صاحب القول المشهور اعرف نفسك ، ثم بدأ القول بالكليات لتكون موضوع المعرفة ولكن لما جاء أفلاطون وجدناه يقول بآراء هى ضد الأديان كلها ولا تتفق مع جوهر الأديان السماوية فى شىء. فوجدناه يقول بالتناسخ ثم بالشيوعيه فى النساء. ثم جاء أرسطو فقال بأزلية المادة ، وأن الله لايعلم شيئا عن العالم وانما العالم يتحرك بحركة شوق ،وأما النفس فهو يرى أنها صورة للجسد ، وكما أننا لا نستطيع أن نكسر التمثال مع الابقاء على صورته كذلك النفس لا يمكن أن تبقى بعد فناء الجسد،وان كان له بعض التحفظات بالنسبة للعقل. وبذلك نرى رأى أرسطو[1] يتعارض مع ما جاءت به الأديان حيث يذهب الى أن النفس ليست شيئا غير البدن وان كانت هى صورة له ويترتب على ذلك عدم البعث وعدم الحساب ، كما يتعارض مع الأديان فى قوله بأزلية المادة وأنها غير مخلوقة لله مهما

---

(١) هو أرسطو بن نيقوماخس الفيثاغورى ، تلميذ افلاطون ولازمه عشرين عاما ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه العقل ، واليه انتهت فلسفة اليونانيين وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم ، وكان معلم الاسكندر بن فيليبس ملك مقدونية وهو الذى خلص صناعة البرهان من سائر صناعات المنطق وصورها بالأشكال وجعلها آلة العلوم النظرية ،ولم يهتم فلاسفة الاسلام بالفلسفة اليونانية بقدر عنايتهم بفلسفته .
(انظر جمال الدين ، أخبار الحكماء ،ص ٢١ ، ٢٦ ،والبغدادى الفرق بين الفرق ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

حاول المدافعون عن أرسطوا أن يقولوا وان كان الفارابي نفسه لم يعرف رأى أرسطوا الحقيقي لأنه اعتمد على كتاب الربوبية الذى نسب الى أرسطو خطأ وبني عليه التوفيق بين رأى الحكيمين أفلاطون وأرسطو، والتوفيق[1] بين الفلسفة والشريعة. ثم كان أفلوطين بكل ما تأثر به من الفلسفة اليونانية والفكر المصرى القديم، والفكر الهندى، كل هذه الآراء المنحرفة صاغها أفلوطين[2] صياغة جديدة، وكون منها فلسفته،

---

(١) اعترف الفارابي بصحة القرآن الكريم ولكنه اعترف أيضا بأن الفلسفة صحيحة ولهذا لابد أن يتفق الاثنان، ولذلك لابد من اتخاذ خطوات للتوفيق بينهما (لأن الحق واحد، وأما الاختلافات الظاهرية فيمكن تعليلها وتبريرها، لقد افترض الفارابي أن أفلاطون وأرسطو متفقان وكان هذا هو الرأى المقبول يومئذ، وحيث أن أفلاطون كان معروف في الصورة الافلاطونية الحديثة التي صوره فيها فرفريوس فقد نتج عن مزجهما أن صار المذهب الذى اهتدى اليه الفارابي ومصطبغا أشد الاصطباغ بالأفلاطونية الحديثة (لاس اوليرى، علوم اليونان، ص ٢٤٤).

(٢) ولد أفلوطين سنة ٢٠٠ م، مصرى من أهل أسيوط، تتلمذ في مدرسة الاسكندرية، وسافر الى روما وهو في الأربعين من عمره واليه تنسب الافلاطونية الحديثة، ويقول عنه القفطي: هذا الرجل كان حكيما مقيما ببلاد اليونان، له ذكر، وشرح شيئا من كتب ارسطوطاليس، وذكره المترجمون في هذا النوع من جملة الشارحين لكتبه وخرج من تصانيفه من الرومي الى السرياني.
(انظر أخبار العلماء بأخبار الحكماء - للوزير جمال الدين القفطي ص ١٧٠).

التى تعرف بالأفلاطونية الحديثة ، وكان كما قلنا مؤسسا لقضية التثليث المسيحية ومبتدعا القول بأن الاله لا يوصف الا بالسلب ، ولا يوصف بشىء ايجابى .

كل هذه الوثنيات انتقلت الى العالم الاسلامى من طريق الترجمة فأشتركت فى زعزعة العقيدة وفسادها عند كثير من المسلمين[1] .

---

(١) انظر محمد غلاب - تاريخ الفلسفة الاغريقية - ص ٢٦ - ٢٧ ، (دي بور - تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٠) .

الاختلاف بين الفلسفة اليونانية والإسلام

الاسلام دين الهى أوحى به الله الى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والعقل الانسانى مهما كانت قوته لايمكن أن يصل الى الحق بنفسه فيما يتصل بالله سبحانه وصفاته واليوم الآخر والشرائع التى يحتاج اليها البشر.ولذلك كانت رحمة الله سبحانه فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. فالاسلام هو دين الحق الذى لا غنى للبشرية عنه فى سعادتها.وأما الفلسفة اليونانية فانها نتاج عقلى انسانى اختلطت بكثير من الثقافات والوثنيات وخاصة الآتية من الشرق كما تقدم .

ورغم ما يقال عن اليونان وحضارتها فاننا نجد فلسفتها يبدو فيها الاضطراب والقصور فيما يتعلق بالالهيات واليوم الآخر بحيث يستطيع الباحث ان يقول بيقين : انها فلسفة وثنية .

ان القرآن الكريم قدم للبشرية الحق فيما يتصل بالألوهية، وهو فى جوهره معارض لروح الفلسفة اليونانية (كانت الفلسفة اليونانية نغما تشاؤميا يعبر عن حياة أمة ملحدة

لم تعرف أبدا نعمة الوحى ، ولم تستمع الى أناشيده الجميلة ، وان كانت قد تشوقت على لسان أفلاطون ـ الى مركبه المتين ، وأعلنت الروح اليونانية ايمانها الكامل بفناء الفرد فناء أبديا . وخلود النوع خلودا سرمديا ، فلم تعرف قصة البعث ، وبالتالى لم تعرف قصة الخالق ، وفتشت الروح اليونانية فى زوايا العقل ومتعرجاته ، وأخذت تبرز فى دقة وعنف ما استطاعت من تفسير للوجود وللطبيعة وللانسان ، ولكنها لم تدرك أبدا أن هناك قوة أعلى من هذا الوجود العقلى ....)[1] قوة لها كل الصفات التى يجب أن تتصف بها ، فهى وان كانت قد ذكرت المبدأ الأول الا أنها تخبطت فى الصفات التى وصفته بها بما يتنافى نهائيا مع صفات الله التى جاءت بها الكتب الالهية التى حفظت من التغيير والتبديل .

وبذلك لم تدخل الفلسفة اليونانية على قوم يدينون بدين سماوى الا أفسدت عليهم عقيدتهم وانحطت بهم من علياء التوحيد الى حضيض الشرك .

---

(١) سامى النشار ـ نشأة الفكر الفلسفى ـ ج ١ ـ ص ١٠٢ .

عوامل انتقال الفلسفة إلى العالم الإسلامي :

وقدر للفلسفة اليونانية أن تنتشر في الشرق بعد أن أخذت منه وذلك لعدة عوامل من أهمها :

أولا : غزو الاسكندر للشرق واستصحابه بعثات علمية معه .

ثانيا : السوريان الذين قاموا بأخطر دور ثقافي حينما كانوا يذهبون الى اليونان يتعلمون ، ثم يرجعون ليدرسوا في مدارسهم الفكر اليوناني مختلطا بالشرقي وترجمة أكثر الكتب اليونانية الى السوريانيه .

ثالثا : انتشر الاسلام في هذه البلاد التي كان يعمها الفكر اليوناني مختلطا بالسورياني والشرقي عموما .

كان لابد للمسلمين ان يطلعوا على هذا الفكر وخاصة أن السوريان بدأ منهم من يدخل الاسلام ويتقن اللغة العربية ان بقى على دينه . وبدأت المجادلات الدينيه اليونانية من أجل العقائد بين المسلمين والمناوئين للاسلام وهنا كان لابد من أن تطلع عقول على ترجمة هذه الكتب التى كانت تحوى الفكر الأجنبي.[1]

---

(١) انظر حسن عون - العراق وما توالى عليه من حضارات - ص ٣٥ .

رابعا: دخول كثير من عقائد الفرس وأقوالهم الدينية في الجماعة الاسلامية ، وقد استخدم الفرس الأقيسة الصناعية المؤسسة على المنطق الأغريقي وذلك للدفاع عن عقائدهم مما جعل بعض علماء الاسلام يسلكون نفس طريقتهم بعد اتقانها ظنا منهم أن المنطق يعينهم في مجادلتهم الأجانب . كما توهموا لذة عقلية من دراسة الفلسفة ، فبعد أن كانت تطلب على أنها وسيلة للدفاع عن الدين أصبحت غاية في نفسها تطلب لذاتها ، حيث لم تتشبع أنفسهم بالعقيدة الاسلامية الصافية ، وحيث كان في عقيدتهم دخل أوجد عندهم الاستعداد لتقبل ذلك والأخذ منه[(١)].

خامسا : حكاه الأستاذ نللينو وهو أنه (في أواخر مدة الدولة الأموية ، تثبتت سلطة الاسلام على جميع الأمصار والأقطار التي دخلتها ألويته عنوة أو صلحا ،أثناء المغازي المتواصلة والفتوح من أقصى بلاد ما وراء النهر في تركستان ، الى منتهى المغرب والأندلس . فعمت اللغة العربية الشريفة أهل تلك الولايات والبلدان ، وغلبت

---

(١) انظر احمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ٢٦٦ ، ومحمد البهى الجانب الالهى - ١٦٨ ، وفاروق عمر - التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين - ص ١٧٣ .

على ألسنتهم ، فأخذ المسلمون كلهم من أى جنس أو أمة لا يستخدمون فى الانشاء والتأليف الا لغة العرب ، فابتدأت وحدة الدين تستوجب أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران - فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة فى التمدن الاسلامى الجديد) .(١)

سادسا : التاريخ الاسلامى يحدثنا أن الفرس هم الذين أسسوا الدولة العباسية حيث قامت على سواعدهم ، والفرس كانوا أهل ثقافة قديمة ، وكان لهم ميل موروث للعلم (فى آخر العصر الأموى والعصر العباسى توردت على العقل العربى الفلسفة الهندية ، والفلسفة اليونانية وقد جاءت الى المسلمين أرسال الفلسفة اليونانية عن طريق الفرس ، لأن الثقافة الفارسية قبيل الاسلام كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية ، كما جاءت عن طريق السريان ، لأنهم ورثوا الفلسفة اليونانية ، وألبسوها لبوسهم الدينى ، وسوحهم اللاهوتيه ، وعن طريق اليونان أنفسهم ، لأن بعض الموالى المسلمين كان يجيد اليونانية .)(٢)

---

(١) نقلا عن أحمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ٢٦٦ .
(٢) محمد أبوزهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية - ج ١ - ص ١١٧ .

والخلفاء العباسيون لم تكن تنشئتهم التنشئة العربية الخالصة ، وبحكم هذه التنشئة ، وبحكم ارضاء الرجال المبرزين من عصبيتهم السياسية كانوا يظهرون ميلهم للعلم كما كانوا يعملون على تشجيع العلماء .

كذلك يعد من ظاهرة هذا الميل سعيهم فى نقل الثقافات الأجنبية ، من أدب وسياسة وطب وفلسفة .... وأكثر الخلفاء العباسيين ميلا الى ذلك المنصور والرشيد والمأمون ويظهر أنه قد كان لكل منهم أسباب خاصة حملته على ذلك[1].

سابعا : اندفاع الكتاب الأعاجم أنفسهم لحفظ تراثهم وأدبهم الذى غمره التراث العربى الاسلامى الانسانى الجديد المكتوب باللغة العربية [2]. سادت الترجمة بطيئة نوعا ما حتى جاء العصر العباسى فاذا بها تنشط نشاطا قد لاتعهده فى أية أمة غير الأمة الاسلامية حيث ترجمت كتب المنطق وكتب الطب ثم كتب الالهيات وكانت الترجمة غالبا ما تكون من اللغة السوريانيه وهذا ما سوف نلاحظه فيما يأتى .

---

(١) انظر احمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ٢٦٦ - ومحمد البهى الجانب الالهى - ص ١٦٥ .

(٢) انظر فاروق عمر - التاريخ الاسلامى وفكر القرن العشرين - ص ١٧٣ .

انتشار الفلسفة في العالم الاسلامي

انتشر الاسلام في بلاد لها ديانتها المختلفة المتعددة ، ففي الجزيرة العربية كانت الوثنية والنصرانية وعلى أطراف الجزيرة العربية كانت الكنائس في مثل الرها والنصيبين التي كانت مراكز انتقل الفكر اليوناني مشوبا بالأفلوطونيه الحديثة تحوى كثيرا من العلوم اليونانية التي ترجمت الى السريانية وفي الشام كانت الثقافة اليونانية لها سيطرتها حيث كانت تابعة للدولة الرومانية ومن قبلها كانت سوريا قد خضعت للفكر الأغريقي وخاصة بعد فتح الاسكندر للبلاد والقضاء على ملك الفرس حيث اجتمعت اللغة اليونانية التي أصبحت لغة الطبقات المثقفة يتقنها من يريد تولي الوظائف ثم تدرجت حتى صارت لغة الثقافة. ومن المعلوم أن الرومان حينما جاءوا لم يستطيعوا القضاء على الثقافة اليونانية بل نجد الثقافة اليونانية هي التي تسيطر قبل الاسلام ، فمن المعلوم أن (سوريا خرجت من سلطان السلوقيين الأغريق وأصبحت جزءا من الامبراطورية الرومانية ولكن هذا التغيير كان قاصرا على الجانب السياسي فقط .

فلم يكن ثمة تغيير من الناحية الثقافية وذلك أن أثر روما كان يونانيا مثلما كان أثر السلوقيين من قبل تماما ، فقد اطردت الحياة الثقافية في سوريا وبلاد ما بين النهرين غير متأثرة

بالتغيير السياسى ، وكان الرومان منذ ذلك العهد حملة لواء الثقافة اليونانية التى أثرت على الشرق الأدنى[1] .)

(وكان من مقتضى الأحداث السياسية أن جعلت غرب آسيا خاضعا الى حد كبير للنفوذ الثقافى الاغريقى ، فقد كانت السيادة فيه طيلة قرون عدة لملوك سوريا من السلوقيين ومع أن ملوك هذه الأسرة المتأخرين كانوا عاجزين مستضعفين فان ملوكها الأوائل لم يكونوا كذلك . وكان تصريف الشئون العامة يجرى باللغة اليونانية وكان على جميع من تتوق نفسه الى المشاركة فى الأعمال الادارية ان يتعلم اليونانية ويستخدمها ، ومما لا ريب فيه أن هذا الطابع الهيلينى كان سطحيا ، ونحن على ثقة من أن ذلك هو الحال فعلا ولكنه ترك مع ذلك أثرا باقيا ، وبعد ذلك جاء الحكم الرومانى فلم يجلب معه ثقافة جديدة ، وانما دعم النفوذ الاغريقى الذى كان سائدا فيها ، ثم جاءت آخر الأمر الكنيسة المسيحية التى كانت ولا ريب أكثر نشرا للثقافة الاغريقية من كل من الملوك السلوقيين

---

(١) دى لاسى أوليرى - علوم اليونان وسبل انتقالها - ص ١٣

أو الدولة الرومانية . وعقب عصر قسطنطين كانت الحكومة الرومانية والكنيسة المسيحية يعملان جنبا الى جنب. على أن الثقافة اليونانية التي وفدت الى سوريا عن هذا الطريق لم تكن ثقافة أثينا وانما كانت ثقافة صادرة عن الاسكندرية في مصر ، لم تكن ثقافة هيلينيه صرفة بل هيلستيه أي هيلينية متأثرة بالشرق . ولا شك أن الثقافة الاسكندريه قد تطورت تطورا طبيعيا ، ذلك أن الفلسفة كما نعهدها حتى عصر أفلاطون(١) بدأت تحت لواء أرسطو الي العلوم الطبيعية وتبلورت آخر المطاف في الطب والفلك والرياضيات ، فقد كانت هذه الدراسات كلها تعد نواحي من العلوم الطبيعية ، وكانت الفلسفة تتناول الحقائق الكافية التي تعد هذه العلوم الفرعية

---

(١) من أهل مدينة أثينا ، رومي ، فيلسوف ، يوناني أحد أساطين الحكمة من اليونانيين ، وكان فيهم كبير القدر ، مقبول القول ، أخذ الحكمة عن فيثاغورس ، وشارك سقراط في الأخذ عنه ، وقد نبه ذكره وذاع صيته بعد موت سقراط ، وكان يعلم الفلسفة وهو ماشي فسمى الناس فرقته " المشائين " وعنه أخذ أرسطو وخلفه بعد موته ، وعاش افلاطون ٨١ سنة ، وتوفى في السنة التي ولد فيها الاسكندر وكان ملك مقدونية في ذلك الوقت فيلبس والد الاسكندر .
انظر ابن جلجل طبقات الأطباء ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، والبغدادي الفرق بين الفرق ، ص ٣٧١ - ٣٧٢) .

صورا منها لها تخصصها ، كما كانت تهدف الى الوصول الى تفسير النظام الطبيعى الذى كان يسود الاعتقاد بأنه يؤلف وحدة عظيمة متجانسة .(١)

كانت الدولة الأموية متمسكة بعروبتها ولكن فى عهد عمر ابن عبد العزيز ترجمت بعض الكتب فلا يستطيع أحد أن يقول : ان الترجمة كانت غير موجودة نهائيا ، وذلك لأن العلوم اليونانية مختلطة بالافلوطونية الحديثة ، ومتأثرة بالثقافات الشرقية ، هذه العلوم كانت منتشرة فى البلاد التى فتحها المسلمون .واذاً لابد ، مادام قد تم الاختلاط بأهل البلاد الأصليين واعتنق كثير منهم الاسلام ، لابد من ظهور آثار لتلك الفلسفات فى الفكر الاسلامى بصورة أو بأخرى . واذاً نستطيع أن نقول : أن هناك تأثيراً لا إراديا للفكر الأجنبى فى البيئة الاسلامية ، وهذا هو الذى تم قبل استجلاب الكتب من الخارج ، فقد وجد المسلمون أنفسهم وجها لوجه أمام فكر اجنبى لا يكلفهم الانتقال اليه ، وهذا هو الذى كان فى الفترة الأولى ، هذا الفكر هو الذى كان سببا فى

---

(١) دى لاسى اوليرى - علوم اليونان ص ٢٢ .

نشر الشكوك بين المسلمين وأبتدأ الجدل حول هذه الشكوك بين المسلمين .

والمرحلة الثانية هى التى بدأ فيها المسلمون فى جلب الكتب الأجنبية وترجمتها ، وكان هذا العمل أوضح ما يكون حين جاءت الدولة العباسية ، ولما جاءت الدولة العباسية واستعطت العجم عموما، وكانت الشبه قد أخذت تكثر والعلماء يقومون بجهودهم فى الرد عليها عند ذلك اتجهت الدولة الى ترجمة الكتب الأجنبية من الشرق ومن المغرب .

وأول ما بدأ به فى الترجمة المنطق والطب وكان ذلك بأمر من المنصور العباس الذى نقل اليه حنين بن اسحق بعض كتب سقراط وجالينوس فى الطب ، وجرجيس بن بختشوع الذى ترجم للمنصور كتباً عن اليونانية ، كما أنه قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وجمع الكتب فى خزانة كانت نواة لبيت الحكمة كما سماه .

وواصل الرشيد ، وأجرى عليهم الأرزاق الوفيرة بحجة أنه يعين على رد الشبه ، ثم أخذ الأمر يتسع شيئا فشيئا حيث اتسعت دائرة الترجمة وزاد عدد المترجمين فيها ، فترجمت كل الكتب اليونانية المعروفة فى ذلك الوقت تقريبا ، وتألق

في عصره نجم عدد من العلماء امثال الأصمعي النحوي المشهور وجبريل بختشوع ، ومنح الرشيد العلماء الكثير من الحرية والتكريم.[١]

وكان عهد المأمون من أوسع العهود في الترجمة (اذ أحب الفلسفة والعلوم وأخذ يشجع المترجمين ويرسل الوفود الى فارس واليونان وشبه القارة الهندية لاقتناء الكتب بغية تقريبها وكان يشترط على اعدائه لكي يبرم معهم الصلح الحصول على كتب الفلسفة والعلوم وقد اشتهر عنه أنه كان يدفع لحنين بن اسحاق زنة الكتاب المترجم ذهبا .)[٢] وكان ذلك سببا في كثير من المفاسد التي دخلت على الفكر الاسلامي ، فقد كان سببا في اختلاط علم الكلام بالفلسفة

يقول الشهرستاني : (طالع شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجهم بمناهج علم الكلام ..)[٣]

---

(١) انظر حسن ابراهيم - التاريخ السياسي - ج ٢ - ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ، والسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٨ ، ورمزية الأطرقجي - الحياة الاجتماعية في بغداد - ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) علي الشابي - مباحث علم الكلام والفلسفة - ص ٣٥ .

(٣) الملل والنحل - ج ١ - ص ٣٠ .

ثم يقول على الشابى : (ومن يرجع الى كتاب الحيوان للجاحظ مثلا يلمس صدق هذه الملاحظات ، فقد بحث المعتزلة فى دقائق الفلسفة وخلطوها بمناهجهم الكلامية ...)[١].

ونذكر هنا بعض النقاط التى يجب أن تعرف :

أولا : (فى العصور المتأخرة تطورت لهجة هامة أو مجموعة من اللهجات بين الشعب المسيحى فى سوريا وبلاد ما بين النهرين وكان مركزها الرها وأصبحت تعرف باسم اللغة السريانية ـ الآرامية كانت الوسيلة التى انتقلت بها الثقافة اليونانية الى شعوب الشرق الأدنى....)[٢] اذاً لم تكن الترجمة ـ أول الأمر ـ الى العربية عن اليونانية مباشرة ولكن عن السوريانيه أى أن الثقافة اليونانية ترجمت الى السوريانيه ومن السوريانية الى العربية (كان أغلب القائمين بهذه الحركة النصارى النساطرة فبثوا مدارسهم وتعاليمهم فى الشرق ، وكانوا يعلمون اللغة السوريانية وينقلون الكتب اليونانية الى السوريانية)[٣].

---

(١) مباحث علم الكلام والفلسفة ـ ص ٣٥.
(٢) دى لاسى أوليرى ـ علوم اليونان وسبل انتقالها ـ ص ١٠ ، وانظر احمد أمين فجر الاسلام ـ ص ١٣٠.
(٣) أحمد أمين ـ ضحى الاسلام ـ ج ١ ـ ص ٢٦١.

هكذا كان السريان هم حلقة الاتصال فعن طريقهم عبرت الثقافة اليونانية الى العرب وبنشاطهم استطاع المسلمون ان يقفوا عليها.(١)

ثانيا : (ثم ان هناك احتمالات أخرى عن الطريق غير المباشر في دخول الفلسفة اليونانية ، والتحامها في معركة مريرة قاسية مع مفكري الاسلام .

أما أول هذه الاحتمالات : فهو المناقشات الشفوية بين المتكلمين وبين رجال الكنيسة المنبثة كنائسهم في العالم الاسلامي ، وقد حدث تبادل الآراء وتبادل الأسلحة)(٢)

يقول احمد أمين : نرى أن الثقافة اليونانية والثقافة الفارسية كانت مبثوثة بين المسلمين في البلدان المختلفة ، وكان منالها منهم قريبا ، وأنهم أخذوا يستفيدون منها ويتعلمونها على المثقفين بها - ولو لم يكونوا على دينهم .....

(أضف الى هذا أنه في ذلك العصر ، وجد الاحتكاك الديني بين المسلمين والنصارى فأخذوا يتحادثون ويتحاجون في العقائد ...)(٣)

---

(١) انظر محمد البهي - الجانب الالهي - ص ١٦٣ .
(٢) سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي - ج ١ - ص ١٠٨ .
(٣) فجر الاسلام - ص ١٣٣ - ١٣٤ .

الاحتمال الثاني: (أن يكون من المسلمين من تردد على (الاسكول) ، المدارس الملحقة بالكنائس والأديرة وعرف أجزاء من الفلسفة)[1].

ولكن بعد مدة أخذت الترجمة عن اليونانية مباشرة تأخذ مكانها مع الترجمة عن السوريانيه ، وبذلك أصبح للفكر اليوناني طريقان الى العربية .

فقد (كان طريق الترجمة اما من اليونانية الى السوريانية ثم الى العربية واما من اليونانية الى العربية ، وقد تسبب الطريق الأول في كثير من الأخطاء الفنية التي وقع فيها المسلمون عند تأريخ الفلسفة اليونانية[2] .)

ان الفكر اليوناني لما انتقل الى الاسكندرية تأثر بالأفكار الشرقية وهذا سيكون سبب الخطأ الذي وقع فيه كثير من الفلاسفة المسلمين الذين نسبوا لأرسطو ما ليس له ، فبعض من الكتب ترجمت خطأ على أنها

---

(١) سامي النشار ـ نشأة الفكر الفلسفي ـ ج ١ ـ ص١٠٨ .
(٢) المصدر السابق ـ ص ١١٠ ـ ١١١ .

لأرسطو وهى ليست له ، وكانت هذه الكتب تحمل بين طياتها عقيدة دينية مما أظهر أرسطو بمظهر المتدين لدى من فتنوا به (وقد كتبت مصنفات متعددة عن سقراط وآرائه فى النفس ، ونسبت اليه - فى رسالة مازالت مخطوطة - بعض آراء هى فى الواقع من آراء الاسكندر الأفروديسى ، الفيلسوف اليونانى المتأخر.[١])

(ولعل أهم الأسباب فى اتجاه المتكلمين - فلاسفة الاسلام على الحقيقة - اليه ، هو اعتقاد هؤلاء المتكلمين أن أفلاطون نادى بخلق العالم ، وهو مالم يقل به أفلاطون أبدا ، ولكنهم هكذا شاءوا فهمه ، كما شاءوا فهم أرسطو فى صورة افلوطين).[٢]

(أنهم حتى فى كثير مما نقلوا لم ينقلوا فى دقة ما كان عند اليونان ، بل غيروا فيه ، وحرفوا .

وكثير من الأخطاء التى وقع فيها العرب علميا كان منشؤه هذا الخطأ السريانى).[٣]

---

(١) سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ١٦٥ .
(٢) المصدر السابق - نفس الجزء - ص ١٦٦ .
(٣) أحمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ٢٦٣ .

حيث كان البعض من المترجمين الذين قاموا بتلك الترجمة لا يجيد اللغة العربية المنقول اليها ، ولقلة الخبرة بها كان الواحد منهم فى كثير من الأحيان لا يستطيع أن يعرض ما فهمه وما رغب فى نقله ، عرضا واضحا ، وهذا كان هو السبب فيما حصل من أخطاء فى النقل من السريانى الى العربية .

لذلك فقد اضطر بعض أمراء العباسيين ، أن يكلفوا بعد فترة من الزمن من قد عرف بجودة الترجمة من السريان أو من العرب - بعد أن تعلم هؤلاء اللغات الاصلية للفلسفة - باعادة ترجمة كثير من الكتب التى قد ترجمت فى عهد سابق كما حصل ذلك من الخليفة الرشيد .(١)

ثالثا : كانت الحجة التى احتج بها من يرى فائدة فى ترجمة الكتب اليونانية انها تعين فى الدفاع عن الدين ولكن ظهر أنها أضر شىء بالدين حيث وثنية البيئة اليونانية التى جاءت منها ، ووجدت هذه الوثنية من

---

(١) انظر محمد البهى - الجانب الالهى - ص ١٦٤ .

يدافع عنها .

(ان الافلوطونيه المحدثة فى جوهرها هى مذهب أفلوطين كما يتجلى فى التاسوعيات ولو أن خلفاءه قد أضافوا وزادوا عليها ، وقد انتشر تداول الكتب (٤ - ٦) من التاسوعيات فى ترجمة سريانية مختصرة بين المسلمين الذين يتكلمون السريانية وخصوصا أصحاب الطبيعة الواحدة باسم (لاهوت أرسططاليس) وقد قبلها علماء بغداد الأوائل قبل عصر الكندى على أنها أرسططاليسيه حقه ، وظلت مقبولة على هذا الاعتبار مدة طويلة بعد الكندى ، ومن السهل أن نرى كيف أن هذه المادة قد ساهمت فى خلق طابع الفكر الحلولى والصوفى الذى يتجلى فى الفلسفة الاسلامية .)[1]

ولكن من المؤكد ان افلوطين استقى المذهب الهندى الحلول والاتحاد والتثليث الذى جعله أساس النصرانية وجاء الصوفية المسلمون وأخذوا منه نظرية الحلول

---

(١) دى لاسى أوليرى - علوم اليونان - ص ٣٢ .

والاتحاد . وعلى هذا الأساس نقول بثقة أن الحلول والاتحاد أساسهما هندى ، ودخلا المجتمع الاسلامى إما من الهند الى المجتمع الاسلامى مباشرة وإما من الهند الى المجتمع الاسلامى عن طريق الافلاطونية الحديثة .

(ثم أثر أفلاطون فى مدرسة الصوفية ، اشراقية[1] أو أصحاب مذهب وحدة الوجود ، احتل أفلاطون الأثر الكبير فى سلاسلهم ، وأثرت نظرياته - فى الوجود وفى المثل ونظريته فى الكهف[2] - أكبر تأثير فى آراء الصوفية

---

(١) هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالاشراقات على الأنفس عند تجردها . والمعرفة الاشراقية نوع من المعارف . وأهم فرقة تقول بها هم الصوفية الذين يرون ان الانسان اذا تجرد من كل أنواع المشاغل والملذات والشهوات يرقى الى درجة أنه يرى الأشياء أنفسها ولا يحتاج الى دليل عليها لأن مايرى لا يحتاج الى دليل على اثباته ، فالنفس ترى اللوح المحفوظ والملك . . . .
(انظر سامى النشار ، فيدون ، ص ٢٩٨) .

(٢) يرى أفلاطون ان (هذا العالم المعقول مثلنا معه مثل اناس فى كهف منذ الطفولة وأوثقوا بسلاسل ثقيلة بحيث لا يستطيعون نهوضا ولا مشيا ولا تلفتا وأديرت وجوههم الى داخل الكهف ، فلا يملكون النظر الا أمامهم مباشرة فيرون على الجدار نار عظيمة واشباح أشخاص وأشياء تمر أمامهم . وكما كانوا لم يرو فى حياتهم سوى الأشباح فانهم يتوهمونها أعيانا فاذا اطلقنا أحدهم وأدرنا وجهه للنار فجأة فانه ينبهر ويتحسر على مقامه المظلم ويعتقد أن العالم الحق معرفة الاشباح ، ثم يفيق من =

ونظرياتهم . ونحن نعلم أن أفلاطون قد صور في كتابات هؤلاء بشكل مغاير لحقيقته اليونانية وكان أفلاطون في الحقيقة يونانيا خالصا ووثنيا كبيرا .)[١]

= ذهوله وينظر الى الأشياء في ضوء الليل الباهت أو الى صورها المنعكسة في الماء حتى تعتاد عيناه ضوء النهار ويستطيع ان ينظر الى الأشياء انفسها ، ثم الى الشمس مصدر كل نور فالكهف هو العالم المحسوس وادراك الأشباح المعرفة الحسية والخلاص من الجمود يتم ازاء الأشباح يتم بالجدل والأشياء المرئية في الليل أو في الماء الأنواع والأجناس والأشكال أي الأمور الدائمة في هذه الحياة والأشياء الحقيقية المثل والنار ضوء الشمس ، والشمس مثال الخير دفع المثل ومصدر الوجود والكمال فالفيلسوف الحق هو الذي يميز بين الأشياء المشاركة ومثلها ويجاوز المحسوس المتغير الى نموذجه الدائم ويؤثر الحكمة على الظن فيتعلق بالخير بالذات والجمال بالذات .

(يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية - ص ٧٤) .

(١) سامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي - ج ١ - ص ١٦٦ .

وبذلك نرى هذا الخليط من الفكر وانتقاله الى العالم الاسلامي حاملا معه كل قاذورات العقائد الفاسدة ، وللأسف تقبله كثير من المفكرين الاسلاميين. ولكن ما يتعلق بموضوعنا أنه سيكون سببا في تكوين حركات ضد الفكر الاسلامي الحقيقي ، فعنه وعن غيره من الفكر الاجنبي كانت حركات الزندقة .

الى هنا قد أدركنا المصادر الأجنبية التي كان لها الأثر في نشأة الفئات المنحرفة في العالم الاسلامي وأصبحت - ولا زالت - منبع تعكير لصفو العقيدة الاسلامية ومما يجب أن نعرفه ان أعداء الاسلام كانوا يدركون تماما الأثر السيء للفلسفة اليونانية على الفكر الاسلامي فقد (أدرك نصارى المناطقة ان في هذه الفلسفة ونقلها الى المسلمين احدى الوسائل لتقويض العقائد الاسلامية . وكان يجب على الاسلام أيضا أن يقاومها).[(١)]

---

(١) سامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي - ج ١ - ص ١٠٩ .

الفصل الثّالث

المصدر الهندي

البـرهـمانيّة
البــوذيّـة

البرهمانية

نسبتها ونشأتها :

يقول الخوارزمى : البراهمه هم (عباد الهند ، وأحدهم برهمى ، ولا يقولون بالنبوة .)[(1)]

ويقول محمد غلاب : البراهمانيه:(نسبة الى براهمان وأن معناه كلمة (الكينونه) وهى ديانة استخرجها الكهنة من (الفيدا)[(2)] أثناء التطورات التى تعاقبت على تأويلاتها وشروحها المختلفة فى القرون العشرة التى تلت جمعها ولهذا عرفوها بأنها (تقنين الفكرة الفيديه).[(3)]

---

(1) مفاتيح العلوم - ص٥٥ .

(2) كلمة " الفيدا " لها عدة معانى أدقها : " العلم عن طريق الدين بكل ماهو مجهول " وينجم عن هذا التعريف أن تكون " الفيدا " ضمجع جميع المعارف الهندية من دينيات وأخلاقيات ونظريات علمية أو اجتماعية ، وهى تحوى أورادا تعبديه وأناشيد دينيه ، وتعاويذ سحريه ، وهى مؤلفة من أربع مجموعات تختلف كل واحدة منها عن الأخرى باختلاف الموضوع الذى تعالجه ، فالأولى تسمى "دك بيذ ريج فيدا وهى تحتوى على الأوراد . والثانية تسمى "سام بيذ : ساماان فيدا " وتحتوى على الأناشيد . والثالثة "جزربيذ : ياجوس فيدا " وتحتوى على طقوس الضحايا والقرابين . والرابعة " آثار فين بيذ : أتارفا - فيدا وتحتوى على التعاويذ السحرية (محمد غلاب ، الفلسفة الشرقيه ،ص٩٢) .

(3) الفلسفة الشرقية - ص ١٠٠ .

وقيل : أن البرهمانيه هى عبارة عن اسم يطلق على التقاليد الفيدية التى ظلت باقية.(١)

اذا البرهمانية(٢) تطلق على العقائد والمبادىء الفلسفية التى اعتنقها الكهنة مستنبطة من الفيدات الثلاث بطريق التأويل.

وبراهمان أصبح يطلق مؤخرا على الوجود المطلق أو رئيس الآلهة أو المبدأ الأول.(٣)

والبرهمانية التى ظهرت قبل بوذا تسمى البرهمانية الأولى والتى ظهرت فيما بعد البوذية تسمى البرهمانيه الثانية.(٤)

يقول محمد غلاب : (بدأ الكهنة هذه الديانة بتعقيد الطقوس البسيطة التى كانت فى الفيدا فوضعوا لها قواعد قاسية وقوانين صارمه ، استندوا فيها جميعها الى نصوص فيديه ولكن بعد أن حملوها من التأويل ما تطيق ومالا تطيق فقرروا مثلا أن الضحايا لا تقبل الا اذا قدمت على أيدى جمعية كهنوتيه

---

(١) انظر بول ماسون ـ أورسيل ـ الفلسفة فى الشرق ـ ص ١٠٩.

(٢) ان مما نلاحظه ان البعض من المراجع يطلق عليها اسم البراهمانية مثل الفلسفة الشرقية لمحمد غلاب والبعض منها يطلق عليها اسم البراهمة مثل مفاتيح العلوم للخوارزمى وماللهند للبيرونى وغيرهما.

(٣) انظر حامد عبد القادر ـ بوذا الأكبر ـ ص ١٩.

(٤) انظر نفس المرجع السابق نفس الصفحة.

مؤلفة من ثلاثة أعضاء ورئيس يشترط فيه أن يفوق زملاءه في العلم . وبهذه الطريقة أخذ الكهنة يستولون على الطقوس الدينية شيئا فشيئا حتى احتكروها وحصروها جميعها في السيادة عليها ، وأن الكهنوتية قد أصبحت وراثية محصورة بين أبناء هذه الطائفه) .[1]

---

(١) الفلسفة الشرقية - ص ١٠٠ .

أخلاق البراهمان ودعوته :

لقد كان رجال الدين من البراهمه يعدون أنفسهم من الطبقة المختارة التى لاتكون الكلمة العليا الا لها وعلى الرغم من مكانتهم هذه الا أنهم ينظرون الى العالم المادى نظرة كلها ازدراء وترفع لأنهم لايطمعون فى مال ولا جاه بل كانوا يدعون الى البعد عن ملذات الدنيا وشهواتها وكبح جماحها حتى يتمكنوا من البحث عن الحقيقة والمعرفة الحقة والتى كانت من أهم ما دعت اليه البراهميه وحثت على متابعة ذلك .

وقد شاع فيما بين طائفة البراهمه ان البرهمى اذا ذل فقد منزلته ، وانقطعت صلته بطائفته ،وانه اذا سقط مرة فقد سقط الى الأبد .

وكان من ضمن التعاليم التى دعت اليها البراهمة ان كل هندى عليه أربعة ديون مقدسة لابد من أدائها فى حياته الدنيوية وهى كالتالى :

الأول : دين للآلهه ، ويؤديه بالتبتل ، وتقديم القرابين .

الثانى : دين للريشيين : الحكماء القدامى واضعى الفيدات ويؤديه بدراسة الكتب المقدسة كل يوم.

الثالث : دين للمانيس أى الأسلاف من الآباء والأجداد ويؤديه بأن يعقب ولدا.

الرابع : دين للانسانية ، ويؤديه بأن يكون رءوفا رحيما مع أبناء جنسه يكرمهم ويحسن معاملتهم.

هذا وبالاضافة الى كل ذلك فانه من الواجب انه فى كل بيت لا بد أن تبقى هناك نار موقده ولا يحل لأحد اطفاؤها.[١]

ويقول الشهرستانى : (ان من أهم تعاليم الديانة البرهميه :

١ - الكائن الالهى .

٢ - مقابلة الاساءة بالاحسان .

٣ - القناعة .

٤ - الاستقامة .

٥ - الطهارة .

٦ - كبح جماح الحواس .

٧ - معرفة الفيدا وهى الوصايا العشر للدين البرهمى الهندى .

٨ - الصبر .

٩ - الصدق .

١٠ - اجتناب الغضب .[٢])

---

(١) انظر حامد عبد القادر - بوذا الأكبر - ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) الملل والنحل - ج ٢ - ص ١٢ .

اختلاف الطبقات :

يحدثنا البيروني عن هذا حيث يقول : (وهذه الطبقات في أول الأمر أربع ، عليا‌ها " البراهمه " قد ذكر في كتبهم ان خلقتهم من رأس " براهم " وان هذا الاسم كناية عن القوة المسماه "طبيعه " والرأس علاوة الحيوان فالبراهمة نقاوة الجنس ، ولذلك صاروا عندهم خيرة الأنس، والطبقة التي تتلوهم " كشتر " خلقوا بزعمهم من مناكب براهم ويديه ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جداً، ودونهم " بيش " خلقوا من رجلي براهم ، وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان ، وعلى تمايزهم تجتمع المدن والقرى . أربعتهم مختلطي المسكن والدور ، ثم أصحاب المهن دون هؤلاء غير معدون في طبقة غير الصناعة ويسمون" انتز "[1] وهم ثمانية أصناف بالحرف ويتمازجون بما يشابهها من الحرف الأخرى سوى القصار والاسكاف . . . . .)[2] .

ان البراهمه تؤمن بالطبقات وتتعامل بها فهي تمثل أربع طبقات في الهند الطبقة الأولى الكهنه ويزعمون انهم خلقوا من

---

(١) وتسمى أيضا (سودرا) و (شودر)

(٢) ما للهند من مقولـه - ص ٧٦ - ٧٧ .

راس " براهمان " والطبقة الثانية : طبقة الجند ، وقد خلقت من منكبيه وذراعيه والطبقة الثالثة : العمال والزراع وقد خلقت من فخذيه وطبقة الأرقاء وقد خلقت من قدميه وهي الطبقة المنبوذة عندهم .

ويقول محمد غلاب : (ان " ماسون أورسيل " يرى أن منشأ هذا الخلاف هو العصبية العنصرية . وبيان ذلك - فيما يرى - أن الأريين الفاتحين كانوا يحتقرون السكان الأصليين لتلك البلاد . ويتخذون منهم عبيدهم وخدمهم ، فحملهم هذا الاحتقار على حرمانهم من الطقوس الدينية " كما حرّم الرومان الطقوس على الطبقات الدنيا في روما " .

ويستند الأستاذ " أورسيل " في هذا الظن الى أن جميع المستمتعين بالطقوس الدينية من هذه الطبقات كانوا من الآريين[1] .)

بينما نجد محمد غلاب يرى أن سبب الخلاف غير هذا ، فهو سبب كهنوتي وهو استيلاء الكهنة على مراسم الدين وقصرهم اياها على طائفتهم لا كما يرى الأستاذ أورسيل أن السبب عنصري .

ثم يتابع محمد غلاب تعليقه على ذلك حيث يقول : أنه

---

(١) الفلسفة الشرقية - ص ١٠١ - ١٠٢ .

مهما كان الأمر فان الطبقة الأولى طبقة الكهنة هي وحدها المستمتعه بجميع الحقوق الدينية ، حيث تأويل الفيدا أو جميع الكتب المقدسة ،كذلك احتكار شرح كل كتب الأدب والعلم وجميع نواحي الثقافة ، بينما نجد الطبقات الأخرى محرومة من كل ذلك (١).

ان وجود مثل هذا التقسيم وهذه الطبقات وسط المجتمع الهندي لهو السبب في ايجاد ذلك الخلاف والصراع الموجود بين أفراده والذي مازال حتى يومنا هذا ، فهناك طبقة المنبوذين وهي الطبقة التي أصبحت ضحية هذا التقسيم ، حيث بقيت هذه الطبقة داخل ذلك المجتمع منبوذة ومحرومة من ممارسة حقوقها كغيرها ، فهي محرومة من كل شيء بعكس طبقة الكهنة فانها تملك كل شيء وتحتكره لنفسها ، فأوجد هذا الصراع بين أفراد تلك الطبقات ما كان مدعاة في دخول بعض أفراد طبقة المنبوذين في الاسلام لأنهم وجدوا فيه ما يفتقرون اليه من المساواة ،فالاسلام وهو من رب العالمين الذي خلق الناس جميعا وأرجعهم كلهم الى آدم ، وآدم من تراب ، ومن هنا كانت المساواة التامة ولا تفرقة الا بالعمل .

---

(١) انظر الفلسفة الشرقية - ص ١٠١ - ١٠٢ .

الكتب المقدسة عند البرهمانية

عندهم ثلاثة كتب مقدسة هي :

" البراهماناس " ، و " الآرانياكاس " ، و " الأوربانيشاد " .

" البراهماناس " : تفسير مفصل لقسم " الياجوس - فيدا " .

" الأرانياكاس " : يحتوى على التعليمات الفنية التى يجب أن يسير عليها الكهنه ، كما يشتمل أيضا على نصائح موجهة اليهم فى التنسك والاعتزال .

و " الأوبانيشاد " : مصدر الأفكار الفلسفية التى أنتجتها هذه الديانة وهو من أهم هذه الكتب وأحدثها .[١]

---

(١) انظر محمد غلاب ـ الفلسفة الشرقية ـ ص ١٠٢ .

البوذيــة

يقول بول ماسون هي :

(عبارة عن مذهب عقلي ، بحكم أن الرغبة والخطأ هما مجرد جهل ومع هذا تمتاز أيضا هذه الفلسفة بنزعتها العرفانيه التامة .

ولا ننكر أيضا أن البوذيه هي أيضا عقيدة للبسطاء المتواضعين من المؤمنين بها ، غير القادرين على ادراك كنهها ، وعلى الارتفاع الى المكان الذى وصل اليها زعيمها وهى عقيدة أيضا للتلاميذ الأكثر أهلية وادراكا ، طالما أنهم لم يصلوا الى الاشراقيه .) (١)

ويرى حامد عبد القادر أن بوذا : (ليس اسم علم على شخص ، وانما هو لقب مشرف دينى عظيم ، معناه الحكيم أو المستنير أو ذو البصيرة النفاذه .

ولا يطلق فى اصطلاح المتدينين من الهنود الا على

---

(١) الفلسفة فى الشرق - ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛

كل من هؤلاء الأفراد القليلين من بني الانسان الذين جاهدوا جهادا روحيا عنيفا لا حد له ....

ويرى البوذيون ان بوذا أول حكيم جديد يظهر في العالم في كل عصر ليلقن الناس العقيدة الصحيحة ، وأنه بعد فترة معينة من الزمن تفسد هذه العقيدة ويسيء الناس فهمها ، أو تنقرض ولا تعود الى الصحة أو الحياة الا بعد أن يظهر بوذا آخر يتم على يديه اصلاحها أو احياؤها ويسمى بأسماء مختلفة أشهرها سدارانا[1] أوجوتاما[2](3).

وقد ولد بوذا في أواخر القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد وقد تزوج من ابنة أحد الأمراء ، وكان والده رئيس قبيلة (ساكيا) وقد توفي هذا حوالي سنة ٤٨٠ قبل المسيح عن ثمانين عاما ، وأحرق جسده بعد موته بثمانية أيام.[4]

---

(١) المشرف على النور - وقد أطلق عليه قبل وفاته بثلاثة أشهر.
(محمد غلاب - الفلسفة الشرقية ، ص ١٢١).

(٢) أحد أسمائه الكثيرة ولعله اسمه الأول . ومن هذه الأسماء أيضا (ساكيافوني) وهو نسبة الى قبيلة (ساكيا) التي منها أسرته . وهذان الاسمان يوجدان في الأسفار المكتوبة باللغة (السانسكريتية) ومنها أيضا (تاتاجاتا) ومعناه الذي جاء ومنها (باجات) ومعناه السعيد ، وهذان الاسمان قد اطلقا عليه حين بدأ الدعاية لمذهبه.
(محمد غلاب - الفلسفة في الشرق - هامش - ص ١٢١).

(٣) بوذا الأكبر - ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) انظر الشهرستاني - الملل - ج ٢ - ص ١٤ - ومحمد غلاب - الفلسفة الشرقية - ص ١٢١ - ١٢٢ .

بداية دعوته وانتشارها :

لقد بدأ بوذا دعوته وهو في سن السادسة والثلاثين من عمره حيث أخذ يقارن بين حياة الزهد ، وحياة الترف والنعيم التي كان يعيشها ، ففضل حياة الزهد والتقشف ، وغادر قصر والده وهجر تلك الحياة المترفة ، ولجأ الى احدى الغابات تحت ظلال شجرة كبيرة وجلس هناك متفكرا متأملا ، وقد وصل به تفكيره الى أن مصدر جميع هذه الآلام التي تكتظ بها الحياة البشرية انما هو منبعث من الشهوات الجسمانية.كما أن الانغماس في اللذائذ المادية ستار من الظلام يحجب عن كل معرفة حقة . لذا فقد وجد أن المخلص الوحيد من كل ذلك هو الزهد والترفع عن ملذات الحياة . وعندما استولت تلك الأفكار على نفسه وتمكنت منها ، أخذ يدعو لها وينشرها بين الأفراد لاعتقاده أن المعرفة قد انقذفت الى قلبه دفعة واحدة ، وأن أداء واجبه حتى اليوم لم يعد يتحقق بالنسك والتأمل فحسب ، بل لا بد له من الدعاية الى مذهبه في كل مكان . وهب من ساعته يدعو الى ديانته الجديدة جهرا وفي غير مبالاة . وسرعان ما اجتمع حوله عدد من الشبان والشيوخ يتشربون تعاليمه ويعملون بما يقول . وقد أخذ ذلك العدد يزداد يوما بعد يوم ، وأخذت هذه الديانة

تعم ويتسع نطاقها وقد ظل جهاده في نشرها زهاء أربعة وأربعين سنة ولم ينقطع ذلك الجهاد في أثنائها .

كما كان يجمع حوله الشباب ليلقى اليهم تعاليمه وكان لا يحدثهم الا فيما ينفعهم أى في كل ماله مساس بالحياة الدينية ، وقد روى عنه أنه أراد أن يبعث أحد تلاميذه للتبشير بتعاليمه ، فسأله : اذا وجه اليك أحدهم ألفاظا بذيئه خشنه وقحه فماذا تقول ؟ ، فأجاب : أشكرهم لأنهم لم يضربونى .

ثم قال له مرة أخرى : وان ضربوك أو رموك بالأحجار؟

فأجاب قائلا : أشكرهم لأنهم لم يضربونى بالعصا أو بالسيف.

فقال بوذا : وان ضربوك بالعصى أو السيوف ؟

فأجاب : أشكرهم لأنهم لم يحرمونى الحياة نهائيا .

فقال بوذا : وان حرموك الحياة ؟

فأجاب : أشكرهم اذ خلصوا روحى من سجن هذا الجسد السىء دون ألم كبير .

فقال بوذا حينئذ : أحسنت بما أوتيت من الصبر والعزم،ثم اذن له أن يسافر الى القرية التى أراده ان يذهب للتبشير فيها بديانته.[١]

---

(١) انظر الشهرستانى ـ الملل ـ ج ٢ ـ ص ١٤ ، محمد غلاب ـ الفلسفة الشرقية ـ ص ١٢١ - ١٢٢ -

أهم التعاليم التي دعا إليها بوذا :

وكان بوذا يدعو الى سلوك " الممر الأوسط بين التلذذ والزهد الخالص في الدنيا ويقول : بأن لهذا الممر ثماني شعب: هي : الآراء السليمة ، والقول الحق ، والشعور الصائب ، والسعي الشكور ، والذكرى الصالحة ، والحياة الفضلى ، والسلوك الحسن ، والتأمل الصحيح .

وأن هناك اطوارا أربعة تنكسر في خلالها جميع القيود التي تمنع الانسان من الوصول الى درجة الكمال .

الطور الأول : الاحياء والتجديد ، حين يدرك الانسان الحقائق فانه يقوى بعد ذلك على كسر القيود الثلاثة الأولى وهي : الوهم الخادع في وجود النفس ، والشك في بوذا وتعاليمه ، والاعتقاد في تأثير الطقوس والرسوم الدينيه .

أما في الطور الثاني : فانه يقوى على التخفيف من حدة الشهوة والكراهية وغرور الأوهام .

والطور الثالث : تحطيم قيود الشهوة .

والطور الرابع : ويسمى صراط المقدسين ، وفيها يتحرر الانسان

المقدسي من كل ما تبقى من قيود : كالرغبة في البقاء المادى وغير المادى ، والكبرياء ، والجهل . وبذلك يكون قد وصل الى النرفانا[1] ، وهو الهدف الذى يسعى للوصول اليه .[2]

---

(١) المقصود بالنرفانا عند البوذية : الطور الرابع الذى يبلغه الزاهد بعد أن يكون قد حطم جميع القيود والأغلال التى تقيد نفسه وتمنعها عن ادراك الحقائق ، وأعرض عن شهوة البقاء ، وتملكه عقل هادىء مطمئن لا يتسرب اليه الخطأ وتجرد عن كل الأمانى والرغبات والجهالات وأسباب الخديعة والاغراء بعد هذا كله يبلغ البوذى طور النرفانا ، يبلغه فى حياته على الأرض كما فعل بوذا .
(الشهرستانى فى الملل ، ج ٢ ، ص ١٦) .

(٢) انظر الشهرستانى - الملل - ج ٢ - ص ١٥ - ١٦ .

عقائد الهند

أولا : القول بالحلول

قبل أن نتكلم عن عقيدة الحلول ووحدة الوجود نقول : كثيرا ما تختلط العقيدتان عند كثير من الكاتبين وذلك لأن الحلول الأعلى حل في الأسفل . وأما وحدة الوجود فان الكل مظهر لحقيقة واحدة . بعد هذا نقول : ان عقيدة الهند في الأصل كانت التوحيد ، لأن اعتقادهم في الله كما يقول البيروني : أنه سبحانه هو (الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء المختار من فعله القادر الحكيم الحي المحيي المدبر المبقي الفرد المنزه في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ...... قال السائل في كتاب " باتنجبل " : من هذا المعبود الذى ينال التوفيق بعبادته ؟ قال المجيب : هو المستغني بأوليته ووحدانيته ... وفي كتاب " كيتا " وهو جزء من كتاب " بهارات " فيما يجرى بين " باسديو " وبين " أرجن " : انى أنا الكل من غير مبدأ بولادة أو منتهى بوفاة ، لا أقصد بفعلي مكافأة ولا أختص بطبقة دون أخرى لصداقة أو عداوة ، قد أعطيت كلا من خلقي حاجته في فعله ،.....)(1)

---

(1) ماللهند من مقولة - ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .

لقد كان أصل عقيدتهم التوحيد ولا مجال للشك في هذا ولكنه فيما بعد دخلت شوائب على تلك العقيدة فأفسدتها ، وجردتها عن معناها الحقيقي ، وخرجت بها عن الوضع الطبيعي لها حيث ذهبوا الى القول بالحلول ووحدة الوجود .

يذكر لنا محمد غلاب هذه العقيدة حيث يقول : ("برهمان" حقيقة عامة في كل شيء ولا يمكن أن يُعرّف به .هو : " ماليس هذا ولا ذاك " أو " هو العام الأزلي الأبدي في ثيابه ، ولكونه لا تشبه به أية حقيقة ظاهرية أمكن أن يتحقق في كل حقيقه وهذا الحلول هو الذي يحقق لكل حقيقة وجودها . وبناء على هذا فهو غايتنا في كل بحث ... وقد نجم عن هذه الفكرة أن لا يكون في الوجود حقيقة أخرى غير هذا الجوهر الحال في كل جزئية من جزئيات الكون ، وأن الطبيعة ليست الا زيفا حائلا وأن كل كائن تنمو أحقيته أو باطليته بقدر ما يشتمل على ذلك الجوهر الأزلي كثرة وقلة .)[1]

---

(١) الفلسفة الشرقية - ص ١٠٤ .

اذاً " براهمان " عندهم مرادف للمطلق الأعلى ، فهو حال في جميع المخلوقات من حيوانات وجمادات وجميعها تستمد وجودها وقوتها وحركتها منه فهو حال بها موجود فيها لذلك أوجبوا احترامها ، وهذا هو الذى قادهم الى القول بالتناسخ لأنهم اجازوا حلول الحق فى جميع المخلوقات فمن باب أولى أن يجيزوا تناسخ الأرواح وترددها وانتقالها من جسد الى جسد يقول البيرونى فى هذا : (وهم يجيزون حلول الحق فى الأمكنة كالسماء والعرش والكرسى ، منهم من يجيزه فى جميع العالم أو الحيوان والشجر والجماد ويعبر عن ذلك بالظهور الكلى واذا أجازوا ذلك فيه لم يك لحلول الأرواح بالتردد عندهم خطر .)[1]

---

(١) ماللهند من مقولة - ص ٤٤ .

ثانيا القول بوحدة الوجود

انهم يقولون : ان الموجودات شيء واحد ، فالكل مظهر لحقيقة واحدة . بمعنى أن جميع الموجودات هي جزء لذلك الوجود المطلق " الاله " وهي لا تنفصل عنه لأنها جزء منه ولو انفصلت فانها في النهاية تندمج فيه .

يقول البيروني : (انهم يذهبون في الموجود الى أنه شيء واحد ... فان " باسديو " يقول في الكتاب المعروف " بكيتا " أما عند التحقيق فجميع الأشياء آلهيه لأن " بشن " جعل نفسه أرضا ليستقر الحيوان عليها وجعله ماء ليغذيهم وجعله نارا وريحا لينميهم وينشئهم وجعله قلبا لكل واحد منهم ومنح الذكر والعلم وضديهما على ماهو مذكور في " بيذ ". وما أشبه قول صاحب كتاب " بلنياس " في علل الأشياء بهذا وكأنه مأخوذ منه : ان في الناس كلهم قوة الهيه بها تفعل الأشياء بالذات وبغير الذات .)[1].

ان جميع المخلوقات كما قلت ما هي الا مظهر للوجود الأعلى

---

(١) ما للهند من مقولة - ص ٣٠ وانظر محمد غلاب - الفلسفة الشرقية ص ١٥٥ .

لذلك فقد وجب احترامها ، وعلى حسب زعمهم انه اذا تعدى البرهمى على مخلوق من تلك المخلوقات فكأنه قد تعدى على الروح العليا ، لأنه أيضا على حسب اعتقادهم ان تلك الروح العليا قد تجلت فى أرواح تلك المخلوقات.تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1] .

يقول حامد عبدالقادر : (... انه الكل فى الكل فى القيام بالأعمال ، وتجدد الرغبات ، وشم الروائح ، وذوق الطعام انه يحيط بالعالم . انه قوة صامتة لا تشعر بضيق ولا حرج انه هو نفسى التى تحتل الصميم من قلبى ، انه براهمان ...

... ان من يكون على بينة من ذلك تنصرف عنه الشكوك ، وتذهب عنه الأوهام)[2] .

وبهذه النصوص قد اتضح مرادهم بوحدة الوجود .

---

(١) انظر غوستاف لوبون - حضارات الهند - ص ٢٣٣ .
(٢) بوذا الأكبر - ص ١٩ .

ثالثا : القول بالتناسخ

ان القول بالتناسخ علم النحلة الهندية . ويؤيد قولنا هذا البيرونى حيث يقول : (كما أن الشهادة بكلمة الاخلاص شعار ايمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والأسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية . فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها .... فالأرواح الباقية تتردد لذلك فى الأبدان البالية بحسب افتنان الأفعال الى الخير والشر ليكون التردد فى الثواب منبها على الخير فتحرص على الاستكثار منه ، وفى العقاب على الشر والمكروه فتبالغ فى التباعد عنه . ويصير التردد من الأرذل الى الأفضل دون عكسه ، لأنه يحتمل كليهما . ويقتضى اختلاف المراتب فيهما لاختلاف الأفاعيل بتباين الأمزجة ومقادير الأزدواجات فى الكمية والكيفية ، فهذا هو التناسخ .....) (١)

اذاً فالمذهب الهندى يقول : بأن الروح الجزئية لاتفنى وانما تتردد فى أجسام أخرى أو تتقمصها وقد تتردد فى جسد انسان

---

(١) ماللهند من مقولة - ص ٣٨ - ٣٩ .

أو حيوان وتكون تلك المرتبة على حسب ما قدمته من أعمال فاذا كانت الأعمال صالحة فانها تتردد في جسد انسان، وقيل في أحد الأجسام الخمسة : اما برهميا أو قديسا أو الهيا أو جندالا [1] أو بقرة ، وأما اذا كانت تلك النفس قد قدمت من الأعمال سيئها فانها تتردد في جسد حيوان وقيل خنزير أو حية أو غير ذلك .

ولا تزال ترقى من منزلة الى أعلى منها حتى تصل الى أعلى درجات الكمال والتقديس والصفاء حيث تصعد الى العالم العلوى وهكذا لا تفنى وانما هى في تناسخ أى في تردد من جسد الى جسد .[2]

يقول البيرونى : (قال " باسديو " " لارجن " ... فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه فان الأرواح غير مائتة ولا متغيرة وانما تتردد في الأبدان على تغاير الانسان .. من الطفولة الى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التى عقباها موت البدن ثم العود ، وقال له : كيف يذكر الموت

---

(١) هو ابن الرجل الشريف والمرأة الشودرية ، ويجىء دون الشودرا انفسهم مرتبة . (غوستاف لوبون ، حضارات الهند ص ٣٣٣) .

(٢) انظر غوستاف لوبون - حضارات الهند - ص ٣٣٣ - ٣٣٦ ، وحامد عبد القادر - بوذا الأكبر - ص ٢٠ . وهاشم الحسيني - أصول التشيع - عرض ودراسة - ص ١٤٦ وول ديورانت - قصة الحضارة ج ٣ - ص ٢٢٣ .

والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ولا الى تلف وعدم،بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يغصها ولا ريح تيبسها لكنها تنتقل عن بدنها اذا عتق نحو آخر ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس .

وقال "باسديو" فمن يأمل الخلاص ويجتهد في رفض الدنيا ثم لا يطاوعه قلبه على المبتقى انه يثاب على عمله في مجامع المثابين ولا ينال ما أراد من أجل نقصانه ، ولكنه يعود الى الدنيا فيؤهل لقالب من جنس مخصوص بالزهادة ويوفقه الالهام القدسي في القالب الآخر بالتدرج الى ما كان ارادة في القالب الأول ويأخذ قلبه في مطاوعته ولا يزال يتصفى في القوالب الى أن ينال الخلاص ....).[1]

علمنا اذاً من خلال ما مر بنا أن عقيدة الهند كانت عقيدة توحيد ولكنها فيما بعد أصبحت تقول : بالحلول ووحدة الوجود والتناسخ ولم تقف عند هذا الحد بل تطورت الى أبعد من هذا حيث تقول : بعقيدة التثليث فهم يزعمون أن " براهمان "

---

(١) ما للهند من مقولة - ص ٣٩ - ٤٠ ، وانظر محمد غلاب - الفلسفة الشرقية - ص ١٥٤ - ١٥٥ .

الرئيس الأعلى الذى خلق العالم بقوة ارادته وفيض ذاته
والاله الثانى " فيشنو " وهو اله الحياة الدائب على انمائها
وازدهارها وهو الذى ذكر لنا البيرونى ان اسمه "باسديو"
وقال عنه : انه يقدم نصائح الشجاعة الى " أرجونا " ،
والاله الثالث هو اله التدمير والخراب ، الاله " سيفا "
الذى من أهم مميزاته الهدم والابادة وانه لولا سلطان "براهما"
غير المحدود القوة يمسكها دائما ان تميد .

اذا فكل اله فى الثالوث الهندى له نصيب فى أمر هذا
العالم الذى نعيشه .(١)

---

(١) انظر محمد غلاب - الفلسفة فى الشرق - ص ١٥٢ - وما للهند
من مقوله - ص ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ .

رابعا : قول البراهمة في إنكار النبوات

هم ينكرون ارسال الرسل لعدة وجوه وذلك على حسب زعمهم ، وهى كما يلى :

منها قولهم : ان الذى يأتى به الرسول قد يكون معقولا وقد لا يكون كذلك ، فاذا كان معقولا فنحن فى هذه الحالة نكتفى بالعقل فهو يكفينا ادراك ما نعقله ، واذا كان غير معقول فهو غير مقبول لأن قبول ماليس بمعقول خروج عن جو الانسانية فبذلك لا تحتاج الى رسول .

ومنها : ان الله حكيم، والحكيم لا يعبد الا بماتستدل به العقول على أنه يستحق العبادة ، وقد دلت الدلائل على أنه الخالق الصانع فبذلك قد توجب علينا ان نتوجه اليه بالشكر حتى ننال بذلك ثوابه ، ولو أننا كفرنا به فبذلك نكون قد استوجبنا عقابه، وهذا كله يدركه العقل ويعقله، فلماذا نتبع رجلا مثلنا .

ومنها : ان العقل قد دل على أن للعالم صانعا لا يتعبده الخلق بما تقبح فى عقولهم ، ولقد ورد فى الشرائع بمستقبحات

من حيث العقل ، كالطواف حول البيت والتوجه اليه وتقبيل الحجر الأسود وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان .

ومنها : ان من أكبر الكبائر في الرسالة ان يتبع الانسان شخصا مثله في الصورة والنفس ، ويكون له كالحيوان يصرفه كيف يشاء يمينا ويسارا ، فهو كالجماد أمامه ، لا يتصرف الا بما يشير به عليه .

ومن هنا انكرت البراهمية ارسال الرسل وقالت انه لابد ان نكتفي بالعقل وحده .(١)

---

(١) انظر الشهرستاني - موسوعة الملل والنحل - ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، وعلى عبد الواحد - الاسفار المقدسة - ص ١٦١ - وماجد فخرى تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٥٩ .

تمهيد

يبين الامام ابن تيمية أثر الفكر الأجنبى وانحراف المنحرفين فيقول : (وفى الحديث المتفق عليه " لتأخذن أمتى مأخذ الأمم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يارسول الله .. فارس والروم ؟ قال ومن الناس الا هؤلاء "[1] وهذا بعينه صار فى هؤلاء المنتسبين الى التشيع فان هؤلاء الاسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس وقولهم بالأصلين، النور والظلمة ، وغير ذلك أمورا ، وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذهب اليونان ...)[2]

وبعد أن قدمنا مصادر الانحراف فيما سبق نبين هنا أثر هذا فى المسلمين .

لقد اختلط أصحاب الفكر المنحرف بالمسلمين وكان لذلك أثره السىء على العالم الاسلامى،فكلما اتجهنا فى أى جهة وجد فيها ذلك الاختلاط وجدنا ذلك الأثر السىء له . هذه الكوفه نجدها قد (نشأت بجوار الديانتين اليهوديه والنصرانيه التى جاورت عقائد

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه -كتاب الاعتصام بالسنة - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم -ج ١٣ -ص ٣٠٠ .
بلفظ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تأخذ امتى بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع .فقيل: يارسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس الا أولئك .

(٢) منهاج السنة - ج ٤ - ص ١٤٧ .

السكان الأصليين من مانـدية[1] وزرادشتية ومزدكية ثم مانوية .

فاذا أضفنا الى هذا أن أصحاب هذه العقائد خالطوا أهل الكوفة ومنهم من كان من المرتدين أو من لا يزال على عقيدته في نبوة مسيلمة الكذاب كما يفهم من قولة قدامه ابن جعفر وكتب (أى مسيلمه) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبادة بن الحارث أحد بنى عامر بن حنيفه

---

(١) فى أعلى عليين - فيما وراء ملكوت الكواكب - يوجد عالم كله نور وروعة تستقر فيه " الحياة " الاله الأعظم - كما يسميه بعضهم الكائنات القدسية ، أو يستقر ملك النور الممجد - الالهه الأعظم كما يسميه بعضهم الآخر - تحيط به الملائكة جالسين متوجين. من هذه المملكة ، اشتقت روح الانسان - روح آدم وأرواح أبنائه من المانديين - ويقابل مملكة النور هذه دنيا الظلام فى أسفل سافلين بمياهها السوداء التى تجمد جزء منها وأصبح فى حالة الصلابة فكانت الأرض التى يعمرها الانسان والأرض فى وضعها الحالى حوت المياه السوداء فى جزئها الجنوبى أما فى الشمال فهى تمتد الى حيث الجبال الشاهقة الى عالم النور الذى منه يبدأ جريان الأنهار مخترقة الجبال الى الأرض ولذلك فهم يعتبرون استجمامهم فى مياه الأنهار بمثابة اتصال بالعالم العلوى وهم يعتقدون أن أرواح الصالحين منهم تعيش فى هذه الدنيا فى موطن غريب (أى أنهم غرباء على الأرض) لأنه تتحكم فيها الأرواح الشريرة التى تتلائم مع قوى الظلام المحبوسة على الأرض التى هى آلهة الأقوام الآخرين ودياناتهم وهذه الآلهة ومخلوقاتها أو عبيدها لما تجعل حياة المانديين على الأرض جحيما ولهذا ينتظر المندى فى شغف ساعة خلاصة من حياته على الأرض، ويعتقدون أنه فى ساعة الموت ينزل اليهم كائن ربانى من عالم النور يسمونه المخلص لينتزع الروح من البدن يحملها صاعدا بها فى السموات حتى عالم النور وعالم الحياة العظمى .

(جابر عبد العال ، حركات الشيعة المتطرفين، ص ١٧ - ١٨) .

وهو ابن النواحه الذى قتله عبد الله بن مسعود فى الكوفة لما بلغه أنه وجماعة يؤمنون بكذب مسيلمة تبين لنا مقدار الخطر على عقيدة هؤلاء الناس الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم وخاصة أنه لم يكن هناك حرج على معتنقى هذه الديانات غير الاسلامية أن يظهروا فى الكوفة أو يعيشوا فيها . وفى قصة يذكرها اليعقوبى والمسعودى (أن ساحرا يهوديا يقطن الكوفة يعمل الأعاجيب زمن خلافة عثمان ، وأن الناس كانت تجتمع عليه لترى أنواع السحر والخيالات) فاذا نظرنا الى حياة أمثال هذا الساحر فى الكوفه والى الوافدين من القرى المجاورة .... رأينا أن الفرصة لأصحاب هذه الديانات غير الاسلامية كانت مهيأة ولقد اقتنصوها وتقدمت اليهودية أول الأمر بارزة فى هذا المضمار بعبد الله بن سبأ ليلعب دوره الخطير فى الفرقة بين المسلمين وايجاد مذهب غير مألوف وتلقين الطامحين عقائد غريبة عن التشيع[1]) .

مما يؤسف له أن البعض من أهل الأهواء واعداء الاسلام اتخذوا التشيع وسيلة يتوصلون بها الى تحقيق أهدافهم وغاياتهم والوصول الى مآربهم فكان نتيجة ذلك ظهور الثورات والفتن

---

(١) جابر عبد العال ، حركات الشيعة المتطرفين ـ ص ١٧ - ١٨ .

التى نكب بها أهل البيت وذهبوا ضحيتها ، وسجل التاريخ لهم مآسى تتفطر لها القلوب ، وتقشعر لها الأبدان ، وكان ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت.[١]

ان فكرة التشيع هذه دخيله على المجتمع الاسلامى كغيرها من الأفكار التى دخلت على هذا المجتمع وكان القصد منها القضاء على الاسلام وهدم ذلك المجتمع الاسلامى (وقد اتخذ هؤلاء الأعداء التلفح بالتشيع وسيلة لحشد حشود ، وتأليف جمعيات سرية تسعى فى نشر المذهب الباطنى ـ مذهب الأباحه والالحاد ـ وجعلوا التشيع ستارا لما يريدوا أن يبثوه بين الأمة من الرذيلة ، ونذر البوار ، وصنوف الاباحه والمروق على توالى القرون واختلاف البلدان ، وقد تمكن كثير منهم من مخادعة الجمهور بدعوى النسب الطاهر عن أباء مستورين وزورا ، متذرعين لذلك باختفاء كثير من السادات من الفتن خوفا من شرور الجبابرة ......

ومن العجب العجاب أن يدعى الملاحدة الانتماء الى أهل بيت النبوة فيروج هذا الادعاء على أناس وحاشى لله أن يجعل أهل بيت رسوله دعاة للالحاد ناشرين للرذيلة هادمين لأركان الاسلام.)[٢]

---

(١) انظر محمد عجاج الخطيب ـ السنة قبل التدوين ـ ص ١٩٥ .
(٢) محمد زاهد الكوثرى ـ كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة ـ ص ٤ ـ ٥ .

لقد أصبح التشيع ستارا لكثير من الفرق الضالة ، تتستر به لتخفى مآربها ، ففى الظاهر تظهر المحبة والولاء لأهل البيت ، وفى الباطن تخفى الحقد على الاسلام وأهله وتتخذ كل وسيلة من أجل القضاء عليه ، أن (من أعظم مابه دخل هؤلاء على المفسدين وأفسدوا الدين هو طريق الشيعة لفرط جهلهم وأهوائهم وبعدهم عن دين الاسلام ، ولهذا وصوا دعاتهم أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع ، وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الأكاذيب والأهواء ويزيدون هم على ذلك ما ناسبهم من الافتراء حتى فعلوا فى أهل الايمان مالم يفعله عبدة الأوثان والصلبان وكانت حقيقة أمرهم دين فرعون الذى هو شر من دين اليهود والنصارى وعباد الأصنام وأول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الاسلام بل من الملل كلها ومن عرف أحوال الاسلام وتقلب الناس فيه فلا بد أنه قد عرف شيئا من هذا ، وهذا تصديق لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه " لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو

دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا يارسول الله ...

اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ " (١) .

وفى الحديث الآخر المتفق عليه " لتأخذن من أمتى

مأخذ الأمم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ، قالوا

يارسول الله ... فارس والروم ؟

قال ومن الناس الا هؤلاء " (٢) . وهذا بعينه صار فى هؤلاء

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الاعتصام بالسنة - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم - ج ١٣ - ص ٣٠٠ .
وأخرجه فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء - باب ماذكر عن بنى اسرائيل - ج ٦ - ص ٣٨٧ .
بلفظ عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم : قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ".
وأخرجه مسلم فى كتاب العلم - المجلد الثامن - ج ١٦ - ص ٢١٩ - ٢٢٠ .
بلفظ عن أبى سعيد الخدرى قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرابشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ .
وأخرجه أحمد فى مسنده - ج ٢ - ص ٣٢٧ .
وأخرجه الترمذى فى السنن - كتاب الفتن - باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم - ج ٤ - ص ٤٧٥ . قال عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الاعتصام بالسنة - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم - ج ١٣ - ص ٣٠٠ .
بلفظ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لاتقوم الساعة حتى تأخذ امتى بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ".
فقيل يارسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس الا أولئك ؟ .

المنتسبين الى التشيع فان هؤلاء الاسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس وقولهم بالاصليين النور والظلمه وغير ذلك أمورا . وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية وما كانوا عليه قبل النصرانيه من مذهب اليونان وقولهم بالنفس والعقل وغير ذلك أمورا ومزجوا هذا بهذا ، ومن هذا المزج كانت خرافاتهم كالذى قالوه فى العقول وغيرها .)[١]

لقد استطاع عبد الله بن معاويه[٢] أن يكون عقيدة ، وقد لقيت القبول والاخلاص ، لدى المعتنقين لها ، وهى الباس التشيع بثوب تلك الاباحيه السافرة ، المقتبسة من عقائد الفرس القديمة التى حاول مزدك نشرها ، هذا الثوب طرز بعقيدة تأليه الامام وانكار مابعد الموت ....[٣]

---

(١) ابن تيميمة - منهاج السنة - المجلد الثانى - ج ٢ - ص ١٤٧ .

(٢) هو عبد الله بن معاويه بن جعفر الطيار بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، كان قد خرج على الأمويين بالكوفه فى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه ، واجتمع حوله خلائق فبرز اليهم يومئذ أمير الكوفه فقاتلهم ثم طلبوا الأمان لأنفسهم ولعبد الله فأعطاهموه فتوجه عبد الله الى المدائن ، وعبر دجله ، وغلب على حلوان وما يقاربها ، ثم توجه الى بلاد العجم فغلب على همذان والرى وأصبهان ، وبقى على ذلك مدة ، وكان أبو مسلم الخراسانى داعية العباسيين قد قويت شوكته وظهر أمره ، فسار الى عبد الله بن معاويه وشيعته ، فقتله ، ثم أظهر الدعوة .
(البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٣) انظر جابر عبد العال - حركات الشيعه المتطرفين - ص ٦٩ .

ان التشيع ما هو الا كما قلت ستار يتمسح به كل من أراد أن يدخل على المسلمين لكى يفسد عليهم عقيدتهم (والحق ان التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد ادخال تعاليم آبائه من يهوديه ونصرانية وزرادشتيه وهنديه ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ، فاليهوديه ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعه وقال الشيعه : ان النار محرمة على الشيعى الا قليلا ، كما قال اليهود : " لن تمسنا النار الا أياما معدودات " ، والنصرانيه ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه ، وقالوا ان اللاهوت اتحد بالناسوت فى الامام وان النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى. وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمه والفلاسفه والمجوس من قبل الاسلام . وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأمويه ، ومافى نفوسهم الا الكره للعرب ودولتهم والسعى لاستغلالهم.

قال المقريزى :(واعلم أن السبب فى خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام ، أن الفرس كانت سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون

أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى وفى كل ذلك يظهر الله الحق .... فرأوا أن كيده على الحيلة انجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم على ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهوى .)[1]

يقول أبوسعيد الدارمى : (حدثنا الزهرانى أبو الربيع : قال : كان من هؤلاء الجهمية رجل ، وكان الذى يظهر من حاله الترفض وانتحال حب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال رجل ممن خالطه ويعرف مذهبه : قد علمت أنكم لاترجعون الى دين الاسلام ولا تعتقدونه فما الذى حملكم على الترفض وانتحال حب على ؟ قال : اذاً أصدقك، انّا ان أظهرنا رأينا الذى نعتقده، رمينا بالكفر والزندقة ، وقد وجدنا أقواما ينتحلون حب على ويظهرونه ، ثم يقعون بمن شاءوا ويعتقدون ما شاءوا فيقولون ماشاءوا ، فنسبوا بذلك الى الترفض والتشيع ، فلم نر لمذهبنا أمرا ألطف

---

(١) نقلا عن أحمد أمين ـ فجر الاسلام ـ ص ٢٧٧ .

من انتحال حب هذا الرجل ، ثم نقول ما شئنا ، ونعتقد ما شئنا ، ونقع بمن شئنا فلأن يقال : انا رافضه وشيعه/ أحب الينا من أن يقال : زنادقه وكفار ، وما على عندنا بأحسن حالا من غيره ممن نقع بهم .)[١]

ويقول أبوسعيد الدارمى أيضا : (وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ ، وقد استبان لى ذلك من بعض كبرائهم ونظرائهم أنهم يستترون بالتشيع : يجعلونه تشبيثا لكلامهم وخطبهم ، وسلما وذريعة لاصطياء الضعفاء وأهل الغفلة ، ثم يبذرون بين ظهراني خطئهم بذر كفرهم وزندقتهم ، ليكون أنجع فى قلوب الجهال وأبلغ فيهم ، ولئن كان أهل الجهل فى شك من أمرهم ، ان أهل العلم منهم على يقين ولا حول ولا قوة الا بالله .)[٢]

ولكننا لو سألنا ماهى الأسباب التى جعلت العقيدة الشيعية تولد فى الكوفه وتنتشر هذا الانتشار ويتشعب منها فرق متعدده؟

نقول أن السبب الأساسى فى ذلك هو أن الكوفه كانت حاضرة على ، ووطن شيعته الأول ، فمن الطبيعى أن تولد العقيدة الشيعية فيها ، وان تجد من أهل الكوفه الترحيب والتأييد لها

---

(١) سامى النشار وعمار الطالب - عقائد السلف - ٣٥١ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٥١ - ٣٥٢ وابن تيميه - درأ تعارض العقل والنقل - ج ٥ - ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

.... ولكن الى جانب هذا السبب الأساسى هناك سببان آخران هما : انتشار العناصر الأجنبية فيها وخاصة الفارسية وقد كانت تلك العناصر تكوّن كتلة ضخمة من الطبقة الشعبية فى المجتمع الكوفى ، والبعض من أفرادها الذين اعتنقوا الاسلام لم يعتنقوه عن ايمان صادق وانما دخلوا الاسلام وهم يحملون فى نفوسهم رواسب لتلك الديانات القديمة وحضاراتهم الموروثه ، لذلك وجدت لديهم البيئه الخصبة والاستعدادات القوية لتقبل تلك الآراء المغاليه المنحرفه عن الدين التى يكاد البعض منها يتشابه مع ما استقر فى نفوسهم من تلك الرواسب القديمه .

هذا بالاضافة الى استعدادهم لتقبل تلك الأوهام والأساطير والشعوذات التى وجدت بين تلك الطبقات ، أيضا العناصر الفارسية عناصر شديدة التشيع لما يربط بينها وبين الحسين من صلة مصاهرة ، اذ يعد الفرس أخوال ابنه على زين العابدين لأن أمه فارسية وهى سلافه (بانو بنت يزدجرد) آخر ملوك فارس ولأن زياد ابن أبيه عندما رحل مجموعة ضخمه من شيعة الكوفه الى خراسان عقب ثورة حجر بن عدى عمل على نشر التشيع بين الفرس.[1]

---

(١) انظر يوسف خليف - حياة الشعر فى الكوفة - ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، وكامل الشيبى - بين التصوف والتشيع - ص ٢٣١ ، وابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣ - ص ٢٦٧ .

من خلال ذلك اتضح لنا أن الفرس كان لهم الأثر الأكبر في ايجاد ونشر فكرة التشيع في تلك الأوساط ، فبعض العلماء الأوربيين ومنهم الأستاذ دوزى (يقرّون أن أصل المذهب الشيعى نزعة فارسية ، اذ أن العرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالملك والوراثة فى البيت المالك ، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفه).(١)

وقد أدى التشيع بعد ذلك الى ظهور كثير من الفرق والطوائف الغاليه (انتشرت المانويه والديصانيه والمرقونيه تحملها الى العالم الاسلامى بقايا فارسية ، عشعشت وفرخت فى الكوفه ثم انتشرت فيها الى بغداد ، وكان طريقها التشيع الغالى الذى ظهر فى الكوفه ...... اتخذت الخرميه أو الخرمدينيه التشيع ملجأ لها حتى قيل قد أصبح مزدك شيعيا .)(٢)

هذه الفرق التى ظهرت والتى تذرعت بالتشيع واتخذته وسيلة لذيوع أفكارها قد نادت بتقديس الأئمه ثم تدرجت بعد ذلك فقالت بألوهيتهم (لم يتحرج الغلاة فى أن يصلوا فى تقديس الأئمة الى مافوق المستوى البشرى وأن يجعلوهم من الكائنات التى تساهم فى تصريف القوى الكونية).(٣)

---

(١) نقلا عن محمد أبوزهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية - ج ١ - ص٦٩ .
(٢) سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى - ح ١ - ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(٣) جولد تسهير - العقيدة والشريعه - ص ٢٤٦ .

(ويرتبط بهذه النظريه تصورات اعتقاديه أخرى ، فعندهم أن اللـه تعالى حينما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، كان هذا السجود موجها للمواد النورانيه الخاصه بالأئمة والتى اشتمل عليها جسد آدم ، وقد أمره اللـه تعالى بعد أن سجدت له الملائكة أن يرفع بصره الى قمة العرش الالهى ، حيث شاهدت انعكاس هذه الأجسام النورانيه المقدسه ، كما تنعكس صورة وجه الانسان فى صفحة مرآة صافيه ، فالصور المنعكسه لهذه الأجسام المقدسه قد رفعت اذا الى العرش الالهى .)[١]

لقد كان عبد اللـه ابن سبأ هو أول من ادعى الالوهيه لعلى رضى اللـه عنه حيث قال لعلى أنت أنت يعنى أنت الالـه فنفاه الى المدائن وقيل أمر بحرقه.[٢]

والحقيقه أن القول بالعصمه هو من تأثير الفرس أيضا ، فهذا الأمر ليس عليهم بغريب لأنهم كانوا ينظرون الى ملوكهم كأنهم كائنات الهيه اصطفاهم اللـه للحكم بين الناس ، وخصهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده ، فهم ظل اللـه فى أرضه ، أقامهم على مصالح عباده ، وليس للناس قبلهم حقوق وللملوك على الناس السمع والطاعة.[٣]

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٥ .
(٢) انظر جابر عبد العال - حركات الشيعه - ص ١٩ - والشهرستانى الملل والنحل على هامش ابن حزم - ج ٢ - ص ١١ .
(٣) انظر احمد أمين - فجر الاسلام - ص ١١١ .

أما العرب فقد كانوا ينظرون الى الخليفه نظرهم الى أحدهم لا يمتاز عنهم كثيرا ، بل كانوا أيام النبى صلى الله عليه وسلم يرفعون أصواتهم وينادونه بأسمه فنزلت الآيات فى ذلك لكى تهذب النفوس وتعلمها كيفية التخاطب مع نبيها صلى الله عليه وسلم. حيث نزل فى ذلك قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ (١)

وعندما وفد عليه وفد بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد ، فجعلوا ينادونه ، يامحمد اخرج لنا ... فنزلت الآية :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ (٢)

كما كان هؤلاء العرب أشد جرأة مع من كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء ، والتاريخ مملوء بشواهد من ذلك ولا نحب ان نطيل فى هذه النقطه وانما للايضاح فقط.

فالدعوة الى القول بالعصمة يستحيل ان تنمو فى مثل هذه البيئه (اما التشيع فكان حوله ، خصوصا فى آخر العهد الأموى والعهد العباسى ، كثير من الفرس ربّوا على أرستقراطيه الملوك ، وورثوا عن آبائهم نظرة التقديس لملوكهم ، وسمى العرب هذه النزعه كسرويه نسبة الى كسرى ملك الفرس ، لأنهم لا يعرفونها بين العرب.

(١) سورة الحجرات آية ٢ .
(٢) سورة الحجرات آية ٤ .

قال الثعالبي النيسابوري في كتابه (المضاف والمنسوب) بعد أن ذكر عدل كسرى أنوشروان : { فأما سائر الأكاسرة فانهم كانوا ظلمة فجرة ، يستعبدون الأحرار ، ويجرون الرعية مجرى الأجراء والعبيد والاماء ، فلا يقيمون لهم وزنا ، ويستأثرون عليهم حتى بأطايب الأطعمه والثياب الحسنة والمراكب والنساء الحسان ، والدرر السريه ، ومحاسن الآداب ، فلا يجترىء أحد من الرعايا أن يطبخ سكباجا ، ويلبس ديباجا ،أو يركب هملاجا ، أو ينكح امرأة حسناء ، أو يبني دارا قوراء ، أو يؤدب ولده ، أو يمد الى مروءة يده ، وكانوا يبنون أمورهم على معنى قول عمر ابن مسعدة للمأمون : ملك مايصلح للمولى على العبد حرام }.

يقول البيروني : أن (أردشير بن بابك عند تجديده ملك فارس جدد الطبقات وجعل الأساورة وأبناء الملوك في أولاها).[1] مثل هذه النزعه ولهذه الحالة النفسية ، وغلبة العبوديه يمكن أن تثمر فيها دعوى العصمه.[2])

وكما كان للمصدر الفارسي تأثير قوي في انتشار التشيع والقول بالعصمه كذلك نجد أن للمصدر الهندي واليوناني تأثيرات قويه أخرى على المجتمع الاسلامي في ذلك العصر ويظهر تأثير

---

(١) ماللهند من مقوله - ص ٧٦ .
(٢) نقلا عن أحمد أمين - ضحى الاسلام ج ٣ - ص ٢٣٣ .

تلك المصادر فى عدة جوانب سواء كان ذلك فى الجانب الدينى أو الاجتماعى أو غيرهما (أما تأثير الهنود فى البصرة فيبدو واضحا فى الناحية العقليه أكثر من غيرها ، وأنه بدأ فيما يبدو فى آخر القرن الأول أو فى القرن الثانى الهجرى ، وذلك لأن اتصال البصريين بأهل السند كان تاما بعد فتح هذا الاقليم فى أواخر القرن الأول الهجرى ، ومالبث ان ظهرت آثار الفكر الهندى فى القرن الثانى فى البصرة)[١].

---

(١) جابر عبد العال - حركات الشيعة المتطرفين - ص ١٨٣ .

الأثر الديني

يظهر الأثر في الدين فيما حدث في القول بمعان في تفسير كلام الله لاتوافق اللغه العربية التي نزل بها القرآن ، اتخذ زنادقة ذلك العصر التأويل وسيلة للطعن في القرآن والقول بأنه يعارض بعضه بعضا[1] مثل قولهم : في قوله تعالى :

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (٢)

قالوا : ان هذه الآيه تعارض قوله تعالى :

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ (٣)

وقد تصدى لهم العلماء في الرد عليهم في مثل هذه الشبهه كأحمد بن حنبل ، والقاضي عبد الجبار وأبي الحسين الملطي وغيرهم مما سوف نبينه في دور العلماء في الرد - ان شاء الله .

كذلك يتضح أثرهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وضعوه من أحاديث لا حصر لها لا تمت الى ماقاله عليه الصلاة والسلام بآية صله ، ولولا جهود رجال الحديث لكانت هذه الأحاديث مثار جدل وخلاف بين

---

(١) انظر الملطي الشافعي - التنبيه والرد على الأهواء والبدع - ص ٥٥ .
(٢) سورة المرسلات الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) سورة الزمر الآيه ٣١ .

المسلمين (وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التي كانت تزداد يوما بعد يوم فوضعوا أحاديث في مناقب على رضى الله عنه ، وأخرى وضعوها في مثالب معاوية والأمويين)[1].

قال محمد بن سعيد الأصبهانى : (سمعت شريكا[2] يقول : أحمل العلم عن كل من لقيت الا الرافضه فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا)[3].

ان (أصل الرافضه كان من وضع زنادقة منافقين مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الاسلام فوضعوا من الأحاديث ما يكون التصديق به طعنا في دين الاسلام ، وردوا بها على أقوام فمنهم من كان صاحب هوى وجهل فقبلها لهواه ولم ينظر في حقيقتها ، ومنهم من كان له نظر فتدبرها فوجدها تقدح في الاسلام فقال بموجبها وقدح في دين الاسلام اما لفساد اعتقاده في الدين واما لاعتقاده أن هذه صحيحه وقدحت فيما كان يعتقده من دين الاسلام ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب)[4].

---

(١) محمد عجاج الخطيب - السنه قبل التدوين - ص ١٩٧ .

(٢) هو شريك بن عبد الله القاضي ، قاضي الكوفه من أقران الثورى وأبى حنيفه وهو من الشيعه الذى يقول بلسانه أنا من الشيعه وهذه شهادته فيهم (ابن تيميه - منهاج السنه - المجلد الأول - ج ١ ص ١٣) .

(٣) ابن تيميه - منهاج السنه - المجلد الأول - ج ١ - ص ١٣ .

(٤) المرجع السابق - المجلد الثاني - ج ٤ - ص ٣ .

ثم نتبع هذا النص بقول ابن الجوزى (وغلو الرافضه فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه ، منها أن الشمس غابت ففاتت عليا صلاة العصر فردت له الشمس وكذلك وضعوا ان فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل .)(١)

ويقول سامى النشار : (قد عدد الباحثون المحدثون أحاديث قدسيه موضوعه وضعت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيها تلك الصبغة الأفلوطينيه المحدثه ، مثل قولهم " وأول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتى وجلالى ، ماخلقت خلقا أكرم على منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب) (٢) هذا الحديث اعتبر قدسيا ، بينما كان غنوصيون اسلاميون هم الذين انطقوا النبى اياه بلسان افلوطين .

غير أن علماء الحديث أثبتوا وضعه ، وصلته بالفلسفه اليونانيه وهاجموه هجوما عنيفا (٣) ، والحديث الآخر (كنت نبيا وآدم بين الطين والماء) حديث افلوطينى هو الآخر . والحديث الثالث

---

(١) تلبيس ابليس - ص ٩٩ .

(٢) قال شيخ الاسلام ابن تيميه هذا الحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث . الفتاوى - ج ٨ ، ص ١٢٣ .

(٣) يقول شيخ الاسلام عنه هذا اللفظ كذب باطل الفتاوى - ج ١٨ - ص ١٢٢ .

(كنت كنزا مخفيا ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق فبه عرفوا)[١] هو أيضا حديث أفلوطيني)[٢].

ثم يعلق المؤلف بعد هذا ويقول : (من هذا نرى أن الأفلوطينيه الحديثه دخلت في علم من أشد العلوم الاسلاميه أصالة ولكن علماء الحديث قاوموا كل الأفلوطينيات مقاومة عنيفة.)[٣]

كذلك يظهر أثرهم في الدين في تلك المسائل التي أحدثها علماء الكلام في علم الكلام للرد عليهم ، وقد كانت تلك المسائل مثار جدل وخلاف بين المسلمين الى اليوم ويتضح هذا فيما قاله الباحثون .

يقول الخوارزمي : (الأصول التي يبحث فيها المتكلمون القول في حدوث الأجسام والرد على الدهريه الذين يقولون بقدم الدهر والدلاله على أن للعالم محدثا وهو الله تعالى والرد على المعطله[٤] وأنه عز وجل قديم قادر والرد على الثنويه[٥] من المجوس[٦] والزنادقه ممن قالوا

---

(١) يقول شيخ الاسلام ابن تيميه وما يروون كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فبي عرفوني هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أعرف له اسنادا صحيحا ولا ضعيفا (فتاوى جـ١٨ ص٢[illegible]

(٢) نشأة الفكر الفلسفي ج ١ - ص ١٨٥ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الذين لا يثبتون الباري ، عز وجل (الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ٥٥) .

(٥) هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمه أزليان قديمان بخلاف المجوس (الشهرستاني - الملل ج ١ - ص ٢٤٤) .

(٦) قالوا بالأصلين النور والظلمه الا أنهم قالوا ان النور أزلي والظلمه محدثه وقد اختلفوا في سبب حدوثها . (الملل - الشهرستاني - ج ١ - ص ٢٣٢) .

بكثرة الصانعين وأنه لا يشبه شيئا من الأشياء)[١].

هذه المسائل التى أثيرت وأصبحت مثار جدل ونقاش بين المسلمين سببها هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام وما تزال بعض من دياناتهم القديمه راسخه فى نفوسهم حيث أخذ هؤلاء يفكرون فيها ويثيرون حولها الجدل والمناقشات (ومن هذه الآثار الدينيه ظهور علم الكلام ، فالكثير ممن دخلوا فى الاسلام بعد الفتح من ديانات مختلفه قد نشأوا على تعاليمها وشبوا عليها ، وكان ممن أسلم علماء فى هذه الديانات ، فلما اعتنقوا الاسلام أخذوا يفكرون فى تعاليم دينهم القديم ويثيرون مسائله ....)[٢]

ان التقاء حضارة الأسلام بالحضارات الأخرى له دور كبير فى مباحث علم الكلام،كما أنه طبع الحياة الاسلاميه بطابع خاص (كان لالتقاء حضارة الاسلام بالحضارات المختلفه دخل كبير فى تزكية مباحث علم الكلام فسرعان ما قام الداخلون فى الاسلام بدور سياسى وثقافى واجتماعى ملحوظ طبع الحياة الاسلامية بطابع الجدل والمناظرة ونشدان الحقيقه[٣]. تتجلى فيه التأثيرات المختلفه كما عرفه المجتمع وتتشذ من الوان الثقافه وضروب التفكير.....)[٤].

---

(١) مفاتيح العلوم - ص ٢٧ .

(٢) رمزيه الاطرقجى - الحياة الاجتماعيه فى بغداد - ص ٧٤ .

(٣) نشدان الحقيقه هذا ينطبق على المخلصين ولكن كان هناك من يجادل لا لنشدان الحقيقه ولكن للغلبه .

(٤) على الشابى - مباحث علم الكلام - ص ٢٨ - ٢٩ .

أثر المصدرين اليوناني والهندي في التصوف :

يقول هاشم الحسيني : انه في الافلوطونيه الحديثه ذهب افلوطين الى ما ذهب اليه افلاطون ان النفس كانت قبل اتصالها بالجسد - في الملأ الأعلى مع الله وعندما هبطت الى العالم الأرضي أصبحت خاضعه للتناسخ في البشر والنبات والبهائم ، واذا أرادت الاتصال بالله فعليها ان تتخلص من شهوات الحياة وملذاتها وان تدمن في الذهول والتأمل في الله وبذلك تخسر وجودها الجزئي وتتحد بالله وتصبح مع الله شيئا واحدا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وبذلك تشعر بالسعاده والاطمئنان ، أما (فورفوريوس) تلميذ افلوطين الذى يقول : ان الاتصال اباللـه والاتحاد معه لا يتم الا بالخلاص من الشهوات ومجاهدة النفس واماتة الجسم بالجوع والسهر والالتجاء الى الكهوف ونحو ذلك . فبهذا يتم الاتحاد ويتسنى لها الاطلاع على ما تشاء من أسرار الكون وهذا هو الفناء المطلق الذى يدعيه الصوفي ،ان هذه الأفكار قد انتقلت الى الأوساط الاسلاميه وشاعت فيها بواسطة الفرس والسريان الذين اختلطوا بالمسلمين وترجموا آثار الامم والشعوب الى العربية حيث يرجع أكثر الباحثين في التصوف ان الفرس كانوا الأداة الأولى لنقله الى العواصم والمدن الاسلاميه ، ولكن لا يعني هذا أنه من صنعهم .

وكما أن للصدر اليونانى تأثيرا كبيرا فى التصوف كذلك الصدر الهندى حيث ظهر فى أوساط الشعب الهندى قبل الميلاد بعدة قرون نوعان متشابهان من التصوف ، التصوف البرهمى ، والتصوف البوذى : وان وجه التشابه المشترك بينهما فكرة التشاؤم وطلب الفناء ، ولكن درجة ذلك تختلف عند أحدهما عن الآخر فالبوذيون أكثر اغراقا فى الفناء من البراهمه ، وقد يكون مرد ذلك الى عدم ايمان البوذيين بالتناسخ بعكس البراهمه الذين كانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح وتقمصها بالانتقال من شخص الى آخر وأن ما يلقاه الشخص من سعادة وشقاء مترتب على ماقدمه من عمل والبراهمه لا يعرفون متى بدأ هذا التناسخ ولكنهم يعتقدون أن تقلب النفس العاقله فى أجسام مختلفه مزعج لها وأنه حال من أحوال الشقاء ، ومن أجل ذلك فالبرهمى الهندى يحاول التخلص من استعباد الجسد للنفس ويسعى الى التخلص من هذا التناسخ الى عالم من العدم لايشعر فيه بشىء ، حتى بنفسه حيث تبقى عند ذلك الروح صافيه خالصة من كل شىء يتعلق بالجسد وتتمكن من الاتحاد فى (براهما) أى الروح الكلى وهو الله حيث يصح لأحدهم بعد ذلك أن يقول (انا براهما) أى الله ، وبذلك يلتقى البراهمه بالصوفيين القائلين بالحلول أو الاتحاد.[1]

---

(١) انظر - بين التصوف والتشيع - ص ٣١٦ - ٣٢٠ - ٣٢١ .

ان المصدر الهندى يعمل جنبا الى جنب مع المصدر الفارسى واليونانى فى المجتمع الاسلامى فالحلول والاتحاد دخلا على هذا المجتمع مرة عن طريق الهند ، ومرة أخرى عن طريق الأفلوطونيه المحدثه مع أن أساسه هندى ولكن الافلوطونيه المحدثه قد طورت ذلك ، هذا كما أن القول بالتناسخ مصدره هندى ، دخل علينا عن طريق المصدر الهندى تارة ، وعن طريق المصدر اليونانى تارة أخرى . (الغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول .ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقوها من المجوس المزدكيه والهند البرهميه ومن الفلاسفه والصابئه .ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر لشخص من أشخاص البشر،وذلك معنى الحلول . وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل .أما الحلول بجزء هو كاشراق الشمس فى كوة أو كاشراقها على البلور وأما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان . . . . .) (١)

ويذكر ابن تيميه هذا الحلول ويقسمه الى قسمين حلول مقيد وهو ما قالت به النصارى ، حلول اللاهوت فى الناسوت . وحلول مطلق وهو حلول الاله فى كل شىء،فيقول : (والحلول نوعان : حلول مقيد وحلول مطلق .

---

(١) الشهرستانى - الملل والنحل بهامش الفصل فى الملل والنحل -لابن حزم - ج ٢ -ص ١٢ .

فالحلول المقيد هو قول النصارى ونحوهم من غلاة الرافضة وغلاة العباد ، وغيرهم ، يقولون انه حل في المسيح أو اتحد به ، وحل بعلى أو اتحد به ، وأنه يتحد بالعارفين حتى يصير الموحد هو الموحد ..... وهؤلاء الذين حكى الامام أحمد قولهم أنهم يقولون : (اذا أراد الله أن يحدث أمرا دخل فيه بعض خلقه ، فتكلم على لسانه ، وقد رأيت من هؤلاء غير واحد ممن خاطبني ، وتكلم معى فى هذا المذهب ، وبينت له فساده . وأما أهل الحلول المطلق الذين يقولون : انه حال في كل شيء أو متحد بكل شيء ، أو الوجود واحد ، كأصحاب (فصوص الحكم[1]) وأمثالهم فهؤلاء يقولون : أخطأ النصارى من جهة أنهم خصصوا وكذلك يقولون فى عباد الأصنام خطأوهم من جهة أنهم خصصوا بعض الأشياء فعبدوها وقد رأيت من هؤلاء أيضا غير واحد ، وجرت بيننا وبينهم محنة معروفه)[2].

ثم نعود فنقول : بأن فكرة الحلول والتناسخ أساسها هندى ثم انتقلت بعد ذلك الى بلاد فارس واليونان ، ثم أخذت بها الفرق الباطنية بعد ذلك (وينتقل مذهب تناسخ الأرواح من الهند ، فينتشر فى العراق ويدعوا اليه غلاة الشيعه وبابك الخرمى وأصحابه)[3].

---

(١) أى كتاب (فصوص الحكم)(وهو ابن عربى) واتباعه (ابن تيميه . درء تعارض العقل والنقل -ج ٥ -ص ١٧٠) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل -ج ٥ -ص ١٧٠ .

(٣) أحمد أمين - ضحى الاسلام -ح ١ - ص ٣٨٤ .

ان انتشار أمثال هذه الأفكار فى العالم الاسلامى سببه ازدياد نفوذ العجم فى عهد المهدى بالاضافة الى قصور فهم الأفراد لحقيقة الدين الاسلامى كل ذلك ساعد على تسرب تلك الأفكار وذيوعها فى تلك الأوساط .[1]

ولقد كان من ضمن هؤلاء الذين تسربت اليهم أو دخلت عليهم هذه الأفكار، الجهميه ، فقالوا بها ولم يقف أمرهم عند هذا الحد اذ لو أعلنوا أنهم مع الحلوليه والاتحاديه دون الانتساب للاسلام لهان أمرهم اذ نعتبرهم أعداء ونرد عليهم الا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل حاولوا ان يأخذوا بعض آيات القرآن الكريم على أنها شاهد لهم فنرى الجهم بن صفوان[2] يقول عن الله سبحانه وتعالى : انه (لا يكون فى مكان دون مكان)[3] .

---

(١) انظر عبد المنعم ماجد - القرن الذهبى - ص ١٥٨ .

(٢) جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذى قتله خالد عبد الله القسرى سنة ١٢٤ على الزندقة والالحاد ، والجعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وتعطيل الله عن صفاته وكان جهم يخرج بأصحابه فيقفهم على المجذومين ويقول : انظروا "أرحم الراحمين يفعل مثل هذا ؟ انكارا لرحمته كما انكر حكمته - قال عبد القاهر البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ٢١٢ (ووصفه بأنه قادر وموجد ، وفاعل ، وخالق ، ومحيى ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وانما تنسب الاعمال الى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفنا به وكان جهم مع ضلالاته التى ذكرناها يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار - وقتله مسلم بن أحوز المازنى فى آخر زمان بنى مروان . (الملل - الشهرستانى - ح ١ - ص ٨٦) .

(٣) سامى النشار وعمار الطالبى - عقائد السلف - ص ٦٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل ص ١٦٧ .

يقول ابن تيميه : (وذكر أحمد أن الجهم اعتمد من القرآن على ثلاث آيات تشتبه معانيها على من لا يفهمها : آيه نفي الادراك لينفي بها الرؤية والمباينه ، وآية نفي المثل لينفي بها الصفات ويجعل من أثبتها مشبها ، وقوله :

وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ (١)

لينفي بها علوه على العرش ، أو ليثبت بها مع ذلك الحلول والاتحاد وعدم مباينته للمخلوقات ..... قال الامام أحمد عن الجهميه (٢) :

(فاذا سألهم الناس عن قوله تعالى :

لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ (٣)

يقولون ليس كمثله شيء من الأشياء ، وهو تحت الأرضين السابعه كما هو فوق العرش ، لا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ولم يتكلم ، ولا يتكلم ، ولا ينظر اليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يوصف ولا يعرف بصفه ، ولا بفعل ولا غاية ، ولا له غاية ، ولا منتهى ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ، وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كله ، وهو قدرة كله ، ولا يكون شيئين مختلفين - .... وليس له أعلى ولا أسفل ، ولا نواحي ولا جوانب ، ولا يمين ولا شمال ، ولا هو ثقيل ولا خفيف ، ولا له لون ، ولا له

---

(١) سورة الأنعام آيه ٣ .
(٢) أصحاب جهم بن صفوان وقد سبق ذكرجهم (انظر الشهرستاني - الملل - ج ١ - ص ٨٦) .
(٣) سورة الشورى آيه ١١ .

جسم ، وليس هو معقولا ، وكل ماخطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو خلافه . فقلنا : هو شيء ؟ فقالوا : هو شيء ، ولا كالأشياء. فقلنا : ان الشيء الذى لا كالأشياء فقلنا : ان الشيء الذى لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء فعند ذلك تبين لنا أنهم لا يأتون بشيء .... ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة. فاذا قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . فقلنا هذا الذى يدبر أمر هذا الخلق ، هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا نعم فقلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تأتمون بشيء ، وانما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذى يدبر : هو الذى كلم موسى ؟ فقالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون الا بجارحه ، والجوارح على الله منفيه ، فاذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يشعر أنهم انما يقودون قولهم الى فريه في الله. (1))

ثم ذهب الجهم بن صفوان في غيه وتماديه وادعى ان القرآن مخلوق ثم استدل على قوله ذلك ببعض من المتشابه من الآيات لكى يسند بها قوله ولكن الامام رد عليه في هذا وسوف نورد ذلك في باب دور العلماء في الرد على الزنادقه .

---

(1) درء تعارض العقل والنقل - ج ٥ -ص ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ .

مرة أخرى نعود الى عقيدة التناسخ ونقول : لقد شجع ماني على اظهار عقيدة التناسخ وقد أخذ هذا النص من كتابه سفر الأسرار (ان الحواريين لما علموا أن النفوس لا تموت ، وأنها في التردد منقلبة الى شبه كل صورة ، هي لابسة لها ، ودابة جبلت فيها ومثال كل صورة أفرغت في جوفها ، سألوا المسيح عن عاقبة النفوس التي لم تقبل الحق ، ولم تعرف أصل كونها ، فقال : أي نفس ضعيفه لم تقبل قرائنها من الحق ، فهي هالكة لا راحة لها ، وعنى بهلاكها عذابها ، لا تلاشيها .) (١)

من خلال هذا النص اتضح لنا ان ماني قد أخذ بمبدأ التناسخ وقال به أي بتردد الأرواح وتناسخها ولكن من أين أخذ بهذه الفكرة . ؟ ان البيروني يرى بأن ماني عندما نفي من ايرانشهر دخل أرض الهند ثم أخذ عنهم التناسخ ، ولكن من المرجح أيضا أنه تأثر بأفلاطون ، لأنه قد عرفه في فلسطين من قبل ، وقد كان يدرس فيها المسيحيه ، وكان افلاطون موضوع دراسة الكنيسة في فلسطين في ذلك العهد ، كما أن المسيحيين كانوا يأخذون ببعض أفكاره ، وينكرون البعض الآخر وقد أخذ ماني بالكثير مما انكرته الكنيسه ، ومن المحتمل أن يكون التناسخ من بينها ، ثم رأى في عقائد الهنود مايؤيد تناسخه المأخوذ عن أفلاطون ومن المحتمل أن يكون قد أخذ مذهب افلاطون من بلاد فارس من قديم وخاصة أثناء وبعد حملة الاسكندر المقدوني وغزوه بلاد فارس والهند واستصحابه لكثير من العلماء معه .

---

(١) البيروني - ماللهند من مقوله - ص ٤١ - ٤٢ - وانظر سامي النشار - قيد ون ص ٣٢٧ .

ثم ينتقل بنا بعد ذلك البيرونى لكى يبين لنا مدى أثر النص الفيدونى فى العالم الاسلامى حيث يقول : (والى هذا المعنى ذهب من الصوفيه من قال : ان الدنيا نفس نائمه ، والآخرة نفس يقظانه ، وهم يجيزون حلول الحق فى الأمكنه كالسماء والعرش والكرسى ، وفيهم من يجيزه فى جميع العالم والحيوان والشجر والجماد ويعبر عن هذا بالظهور الكلى ، واذا أجازوا ذلك فيه لم يك لحلول الأرواح بالتردد عندهم خطر .) (١)

هنا نرى الحلول والتناسخ واضحين بلا شبهة ولا خفاء وهو ما أثر فى الفرق التى تنسب الى الاسلام فوجدناهم يأخذونه ومع ذلك يدعون انهم من المسلمين .

وبعد أن قارن البيرونى مذاهب الهنود والمانويه والديصانيه بالأفلاطونيه ذكر نصا آخر عن الهنود (أن النفس أبدية الوجود لا عن ولاده ولا الى تلف وعدم بل هى ثابته قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تيبسها ولكنها تنتقل عن بدنها اذا أعتق نحو آخر ، ليس كذلك ، كما يستبدل البدن اللباس اذا خلق) . (٢)

---

(١) البيرونى - ما للهند - ص ٤٤ - وانظر سامى النشار - فيدون - ص ٢٣٨ .
(٢) البيرونى - ماللهند - ص ٣٩ .

ثم يقول سامى النشار : هذه هى العقيده الهندية التى تشبه العقيده الغيدونيه[١] ونحن نعلم أن أفلاطون قد تأثر بفكرة التناسخ هذه[٢] ، وينص يوسف كرم على أن أفلاطون أخذ عقيدته فى التناسخ عن مصادر شرقيه[٣] وبذلك نجد أن من المسلمين وخاصة فى عهد الدولة العباسية من (كانوا يعتنقون افكارا غريبه عن الاسلام ، ورثوها عن الديانات الفارسية مثل الحلول وتناسخ الأرواح ، وتأليه الأئمه)[٤].

ان انتشار امثال هذه الأفكار فى العالم الاسلامى سببه ازدياد نفوذ العجم فى عهد المهدى بالاضافة الى قصور فهم الأفراد لحقيقة الدين الاسلامى كل ذلك ساعد على تسرب تلك الأفكار وذيوعها فى تلك الأوساط[٥].

---

(١) نسبه الى فيدون كتاب لأفلاطون .
(٢) انظر سامى النشار - فيدون - ص ٣٢٧ .
(٣) انظر يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية عند تعقيبه على رأى افلاطون فى التناسخ .
(٤) حسين عطوان - الدعوة العباسية - ص ١٩٥ .
(٥) انظر عبد المنعم ماجد - القرن الذهبى - ص ١٥٨ .

الأثر الاجتماعي :

الحقيقة ان ما نلاحظه على المجتمع الغارسى أنه نتيجة لذيوع تلك الأفكار وانتشارها بين أفراده قبل الاسلام كان لذلك الآثار السلبيه فى النفع والايجابيه فى الضر، حيث تهتك الحياء وانتشار الغدر والخيانه ، فاستولت على النفوس الطبائع البهيميه وفسدت أخلاقهم وغلبت عليهم الدناءة والنذالة ، وبالرغم من أن أنوشروان قد قتل مزدك وجماعة من شيعته الا أن ذلك لم يمح تلك الأفكار الفارسية بعد أن ثبتت فى العقول ورسخت فيها بل استطاع بأفكاره تلك أن يقلع أصول السعادة من أرض الفارسيين ونسفها فى الهواء ، فالمزدكية اذا لم تمت على الاطلاق بوفاة مزدك بل أصبحت هناك فرق وحركات جددوا الدعوة الى الشيوعية فى النساء وهى الشيوعية التى كان مزدك - أب الشيوعية - قد دعا اليها من قبل .(١)

وبعد الاسلام استمرت هذه الآثار فى المجتمع الذى أخذ بها .

يقول سامى النشار :

---

(١) انظر جمال الدين الأفغانى - الرد على الدهريين - ص ٧٧ - ٧٨ .

(وكان من أبرز الصلات بين المزدكية وبين القرامطة[1] أخذ الأخرين بشيوعية الأموال التى دعا اليها مزدك . . . وقدتحقق هذا فى مجتمعات القرامطة . . . . وقد أخذ حمدان قرمط ثم قرامطة البحرين بالنظام الاجتماعى للمزدكية . . . . . غير أن أثر المزدكية الواضح انما كان فى غلاة الكوفة من الشيعة ، ثم ظهر لدى الشعراء المتزندقه ، وأبرز مثال لهؤلاء بشار بن برد[2]

---

(١) أتباع حمدان القرمطى . كان رجلا متواريا صار اليه أحد دعاة الباطنية ودعوه الى معتقدهم فقبل الدعوة ثم صار يدعو الناس اليها وضل بسببه خلق كثير واجتمع منهم قوم وقطعوا الطريق على الحجاج وقتلوهم وأرادوا أن يخربوا مكة . فدفع الله تعالى شرهم وقتلوا عاقبة الأمر .
(فخر الدين الرازى ، اعتقادات فرق المشركين ،ص ٧٩) .

(٢) هو معاذ الشاعر مولى بن عقيل ، ولد ضريرا ، أكثر الشعر وأجاد القول ، وهو بصرى قدم بغداد ، وقد اتهم عند المهدى بالزندقة فقتل من أجل ذلك حيث أنه كان يصوب رأى ابليس فى امتناعه من السجود لآدم صلوات الله عليه وسلامه ، وينسب اليه من الشعر فى تفضيل النار على الأرض قوله :
الأرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذكانت النار
وعندما سمع واصل بن عطاء هذا البيت فأنكر على بشار زندقته فتصدى للرد عليه ، وقد روى الطبرى أن سبب قتل المهدى لبشار أنه عندما ولى صالح بن داود أخا يعقوب بن داود وزير المهدى ولاية فهجاه بشار بقوله ليعقوب :
هم حملوا فوق المنابرصالحا * أخاك فضجت من أخيك المنابر
فبلغ ذلك يعقوب بن داود فذهب الى المهدى وأخبره بذلك فطلب منه المهدى ان ينشده ما سمعه فأنشده :
خليفة يزنى بعماية * يلعب بالدبوق والصولجان
فأرسل المهدى فى طلبه فخاف يعقوب بن داود ان دخل بشار على المهدى يمتدحه فيعفو عنه ولكن المهدى وجه اليه من يلقيه فى البطيحه فى الحرارة حتى مات وقيل ضربه حتى مات =

وكان عبد الله بن المقفع(١) قد ترجم في أواخر الدولة العباسية كتابا لمزدك يحوى عقائده ، فكأنه مهد السبيل لانشاء هذه المجتمعات المزدكية الخطيرة : لدى القرامطة في جانبهم الاجتماعى ثم لدى الغلاة من الشيعة العباسيين في عقائدهم نفسها)(٢).

= وقيل : قبض عليه المهدى وسلمه الى صاحب الزنادقة في البصرة فضربه ضرب التلف حتى مات ، بسبب هذين البيتين من الهجاء المقذع ، هذه هى زندقة بشار ولكننا لا ندعى أنه قتل من أجلها بل قتل سياسيا .

(انظر البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ١١٢ ، وحسن ابراهيم ج ٢ ، ص ١٢٠ وابن الفضل جمال الدين المصرى ، مختار الأغانى ج ٢ ، ص ١١٦ ، والاسفراينى ، التبصير ، ص ١٢ ، والحنبلى شذرات الذهب ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، والبيرونى ، ماللهند ، ٤٥٣ والطبرى ، تاريخ الأمم والملوك - ج ٨ - ص ١٨١ ، وابن خلكان وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، وابن الأثير الكامل ، ج ٦ ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، وجابر عبد العال ، حركات الشيعة ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ومصطفى شاكر ، دولة بنى العباس ، ج ٢ ، ص ٢٢٨) .

(١) عبد الله بن المقفع ، الكاتب المشهور بالبلاغة - صاحب الرسائل البديعة وهو من أهل فارس ، قيل أنه كان مجوسيا فأسلم على يد عيسى بن على عم السفاح والمنصور ، قال الهيثم ابن عدى : جاء ابن المقفع الى عيسى بن على فقال له : قد دخل الاسلام فى قلبى وأريد أن أسلم على يدك ، فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس ، فاذا كان الغد فأحضر ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس ، فقال له عيسى : أتزمزم وأنت على عزم الاسلام ؟ فقال : أكره أن أبيت على غير دين فلما أصبح أسلم على يده . وقيل أنه مع فضله الا أنه متهم بالزندقة ويروى فى ذلك أن المهدى قال : (ماوجدت) كتاب زندقة الا وأصله ابن المقفع) ، ويروى الجهشارى أن سفيان بن معاوية عندما أراد قتل ابن المقفع لما بينهما من عداوة شخصية وايعاز من المنصور قال له : " والله يا ابن الزنديقة لأحرقنك بنار الدنيا قبل الآخرة " وقيل : أنه عندما أطبق عليه التنور ، قال ابن معاوية : ليس على فى المثلة بك حرج لأنك زنديق ، وقد أفسدت الناس =

. . . .

وقد روى عنه أيضا أنه عندما مر ببيت من بيوت النار أنشد هذا البيت من الشعر الذى استشهد به على زندقته حيث قال :

يا دار عاتكة الذى اتغزل * حذر العدى وبه الفؤاد موكل
انى لأمنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأميل

ومن المعروف أنه قام بترجمة كليله ودمنه وقد تضمن هذا الكتاب بابا من أخطر الأبواب ، فى نقد الأديان عامة " باب برزويه " حيث تكلم فيه عن تعارض الأديان وعن عدم التوصل الى اليقين فيها ، بينما يعتبر العقل وحده أعظم وسيلة للمعرفة ، ويظهر هذا فى هذه القصة التى ذكرها مثل المصدق المخدوع " حكى ان هناك رجلا غنيا قد وجد على ظهر بيته بعض اللصوص وعندما سمع صوتهم وعلم بوجودهم عرّف زوجه بذلك فقال لها : ايقظيني بصوت يسمعه اللصوص وقولى الا تخبرني أيها الرجل عن أموالك هذه وكنوزك العظيمة ؟ فاذا نهيتك عن هذا السؤال فألحى على بالسؤال ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها فأخبرها أن هذه الأموال التى جمعها انما جمعها من السرقة وذلك لعلم أصابه فى السرقه فقال : أننى كنت أذهب فى الليلة المقمرة ، أنا وأصحابى ، حتى أعلو دار بعض الأغنياء مثلنا ، فأنتهى الى الكوة التى يدخل منها الضوء فأرقى بهذه الرقية وهى شولم شولم سبع مرات ، واعتنق الضوء ، فلا يحس بوقوعى أحد ، فلا أدع حالا ولا متاعا الا أخذته ثم أرقى بتلك الرقية سبع مرات ، واعتنق الضوء فيجذبني ، فأصعد الى أصحابى ، فنمضى سالمين آمنين فسمعه اللصوص وفعلوا كما فعل فسقط قائدهم الى الأرض على رأسه وعندما أمسك به قال له : من أنت ؟ قال : أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدا . . . . عدت الى طلب الأديان والتماس العدل منها ، فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ، ولم أرى فيما كلمونى به شيئا يحق لى فى عقلى أن أصدق به ولا أن أتبعه . الى غير ما هنالك من أقواله التى تنم عن سخف عقله ومدى حقده على الاسلام .

هذا كما أن البيرونى قد تنبه الى زندقة ابن المقفع حيث قال : (وودى ان كنت اتمكن من ترجمة كتاب

*　　*　　*

= "بنج تنتر " وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة ،فانه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم اياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب " بسرزويه " فيه قاصدا تشكيك ضعيفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة الى مذهب (المنانيه) واذا كان متهما فيما أراد لم يخل من مثله فيما فعل .) انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٥١ ،والمرتضى آمالي ، ج ١ ، ص ١٣٤،١٣٥ وأحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، وابن المقفع ، كليلة ودمنه ، ص ٥٣، ٥٤ ، وآثار ابن المقفع ، ٨٤، ٨٥، ٨٦ ، والبيروني ماللهند ، ص ١٢٣) .

(٢) سامي النشار ـ نشأة الفكر الفلسفي ـ ج ١ ـ ص ٢٠٥ .

لقد أصبحت تلك الفرق الباطنية نتاج تلك المصادر من مزدكية ومانويه وزرادشتيه بالاضافة الى تلك الفلسفات اليونانية والهندية ثم أثرت فيها تأثيرا قويا كان لذلك نتائجه السلبيه على العالم الاسلامي حيث تفشت الاباحية والتحلل واسقاط التكاليف والخلاعة والمجون التي أصبح يتغنى بها الشعراء ويرددونها على ألسنتهم ومن هؤلاء الذين اشتهروا بالزندقة في العصر العباسي الأول الحمادون الثلاثة : حماد عجرد(١) وحماد الراويه(٢) وحماد بن الزبرقان(٣).

---

(١) حماد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي ، أبو عمرو ، المعروف بعجرد : شاعر من الموالي من أهل الكوفة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ولم يشتهر الا في العباسية. نادم الوليد بن زيد الأموي ، وقدم بغداد في أيام المهدي ، وكانت وفاته سنة ١٦١ ودفن الى جانب قبر بشار .
(انظر الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢).

(٢) حماد بن سابور بن المبارك ، أبو القاسم : أول من لقب بالراوية وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأنسابها ولغاتها أصله من الديلم ، مولده الكوفة... قال له الوليد بن يزيد الأموي بما استحققت لقب الراويه؟ قال: لأني أروى لكل شاعر قومه ،. أو سمعت به لا ينشدني أحد شعرا قديما أو محدثا الا ميزت القديم من المحدث وقد كان يصحب الصعاليك واللصوص ، وعندما طلب الأدب ترك ذلك . توفي ببغداد .
(انظر الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢).

(٣) هو حماد بن سلمة من النحاة في البصرة ، وكان يونس بن حبيب يفضله وكان حماد حلو المحاضرة ، لطيف العبارة ظريف المفاكهة والمداعبة .
(جمال الدين القفطي ، انباء الرواه ، أنباء النحاة ، ج ١ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١).

وبشار بن برد وابن المقفع ، ويونس ابن أبي فروه[١]، ومطيع بن اياس[٢]
وعبد الكريم بن أبي العوجاء[٣] ، وصالح

---

(١) يونس بن محمد بن كيسان (الملقب بأبي فروة) كاتب يتزندق،كان جده أبوفروه مولى للخليفة عثمان ، ونشأ يونس في المدينة (شاطرا) كما يقول الجهشياري ، (وفي التاج : الشاطر ... ويظن أنه لحق بالشراة في العراق ثم صار كاتبا للأمير العباسي (عيسى بن موسى) وخالط ابن المقفع ووالبه بن الخباب وحماد عجرد ، وبشار بن برد ، وحماد الراويه وآخرين كانوا يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضا وكل منهم (كما يقول الجاحظ) متهم في دينه ،وقال الشريف الرضي عمل يونس بن أبي فروة كتابا في مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه مالا - توفي سنة ١٥٠ .
(الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٣).

(٢) مطيع بن اياس الكناني - توفي سنة ١٦٦ ،أبو سلمى ،شاعر من مخضرمي الدولتين الأمويه والعباسية.كان ظريفا مليح النادرة ، ماجنا متهما بالزندقة ، مولده ومنشأه بالكوفه وأصل أبيه من فلسطين ، مدح الوليد بن يزيد ونادمه في العصر الأموى ، وانقطع في الدولة العباسية الى جعفر المنصور فكان معه الى أن مات ، وكان صديقا لحماد عجرد ، وحماد الراويه ، وقد أقرت ابنته للرشيد أنها تعلمت منه مبادىء ماني ولقد تابت فيما بعد ، لقد قام مطيع في بغداد زمنا وتوفي بالبصرة.
(انظر الزركلي - الاعلام -ج ٧ ، ص ٢٢٥) .

(٣) كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمر بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ،ورجل من الأزد ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدى (جرير بن حازم) يختصمون عنده ، فأما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصمما التوبه وقد كان عبد الكريم يضع الأحاديث مكذوبة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فيحل الحرام ويحرم الحلال ، وكان يظهر الاستخفاف بكلام الله ، ويقلل من شأنه في نفوس المسلمين ، بالاضافة الى =

عبد القدوس [١] ، وعلى بن الخليل [٢] ، وابن مناذر ، [٣]

= هذا كان يؤلف الكتب في نصرة الاثنين ومذاهب أهلهما وقد اعترف بكل ذلك عندما قبض عليه عامل الكوفة محمد بن سليمان وأيقن بالهلاك ، وقيل بأنه قد لحق بالكوفة فنزل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلب بهما (انظر الاصفهانى ، الأغانى ج ٣ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧) .

(١) أبو الفضل البصرى مولى لأسد أحد الشعراء ، اتهمه أمير المؤمنين بالزندقة ، فأمر بحمله اليه ، وأحضره بين يديه فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته ، فأمر بتخليه سبيله ، فلما ولى رده وقال له : ألست القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذ أرعوى عاد الى جهله * كذلك الضنى عاد الى نكثه

قال بلى يا أمير المؤمنين ، قال فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك فى نفسك ، ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر .

(انظر البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٣٠٣ ، وابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ ، والمرتضى ، آمالى ، ج ١ ، ص ١٤٥) .

(٢) على بن الخليل السفر السبتى أبو الحسن ، توفى سنة ٦٠٤ هـ ، حكيم من القائلين بوحدة الوجود من أهل سبته رآه بها محيى الدين بن عربى (قبل سنة ٥٩٨) له تصانيف منها (منهاج العابدين) وكتاب (النفخ والتسويه) ... الخ .

(انظر الزركلى ، الاعلام ، ج ٤ ، ص ٢٨٥) .

(٣) ابن مناذر ، توفى سنة ١٩٨ هـ ومحمد بن مناذر اليربوعى ، شاعر كثير الأخبار والنوادر ، كان من العلماء بالأدب واللغة تفقه وروى الحديث ، وتزندق ، غلب عليه اللهو ، أصله من عدن أو من البصرة ، اتصل بالبرامكة ومدحهم ، ورآه الرشيد بعد نكبتهم فأمر به أن يلطم ويسحب وأخرج من البصرة وذهب الى مكة فتنسك ، ثم تهتك ومات فيها .

(انظر الزركلى ، الاعلام ، ج ٧ ، ص ١١١ . ومحمد فؤاد سزكين تاريخ التراث العربى - المجلد الثانى - ج ٢ - ص ٥٣) .

وقد ذكر ابن النديم بعض هؤلاء ، وعدهم من اشتهروا بالزندقة .(١)

هذا ولقد (تأثر الهجاء في العصر العباسي بالتيارات الأجنبيه التي تعدت الى البيئة وسرت في كيان المجتمع العباسي وتبدو سمات هذا التأثر فيما وصل اليه هذا الفن من فحش واسفاف خلق) .(٢)

وكما تزعم الفرس الشعوبيون التيار الماجن في الغزل تصدروا كذلك تيار الاسفاف والبذاءة في شعر الهجاء، وكانوا متأثرين في ذلك بالزندقة ، ببعض المذاهب الفارسية الاباحية الأخرى كالمزدكية (٣)

كل ذلك كما قلت كانت له آثاره السلبيه حيث انتشار الخلاعة والمجون في المجتمع الكوفي (فقد عرفت الكوفه في مستهل العصر العباسي مجموعة من المجان ، اتجهوا الى الغلمان ، وكانت هذه المجموعات من أصحاب الشذوذ تجتمع ولا تكاد تفترق ،كأنما قد ألفت بينها هذه النزعة الشاذة ، لاهم لها الا الشراب والعبث

---

(١) انظر أحمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ١٥١ - ١٥٢ ، يوسف خليف - حياة الشعر في الكوفة ، ص ١٥٤ وابن النديم - الفهرست ص ٤٧٣ .

(٢) نعمة رحيم العزاوي - مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه - ص ٢٦ .

(٣) انظر المصدر السابق ونفس الصفحة

بالغلمان والتغزل الفاحش الفاضح بهم دون مراعاة لخلق أو دين ، واشتهر من هؤلاء كثيرون ، من العرب والأجانب على السواء ، ومضوا ينشرون ثيابهم القذرة على الناس ، ويصرحون في شعرهم بأحاديث شذوذهم دون خجل أو استحياء، وقد وصل الأمر بهذا الشذوذ الى أنه اتخذ شكل ظاهرة اجتماعية بكل ما تؤديه هذه من معاني الذيوع والانتشار والاستقرار)[1].

والآن نقول : بأن هناك أكثر من عامل ساعد على ارتفاع موجة اللهو هذه والمجون في المجتمع الكوفي ،فما هي تلك العوامل ؟

أولا : اضطراب الحياة السياسية التي مرت بها الكوفة في العصر الأموي ، وصدر الدولة العباسية جعل أهل الكوفة ينقسمون الى قسمين: قسم منهم نفضوا أيديهم منها واتجهوا الى الآخرة وهم الزهاد ، والقسم الآخر منهم اندفع وراء الحياة الدنيا يعبون من كؤوسها ما استطاعوا قبل أن يدركها النضوب والجفاف وهؤلاء هم اللاهون والمجان .

ثانيا : الى جانب ذلك العامل السياسي وجد عامل اجتماعي ساعد في ايجاد ذلك اللون من تلك الحياة الاجتماعية وهو وجود تلك العناصر الأجنبية وخاصة الفارسية ، حيث عاشت تلك

---

(١) يوسف خليف - حياة الشعر في الكوفه - ص ٢١٤ .

العناصر فى مجتمع الكوفه وهى تحمل معها تقاليدهـا الأجنبية ، وحياتهم الاجتماعية ،حتى الخلفاء العباسيون انفسهم اقبلوا على تلك العادات والتقاليد يأخذون منها برضى من أنفسهم ، وكان من ضمن هذه الآثار انتشار اللهو ، وظاهرة (عشق الغلمان) الى غير ماهنالك من آثار طرأت على هذا المجتمع الكوفى فغيرت من لون الحياة فيه .

ثالثا : الأرستقراطية العربية التى كانت احدى السمات الأساسية لشخصية الكوفه الاجتماعية والتى ساعدت بما اتيح لها من ثراء فاحش ، وفراغ ، وجوارى، وغلمان يقومون بخدمتها دون ان تشغل نفسها بشىء سوى جمع المال وزيادة ذلك الثراء الفاحش .

كل ذلك ساعد فى ايجاد تلك الحياة اللاهيه ،الماجنة .

رابعا : وهناك عامل فنى كان له تأثيره القوى فى انتشار اللهو ألا وهو انتشار موجة الغناء والموسيقى ، حيث لم ترتفع هذه الموجه فى الكوفة الا فى أوائل العصر العباسى .

خامسا : استباح العراقيين نوعا خاصا من الشراب وهو (النبيذ) ومن الطبيعى أن يساعد انتشار شرب الخمر فى انتشار

اللهو والمجون لأنها تدفع بصاحبها الى العربدة والاستهتار بكل القيم الدينية والأخلاقية .وربما يكون انتشار الأديرة النصرانية فى الكوفة وخاصة فى منطقة الحيرة القريبة منها قد هيأ لذلك الجو وساعد على قيامه خاصة وأن هذا الدور كان يتيح للنازلين بها فقط حظا كبيرا من الحرية واللهو والشراب ، لأن الخمر مباحة عند النصارى ، هذا بالاضافة الى العبث بالجوارى والغلمان. كذلك الأديرة التى كانت خاصة بالراهبات كانت تضم فيها حانات للخمر ، وبذلك وجد المنحرفون والمجان الفرص مهيأة لمجونهم وانحرافهم وافساد المجتمع الذى يعيشون فيه.[1]

كل هذه العوامل ماهى الى عوامل مساعدة ساعدت على انتشار الاباحية والتحلل فى ذلك المجتمع ولكن كما قلت ان العامل الاساسى فى ذلك هو انتشار العناصر الفارسية فى المجتمع الاسلامى والتى كثيرا ماكانت تحقد على الاسلام وتحاول جاهدة بكل الوسائل ان تقضى عليه وربما يكون العمل على نشر اللهو والمجون والتحلل الخلقى وسيلة من وسائل اضعاف سلطان الدين فى النفوس حتى يصبح الشك فيه أمرا ميسورا .

---

(١) انظر يوسف خليف ـ حياة الشعر فى الكوفه ـ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

ويقول جابر عبد العال : (فليس غريبا اذن أن نربط بين الانهيار الخلقي وبين مذاهب الشيعة المتطرفين ، الذين لم يقصروا دعوتهم على العقيدة ، بل حضوا الناس على التحلل من القيود الاسلامية ، فاذا رأينا الشعراء مندفعين في الطريق الذي رسمه الغلاة ، متخذين من اللذة غاية لذاتها ، ويصورون أحاسيسهم في اللذة على النحو الذي رسمه الغلاة لأتباعهم ، كان لنا أن نرجع تأثرهم بهؤلاء الغلاة الذين عاشوا معهم في بلد واحد .)[1].

ولو انتقلنا الى المجتمع الهندي لوجدناه ليس بأحسن حالا من المجتمعات الأخرى التي أثرت في ايجاد الزندقة في المجتمع الاسلامي ، فنجد أن الهنود قد عددوا آلهتهم ، والمتتبع لهم يجد أنهم قد عبدوا كل شيء والى الآن نجد كثيرا من الهنود حتى في بيوتهم يصنعون الأصنام يظهرون فيها الأعضاء التناسلية كشيء مقدس ولهم جماعات في موالدهم وأعيادهم يختلط فيها الكل بالكل وهنا تشيع الفاحشة ولا يجوز لأحد أن يعترض بأننا نرى هذا الاختلاط في غير بلاد الهند كما نراه في أكثر البلاد على الشواطيء وغيرها وكثير من البلاد تبيح الدعارة العلنية فقد يسأل هذا السائل لماذا الهند بالذات تذكر؟

والجواب أن الهند تفعل ذلك باسم الدين وهذا هو موضع الخطورة

---

(١) حركات الشيعة ص ١٠٧ .

وهو الذى سيكون له الأثر السىء فى طوائف تنسب الى الاسلام زورا والاسلام منها براء . علاوة على ماكان لعقيدة وحدة الوجود من أثر فى الاستخفاف بالعذاب عند طوائف من المنتسبين للتصوف كما نجد ذلك حتى فى كتب ابن عربى وغيره .

يقول ول ديورانت : (ان استخدام الهنود (اللنجا) [(١)] و (اليونى [(٢)]) ليس الا صورة واحدة من ألوف الصور فى طقوسهم التى تبدو للعين العابرة الغريبة عن البلاد ، لا مجرد صورة للديانة الهندية ، بل جزءا أساسيا من صميم لبابها . . .) . [(٣)]

لقد شاركت المصادر الثلاثة فى ايجاد هذا التقسيم وهذه الاباحية ولا يفوتنا هنا أن نذكر هذا النص المأخوذ من (الجمهورية الفاضلة)لأفلاطون الذى يقول فيه : (والحراس ذكور واناث على السواء ، يسرى عليهم جميعا نفس النظام نعم ان المرأة أضعف من الرجل ونحن لا نقضى عن هذا التفاوت ، الا أنها مهيأة لنفس الوظائف فقد تصلح للطب أو للموسيقى أو للرياضة أو للحرب أو للفلسفة كما تصلح للأعمال المنزلية ، فليس ما يمنع من تكليف النساء الحراسة اذا ساوين الرجال فى الكفاية لها ، فان الأصل فى الوظيفة أنها لخير المجموع ، وأنها تقلد للكفء دون أى اعتبار آخر . واذن فنحن نكلف المرأة الاستعداد لكل أعمال الحراس تقوم بها ملتحفة فضيلتها وندع الحمقى يضحكون والغاية من أخذ النساء بهذه التربية أن نوفر للدولة وهى التى تقضى ذلك وتتطلب منا التغاضى عن العرف كما أننا انتزعنا من نفوس الحراس

(١ ، ٢) أوثان يطلق الهنود عليها اسم (اللنجا) و (يونى) وهى تصور عضوى التناسل عند الرجل والمرأة وأينما سرت فى الهند ألفيت آثاراً لهذه العبادة (ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ج ٣ ـ ص ٢٢٣) .

(٣) المرجع السابق ـ ص ٢٢٤ .

شهوات الحياة المادية وشواغلها ، فاننا ننتزع منها أيضا عواطف الأسرة وشواغلها ، فيحظر على الحراس أن تكون لهم أسرة ويكونون جميعا للجميع ، لكن لا اتفاقا ، بل يقيم الحكام كل سنة فى أحسن الأوقات وأسعد الطوالع حفلات دينية يجتمعون فيها الحراس من الجنسين ، ويوهمونهم أن اقترانهم سيكون بالقرعة تفاديا من التحاسد والتخاصم ، والحكام يقصدون فى الحقيقة أن يعقدوا لكل كفء على كفئه ، فيعقدون زواجا رسميا ولكنه مؤقت ، الغرض منه الانسال على قدر حاجة الدولة وتحسين النسل بمقتضى القواعد المرعيه فى الحيوان . ويوضع الأطفال ، فى مكان مشترك يعنى بهم ، فيه أناس خصيصون وتأتى الأمهات يرضعنهم دون أن يعرفنهم فلا يوجد بين الحراس قرابة معروفة ، ولكنهم جميعا أسرة واحدة يعتبر بعضهم بعضا قريبا ويعامل بعضهم بعضا على هذا الاعتبار ، فيتسع مجال التعاطف والتحاب ، هذا والأسرة متاحة للشعب مع شيء من المراقبة لمنع الزيادة البالغة فى عدد السكان فان ولد للشعب أو للحراس أطفال فى غير الزمن المحدد أعدموا ، كما يعدم الطفل ناقص التركيب الوالد فاسد الأخلاق والضعيف عديم النفع ، والمريض الذى لا يرجى له شفاء ، لأن الغاية هى أن يبقى عدد السكان فى المستوى

الذى يكفل سعادة المدينة وأن يحتفظ بقيمتهم البدنية والخلقية .)[١]

ويقول سامى النشار :(...... كما كره المسلمون جميعا آراء افلاطون فى الغاء الأسرة والتناسخ ، وشيوعية المرأة ، وتحديد النسل ، واعدام الأطفال ...)[٢]

وليت الأمر توقف عند هذا الحد ، بل كان تيار الزندقة فى ذلك العصر شديدا ، حيث نتج عن تلك الفرق الباطنية ظهور حركات الزنادقة الثائرة كالراوندية والمقنعيه ، والخرميه وغيرها ، التى كانت تترقب الفرصة السانحة للانقضاض على الاسلام وهدم كيان الدولة ، والتى قد تسببت فى اضعاف الدولة العباسية فيما بعد وهذا ما سوف نتطرق اليه بتوسع فى الباب الثانى من الحركات.

---

(١) يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية - ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) فيدون - ص ٣٠١ .

الباب الثاني

حركات الزنادقة

الرّاونديّة

المقنّعيّة

الخُرّميّة

تمهيـد (١)

اليهود :

كلما قرأنا في الفرق الضالة التي كانت في الأسلام نجد أثر اليهود في هذه الفرق ، فأين كان هؤلاء اليهود ؟

في الحقيقة لم يكن اليهود بعيدين عن البيئة الفارسية منذ الزمن القديم وقبل المسيحية بقرون . وكعادة اليهود لا ينزلون مكانا الاّ ويبدأ نشاطهم . ونسوق هذه الحادثة شاهداً على هذا ، (هناك في شرق دجله وفي تلك المساحات المترامية التي كانت تعرف بمملكة آشور) كانت توجد منطقة تسمى (حذيب) وعاصمتها مدينة (أربل) وكان الدين المنتشر في هذه المنطقة هو الدين الوثني . وفي عهد الملك (مونباز) الذي كان يحكم تلك المنطقة ويقيم في مدينة (أربل) حدث نفور بينه وبين ولده يزد ولما خشي نتيجة ذلك النفور أقصى ابنه بعيدا عن ملكه وتركه عند صديق له يسمى - عبد نرجل - الذي كان يملك تلك المنطقة الجنوبيه من وادي الرافدين والمشتملة على الأراضي الواقعة حول مصب الدجلة والتي نشأت عليها فيما بعد مدينة البصرة وينتهي أمر - يزد - بزواجه من ابنة الملك الذي آواه واسمها - سومكا - وباعتناقه للديانه اليهودية على يد تاجر يهودي

اسمه - احنابنا - وتمضى الأيام ويتقدم العمر بالملك - مونباز - فيطلب عودة ابنه الى ملكه ويعود - يزد - مع التاجر اليهودى - احنابنا - الذى كان يعمل داعية لليهودية كما كان يعمل فى التجارة . ولقد كانت دهشة - يزد - حينما وجد والدته الملكه - هيلانه - قد نبذت الوثنية واعتنقت اليهودية بدورها على يد داعية يهودى أيضا ، وفى سنة ٣٦ م يموت الملك - مونباز - ويخلفه على العرش ابنه - يزد - ومن ذلك الحين تنتشر اليهودية فى مملكة - خديب - فالناس على دين ملوكهم بل وتصبح اليهودية دين الدولة الرسمى[١] .

فهذه الحادثة وان كانت قد وقعت مواكبة للمستوى الأول من الميلاد الا أنها تدل على نشاط اليهود قبل وبعد ذلك . ولقد كان سبى (نبوخذنصر) لليهود فى المرة الأولى والثانية حلقة من هذه الحلقات،ففيه أصبح لليهود جالية لا يستهان بها فى بيئة العراق ، قد جاء بعض أفرادها طوعا وفى وقت مبكر لاستغلال مواهبهم والمساهمة بنصيب فى رقى الدولة البابلية ، وجاء البعض الآخر اضطرارا بسبب ما أصابهم من سبى نبوخذنصر

---

(١) انظر حسن عون طه - العراق وما توالى عليه من حضارات - ص ٥١ .

ومن هؤلاء وأولئك تكونت جاليتهم وزاد عددها مع مرور الزمن.
ومما ساعد على ذلك أيضاً ، ما كانوا يتعرضون له من اضطهاد في فلسطين من أباطرة الروم فكانت بيئة العراق بمثابة متنفس لهم يفدون اليها من وقت لآخر فرارا من ظلم الروم وطمعا في حماية الفرس ، وهكذا تكونت جاليتهم وأصبح لها كيان في بيئة العراق.(١)

واشتغل اليهود بالحركة العلمية وساعدهم على ذلك ماكانت تتمتع به فارس من نهضة فكرية وتسامح مع المخالف لهم في الدين وأنشأ اليهود المدارس والجامعات ، وهكذا وجدت لهم حركة علمية واضحة ونشاط ثقافي ملحوظ وقد امتد هذا الفتح الاسلامي لبيئة العراق ، وحسبنا ان نعلم أن هؤلاء اليهود كانوا يمتلكون جامعتين عبريتين في أرض العراق أثناء فتح العرب.(٢)

وسيكون لهؤلاء اليهود ـ بما توافر لهم من نهضة علمية وخبث وسوء طوية ـ الأثر السيء في بث الأفكار التي أفسدت العقيدة ، وكان من تجمعهم مع الحاقدين من الأمم الأخرى ـ هذا الانحراف العقدي الذي كان السبب الأكبر فيما أصاب المجتمع الاسلامي من اضطراب.

---

(١) انظر العراق وما توالى عليه من حضارات ص ٥٥ .
(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

تمهيد (٢)

نبدأ هذا التمهيد بسؤال :

هل هناك مسلم حقيقي الاسلام يكيد لدينه ؟

الجواب : لا .

اذاً لماذا نجد من يرتد عن الاسلام،كما نجد من يكيد للاسلام من المسلمين بادخال المتناقضات فيه مع الزعم أنها منه ؟

هنا يجب علينا ان نبحث عن حقيقة هؤلاء الذين يرتدون والذين يكيدون،واذا بحثنا فلن نجد سوى طائفتين :

منهم من عانق الدين منافقا فاذا قضى وطره أو انقطع أمله انقلب على وجهه خاسرا .

وبعضهم ربى في حجور المسلمين ولكنه يدرس حقائق الدين ولم يتلق عقائده ببراهين تربط على قلبه ليكون من الموقنين فمتى سنحت له شبهة من الباطل تزلزلت عقيدته وأصبح في ريبة مترددا. وارجع بصرك الى التاريخ كرتين فانك لا تعثر على خبر ارتداد مسلم نبت في بلد طيب نباتا حسنا[1]، واذا طبقنا هذا على البلاد التي كانت منها حركات الزندقة ضد الاسلام سنجد هذا ينطبق عليها تماما ،إذ أنه على الرغم من انتشار الاسلام في ربوع فارس

---

(١) انظر محمد الخضر حسين - الحرية في الاسلام - ص ٦٦ .

الا أنه ما زالت تلك الأديان القديمة حية في نفوس المتظاهرين بالاسلام ، وماثلة في قلوب الذين لم يسلموا أصلا ، وكانت نتيجة ذلك أن ظهرت هناك حركات ثورية ولكن هنا نسأل :
ما هي الدوافع التي أدت لقيام حركات الزنادقة الثائرة هذه ؟
هل هي دوافع دينية الحادية ؟ أو دوافع سياسية وطنية ؟
الحقيقة انني لا أريد أن أقول أنه من الصعب ولكن يكاد يصعب على الباحث في سياسة دولة مبتدئة مثل الدولة العباسية ـ وقد قامت على سواعد الفرس كما هو مقرر ـ تحديد الدوافع لهذه الحركات فيجعلها هذه أو تلك ، أو هما معا .

هذا بالاضافة الى ذلك أن المؤرخين وأصحاب الفرق هم أنفسهم الذين نقلوا لنا عن هذه الدولة وما قام فيها قد اختلفوا في تحديد هذه الدوافع فبعضهم منهم يجعلها سياسية تطالب بالحكم والسلطان واعادته للفرس لأنهم يعتقدون أن العرب قد سلبوا منهم ذلك ، فقد (كانت بعض هذه العناصر تنقم على العرب ما وصلوا اليه من سلطان ، وتتمنى أن تسقط دولة العرب وأن تقوم مقامها حكومة فارسية في مظهرها وحقيقتها ، في سلطانها ، ولغتها ودينها . كانت هذه العناصر تدرك أن السر فيما وصل اليه العرب انما هو الاسلام ، واذاً الخطوة الأولى في هدم هذا السلطان العربي

انما تبدأ بمهاجمة الاسلام ، فأخذت تعمل على نشر الديانات الفارسية ... وفي الوقت نفسه تعمل على تشكيك الناس في الدين الاسلامي بكل الوسائل الممكنة ...) .[1]

الهدف هنا هو طمس معالم هذا الدين ذلك عن طريق التشكيك فيه بالطعن في الكتاب والسنة وما جاء به كل منهما .

ولقد كان من أهم أغراض أكثر الباطنية الدعوة الى دين المجوس وكانوا يتوصلون الى ذلك بالتأويلات الفاسدة التي يتأولون عليها القرآن ، ومن أدلة ذلك أن زعيمهم ميمون بن ديصان[2] ـ كان مجوسيا من سبي الأهواز وخلفه ابنه عبدالله في الدعوة الى دين أبيه .

كما أن حسين القيرواني في رسالته الى سليمان الحسن حيث قال فيها : (اني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل ، ويدعونهم الى أبطال الشرائع ، والى ابطال المعاد والنشور من القبور ، وابطال الملائكة في السماء ...)[3]

هم يخفون عداءهم للاسلام ويتظاهرون بعكس ماهم عليه من عداء له ، بل نجد أن بعض الفرق منهم يبنون مساجد قراهم ويستأجرون

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ـ يوسف خليف ـ ص ٢٢٥ .

(٢) فيلسوف سرياني ويعرف باسمه السرياني ابن ديصان ـ كان أبوه يدعى نهامه وأمه تدعى نهشيران ، هاجر كلاهما من فارس الى الرها نشأ في بلاط الملك ، ودرس الفلك والتنجيم ، اعتنق المسيحية ولم يعرف عنه المسلمون غير انظاره في الخير والشر والنور والظلمة التي تدل على أنه من أنصار الثنويه ، وظل مذهبه باقيا الى العصور الوسطى توفي عام ٢٢٢ م . (دائرة المعارف الاسلامية ـ ج ١ ـ ص ١٦٤) .

(٣) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ـ ص ٢٩٦ ـ والاسفرايني ـ التبصير ص ٨٥ . وانظر ناصر بن فوزان الزامل قرامطة البحرين دعوتهم ودولتهم رسالة ماجستير ـ ص ٤٧٠ .

من يؤذن فيها ويعلمون أولادهم القرآن ذلك لكى يجذبوا اليهم العامة وربما يكون ذلك خوفا من السلطة الحاكمة فى العصر العباسى الأول خاصة ما عرف عن المهدى من شدته على هؤلاء الزنادقة ومحاصرته لهم فكانوا يظهرون بعض التعاليم الاسلامية لكى يكسبوا ثقة السلطة، ولكى ينشروا مبادئهم وأفكارهم فى هدوء واطمئنان كما سوف نلاحظه فى الحركات التالية ، ولكن داخل نفوسهم عكس ذلك ، الحقد والعداء لهذا الدين ، لأنهم يظهرون القيام بتلك التعاليم الاسلامية التى ذكرت ولكنهم لا يصومون ولا يصلون فى السر بل يبيحون كل ما هو محرم ، وينتهزون كل فرصة سانحة للقيام بحركات ثائرة ضد الخلافة الاسلامية من أجل القضاء على هذا الدين (تمثل ردة الفعل الوثنية خاصة ، والمقائد المجوسية لم تزل فى خراسان ، وما وراء النهر . . . .)[1]

(المجوس كانوا يحملون بين جوانحهم نار حقد متأججة تحملهم على تبييت كل شر ضد هذا النور الوهاج ، ولما استيقنت أنفسهم أنهم لا يستطيعون الوقوف بالقوة أمام هذا السيل الجارف لكل مبطل

---

(١) مصطفى بهجت - التيار الاسلامى - ص ١٠٩ .

وهارف ، سلكوا طريق الاحتيال في الوصول الى أمانيهم ، فاندسوا بين المسلمين متظاهرين بالورع الكاذب ، مستثيرين أنواع الفتن بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى أن حدثت تلك الفتن الدامية ضد أهل بيت النبوة رضي الله عنهم ، فبدأوا يتظاهرون بمظهر العطف على آل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ويظهر الانحياز اليهم والدعوة لهم ...)[1]

كل هذا يبين لنا مدى الحقد في نفوس هؤلاء ضد الاسلام وأهله فقد (ذكر أهل التواريخ ان الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكان ميلهم الى دين أسلافهم ، ولكنهم لم يقدروا على اظهاره مخافة سيوف المسلمين .)[2]

بهذا يتأكد لنا ما قلناه سابقا من أن المجوس كانوا السبب في ابتداء ظهور الباطنية ، يقول أبوحامد الغزالي : (تشاور جماعة من المجوس المزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأى في استنباط تدبير يخفف عنهم مانابهم من استيلاء أهل الدين وينفس عنهم كربة ما دهمهم من أمر المسلمين ، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من انكار الصانع .. وقد تفاقم أمر محمد ،

---

(١) كشف أسرار الباطنية - محمد زاهد الكوثري - ص ٤ .
(٢) الاسفرايني - التبصير - ص ٨٤ .

واستطارت في الأقطار دعوته ، واتسعت ولايته ، واتسعت أسبابه وشوكته ، حتى استولوا على ملك أسلافنا .... ولا مطمع في مقاومتهم بقتال ، ولا سبيل الى استنزالهم مما أصروا عليه الا بمكر واحتيال .) (١)

إذاً ،هم لا يجاهرون بالعداء للاسلام ولكنهم يخفون ذلك في السر ويعملون الحيلة من أجل القضاء عليه ... لأنهم لو جاهروا بذلك واستخدموا السيف في ذلك لوجدوا أن سيف المسلمين أقوى ولكنهم فضلوا استخدام الحيلة والمكر للوصول الى بغيتهم .

يقول الشهرستاني : (لقد كان في كل أمة من الأمم قوم مثل الاباحية ، والمزدكية ، والزنادقة ، والقرامطة ، كان تشويش ذلك الدين منهم ، وفتنة الناس مقصورة عليهم .) (٢)

هذا رأي الفريق الأول الذي يرى بأن الدافع لهذه الحركات انما هو دافع ديني .

أما الفريق الثاني : فانه يزعم ان الدافع المحرك لهذه الحركات الثائرة انما هو دافع سياسي فمنهم من يبرز هذا الدافع في الحركة البابكية ... يقول بندلي جوزي : (ان الغرض من الحركة البابكية لم يكن مقاومة الاسلام ودينه ولا مقاومة العرب كأمة فاتحة مغتصبة كما كانت الحال في أكثر الثورات السابقة -

(١) فضائح الباطنية - ص ١٨ .

(٢) الملل والنحل - ج ٢ - ص ٢٣٦ .

كحركة بابك في بلاد العجم - بل محاربة ذلك النظام الاجتماعي الذي كانت تئن تحته الطبقات السفلى من جميع الأمم التي كانت تتألف منها وقتئذ دولة بني العباس ...)[١]

وهو غير صادق في هذا ، لأن دولة بني العباس كانت تستعين بغير العرب أكثر مما تستعين بالعرب.

وفي موضع آخر يبرز هذا الدافع عند الاسماعيلية حيث يقول بندلي جوزي: (ان زعماء الاسماعيلية وقادة سياستهم كانوا كلهم أو أكثرهم من الفرس المتعصبين لقوميتهم والعاملين بكل الوسائل على احياء ملكهم الدارس أو ممن يقولون باللاقومية وممن كان غرضهم دك أركان الدولة العباسية المؤسسة على العصبية القومية والاسلام ، وبناء دولة أممية شيوعية على أنقاضها تكون مؤسسة على مساواة جميع الأمم في الحقوق وعلى دين العقل السليم ، أو من الفوضويين الذين لم يكن يعنيهم الا تقويض الدولة المكروهة عندهم وهدم أنظمتها الممقوتة.)[٢]

وهو هنا أيضا مصيب ، لأن بني العباس مافرقوا بين الأمم وان كان الجزء الأخير مما قاله عن غرض الفوضويين صحيحا. يريد أن يقول ان الكره والحقد انما هو على السلطة الحاكمة التي فرقت في

---

(١) تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام - ص٦٨ .
(٢) المصدر السابق - ص٩٩ .

المعاملة بين ماهو عربي وبين ماهو مولى فارسي ، فكان العربي - كما يزعمون - يستمتع بما كان الفارسي محروما منه بل كان العربي - كما يزعمون - هو السيد المطاع بعكس المولى الفارسي الذى ينظر اليه نظرة استحقار وازدراء . ونحن نعرف الماضى الذى كانت فارس تستمتع به ، فكونهم ينتقلون هذه النقلة الكبيرة وتكون معاملتهم على هذا النحو ... هذا مالم يستمزجه الفرس. ومن هنا بدأت نار الحقد ضد السلطة الحاكمة ، ومن هنا بدأ التفكير فى الانتقام والاطاحة بملك العرب واستعادة الفرس لماضيهم السابق .

ويظهر ذلك الحقد بشكل واضح فى أساليب البابكية والمازيارية كما ذكر ذلك ابن النديم حيث يقول : أخذ بابك الخرمى التمثيل بالناس والتحريق بالنار والقتل والغصب واشعال الحروب ، كما كان يطمع فى قتل الجبابرة ، ورد دين المزدكية .[(١)]

ويروى الطبرى أنه قد جاء فى رسالة مرسلة الى أخى المازيار قوله : (أن يعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم.)

من أخى بابك الى أخى المازيار قوله : (أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيرى وغيرك وغير بابك .. فانما هى ساعة حتى

---

(١) انظر الفهرست - ص ٤٨٠ - ٤٨٢ .

تنفذ سهامهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم...)[1]

هذا ما يراه بعض المؤرخين وأصحاب الفرق ولكننى أرى أن الحقيقة التى توصلت اليها من خلال بحثى هذا أن العاملين الدينى والسياسى كليهما متداخلان مع بعضهما البعض وكان لكل منهما تأثيره الخاص على تلك النفوس التى قامت بتلك الحركات ، وذلك لأن الدولة كان لها دين وملك ، المجوسية القديمة ، والكسرويه (ملك فارس) فالشخص غير المخلص للاسلام كان يرى ان الاسلام طعنه فى دينه وفى ملكه ، من هنا تحركا دينيا وسياسيا ، الا أنه بلا شك كان بعض الأشخاص يبكون على ضياع ملكهم أكثر من الدين وهؤلاء تحركهم السياسى أكثر ، والبعض الآخر كان ينظر من الزاوية الدينية ويبكى على مجوسيته وهؤلاء كان تحركهم الدينى أكثر ، ولكن الفئتين تعاونتا على القيام بهذه الحركات.

وبذلك تبين لنا أن حركات الزنادقة كان القصد منها نشر ما طوى من صحائف هذه الأديان .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - ج ٩ - ص ١٠٩ .

كما أن هذه الحركات سياسية بحته كان الهدف من ورائها هو أن تعود الى هذه البلاد حكومتها بنفس الآراء التى تلقى رواجا بين الفرس .

ولقد أوضح الجاحظ هذا العداء عندما بين لنا الصلة الوثيقة التى تربط بين هذين التيارين (**الزندقة والشعوبية**)(١) عندما قال : (فانما عامة من ارتاب بالاسلام انما جاءه هذا عن طريق الشعوبية فاذا أبغض شيئا أبغض أهله ، وان أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام ، اذ كانت العرب هى التى جاءت به وكانوا السلف .)(٢)

(فالجاحظ فى قوله هذا يعلل الترابط بين الشعوبية والزندقة فيقرر أن احداهما تفضى الى الأخرى ذلك لأن الشعوبية هى عداء للعرب والزندقة هى فى جوهرها عداء عارم للاسلام ، ولما كان العرب مادة الاسلام وحملته ، والمنافحين عنه لزم أن يكون الشعوبى زنديقا لأنه يبغض العرب فيبغض معهم الدين الذى حملوه ، وعملوا على نشره فى المشرق والمغرب .

كما لزم أن يكون الزنديق شعوبيا لأن بغضه للاسلام يدفعه الى أن يبغض العرب ويناصبهم العداء .)(٣)

---

(١) الشعوبية : نزعة فى العصر العباسى تنكر تفضيل العرب على غيرهم ، وتحاول الحط منهم وأصحاب هذه النزعة الواحد شعوبى (مجمع اللغة - المعجم الوسيط ، ج ١ - ص ٤٨٤ .)

(٢) نقلا عن نعمة الغزاوى - مقالات فى أثر الشعوبية - ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق . نفس الصفحة

الفَصْلُ الأوّلُ

الرّاونديّة

الراوندية

أصلهم :

الراونديه : أتباع أبى هديده الراوندى[1]، وقيل أتباع أبى القاسم ابن راوند[2] ، وينسبون الى قرية راوند[3] قرب نيسابور ، وكانوا أهل خراسان على رأى أبى مسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى هاشم[4] وهذه الحركة الراونديه هى من أهم حركات الزنادقة التى قاموا بها ضد الاسلام والخلافة العباسية فى العصر العباسى الأول ، وقد واجه أبوجعفر المنصور هذه الحركة عقب مقتل أبى مسلم الخراسانى ، والتى كانت تطالب بدمه .

---

(١) انظر فخرالدين الرازى - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - ص ٦٣ .
(٢) انظر الخوارزمى - مفاتيح العلوم - ص ٢٢ .

(٣) رَاوَنْد : بفتح الراء والواو بينهما الالف وسكون النون وفى آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة الى راوند ، وهى قرية من قرى قاسان بنواحى أصبهان ، وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر ... (السمعانى ، تاريخ الانساب - ج ٦ - ص ١٥٦ .

(٤) انظر شاكر مصطفى - دولة بنى العباس - ج ١ - ص ٢٧١ .

عقيدتهم :

لقد اختلف المؤرخون وأصحاب الفرق في تصويرها ، مما يجعل مهمة الباحث شاقة حيث يجب عليه أن يتتبع الآراء التي قيلت فيهم ويقارن بينها حتى يخرج بالراجح منها وهذا ما سأفعله ان شاء الله في بحثي هذا .

فاذا ما أردنا معرفة رأيهم فلنبدأ بالمسألة التي تفرقت الأمة حولها أو بسببها وهي مسألة الأمامه فنرى أنهم كانوا يرونها للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لما رأوا العباس يبايع ابن أخيه قالوا : بامامة علي .

يروى لنا المسعودي عن هذا حيث يقول في متقدميهم :

(وهم شيعة ولد العباس ابن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم - (من)أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ، وأن أحق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب ، لأنه عمه ووارثه وعصبته ، لقول الله عز وجل :

وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ (١)

وأن الناس اغتصبوه حقه ، وظلموه أمره ، الى أن رده الله اليهم

---

(١) سورة الأنفال آية ٧٥ .

وتبرؤا من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأجازوا بيعه على ابن أبى طالب رضى الله عنه باجازته لها ، وذلك لقوله : يا ابن أخى ، هلم الىّ (أن) أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ، ولقول داود بن على على منبر الكوفة يوم بويع لأبى العباس : يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب ، وهذا القائم فيكم يعنى أبا العباس السفاح .)[1]

وكما يفيد هذا النص السابق أنهم كانوا يرونها للعباس ثم لعلى ثم بعد ذلك السفاح . ومتأخروهم وان كانوا قد اختلفوا بعض الاختلاف الا أنهم يرجعون بالخلافة الى بنى العباس . ويوضح المسعودى رأيهم هذا فى الامامة حيث يقول : (ان محمد بن الحنفية[2] هو الامام بعد على بن أبى طالب وأن محمدا أوصى الى على بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب وأن على بن عبد الله أوصى الى ابنه

(١) مروج الذهب - ج ٣ - ص ٢٥٢ .

(٢) محمد بن الحنفية : هو أبوالقاسم ويقال : أبو عبد الله محمد بن على ابن أبى طالب ، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة من بنى حنيفة بن لجيم وقد كان محمد عالما فاضلا شجاعا ، وتوفى سنة ٨١ (انظر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٣٨ ، سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

محمد بن على ، وأن محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران ، وأن ابراهيم أوصى الى أخيه أبى العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول .)[1]

ورأيهم هذا فى الامامة نسأل عنه ،هل هو اجتهاد منهم أونص -كما يزعمون - عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟

الامام أبو الحسن الأشعرى يروى عنهم أنهم يرون أنه كان نصا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافة العباس ، يقول الامام الأشعرى : (أنهم زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على " العباس ابن عبد المطلب ونصبه اماما ثم نص العباس على امامة ابنه "عبد الله" ونص عبد الله على امامة ابنه " على بن عبد الله " ، ثم ساقوا الامامة الى أن انتهوا بها الى أبى جعفر المنصور .)[2]

ويقول النوبختى : (أوصى " عبد الله بن محمد بن الحنفية " الى " محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب " لأنه مات عنده بأرض الشراة بالشام وأنه دفع اليه الوصية الى أبيه "على ابن عبد الله بن العباس " وذلك أن " محمد بن على " كان صغيرا عند وفاة أبى هاشم وأمره أن يدفعها اليه اذا بلغ ، فلما بلغ دفعها اليه فهو الامام وهو الله عز وجل وهو العالم بكل شىء فمن عرفه فليصنع ما شاء .)[3]

---

(١) مروج الذهب - ج ٣ - ص ٣٥٤ .

(٢) مقالات الاسلاميين - ج ١ - ص ٩٦ .

(٣) فرق الشيعة - ص ٣٣ .

اتضح لنا من خلال هذا النص أن الراوندية ككثير من فرق الشيعة لم يقفوا عند هذا الرأى فى الامامة،بل أصابهم ما أصاب الغلاة من الشيعة فوجدنا العقائد الباطلة تدخل عليهم حتى قالوا : بالحلول فى الأئمة .

ويروى لنا الطبرى أيضا عن هذا الغلو فيهم حيث يقول : (ان رجلا من الراوندية كان يقال له الأبلق ، وكان أبرص ، فتكلم بالغلو ، ودعا بالراوندية اليه ، فزعم ان الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت فى على بن أبى طالب ، ثم فى الأئمة ، فى واحد بعد واحد الى ابراهيم بن محمد وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات ، فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته ، فبلغ أسد بن عبد الله ، فقتلهم وصلبهم ، فلم يزل ذلك فيهم الى اليوم ، فعبدوا أباجعفر المنصور وصعدوا الى الخضراء ، فالقوا أنفسهم ، كأنهم يطيرون ، وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح ، فأقبلوا يصيحون بأبى جعفر أنت أنت ! قال : فخرج اليهم بنفسه ، فقاتلهم فأقبلوا يقرطون وهم يقاتلون : أنت أنت . قال : فحكى لنا عن بعض شيختنا أنه نظر الى جماعة الراوندية يرمون أنفسهم من الخضراء كأنهم يطيرون ، فلا يبلغ أحدهم الأرض الا وقد

تغشت ، وخرجت روحه .)[1]

ثم هم لا يقفون فى عقائدهم الباطلة عند القول بالحلول بل نراهم يسيرون فى هذا الخط الباطل وكأنهم ينقلون عقائد الهند نقلاً ، فهم بعد أن قالوا بالحلول[2] ، قالوا بتناسخ الأرواح[3] .

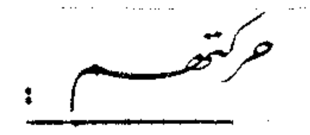
يروى الطبرى أنهم يقولون : (بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبوجعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل .)[4]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - ج ٨ - ص ٨٣ .

(٢)(٣) عقائد الحلول ووحدة الوجود وتناسخ الأرواح عقائد أصلها برهمى هندى .
(انظر البيرونى ما للهند من مقولة ، التناسخ ص٣٨ ، ووحدة الوجود ص ٣٠) . وانظر ما تقدم من هذا البحث ص ١٤٥ الى ١٤٩ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك - ج ٧ - ص ٥٠٥ - وانظر السيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٢٦١ وابن كثير - البداية والنهاية - المجلد الخامس ج ١٠ - ص ٧٥ وابن الأثير - الكامل ج ٥ - ص ٥٠٢ .



هذه الحركة أخذت تتقوى ويكثر افرادها ، يجمع فيما بينهم الحقد على الاسلام وعلى الدولة ، لقد حاولوا هدم هذا الدين بما كانوا يبثونه من عقائد باطلة كما أرادوا الاطاحة بالخلافة في عهد المنصور حيث تجمع هؤلاء الراونديه وأتوا قصر المنصور وأخذوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا ، فعلم بأمرهم المنصور وتبرأ منهم وأرسل الى رؤسائهم وحبس منهم مائتين ، ولكن هذا قد أغضبهم وأثار سخطهم ونقمتهم فأعدوا نعشا وحملوا السرير - ولم يكن فى ذلك النعش شىء وساروا به حتى وصلوا الى السجن فرموا بذلك النعش ودخلوا السجن وأخرجوا من كان فيه من أصحابهم ، ثم اجتمع منهم ستمائة رجل وتوجهوا الى الخليفة المنصور يقصدون به شرا ، فلم يسعه فى تلك اللحظات الا أن يخرج اليهم بنفسه حيث خرج من قصره ماشيا ، فأحضرت له دابة فركبها وأراد التوجه اليهم لقتالهم والتخلص من شرهم ، وشاءت ارادة الله ان يكون معن بن زائدة[1] موجودا فى ذلك الوقت عندما خرجت الراونديه على الخليفة.

---

(١) معن بن زائدة الشيبانى : أحد الأبطال المغاوير ، وأحد الأجواد كان أمير سجستان ، وحارب الراوندية وهم قوم خراسانيون على رأى أبى مسلم - فى سنة ١٤١ - فى عهد المنصور ، ووضع فيهم السيف وفى سنة ١٥١ فى عهد المهدى قتله الخوارج مثله.
(البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٣).

فقد كان مختفيا عن الخليفة تخوفا منه ، ولكن عندما اشتدت الأمور ورأى ما رأى من خروج الراونديه وموقف الخليفة منهم حيث أراد الخروج لهم بنفسه فأتى الى الخليفة وقال له : أنشدك الله ياأمير المؤمنين الا رجعت ، فانك تكفى ، واستطاع الخليفه المنصور بمساعدة رجاله الأشداء (معن ابن زائده الشيباني وعثمان بن نهيك رئيس حرسه ، والهيثم بن شعبه والقعقاع بن ضرار رئيس شرطة عيسى بن موسى وأبرويز بن المصحقان ملك دیناوند) أن يوقع الهزيمة بالراونديه فما هي الا ساعة حتى أفنوهم ، غير أن ما أصابهم من القتل على يد الخليفه المنصور لم يكن رادعا لهم بل كانت لهم بقية . وخوفا من أن يكبر أمرها فقد واصل تتبعهم وقتالهم وقال أبوخزيمه للمنصور : يا أمير المؤمنين ، ان لهم بقية قال : فقد وليتك أمرهم فأقتلهم . وكما ذكرت ان معن بن زائده كان مختفيا من أبي جعفر ، ولكنه وقف وقفه بطولية تمثلت فيها الشجاعة والقوة ، ولم ينس له الخليفه ذلك الموقف فبعد ان انتهت تلك الحركة وذلك القتال الذى دار بين الطرفين سأل الخليفة أبوجعفر أبا خصيب فقال : ويلك أين معن ؟ فقال له والله ما أدرى أين هو من الأرض ، فقال : أيظن أن أميرالمؤمنين لا يغفر ذنبه بعد ما كان من بلائه ، اعطه الأمان وأدخله على ، فأدخله فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وولاه اليمن ويقال أن المنصور قال

عن نفسه أخطأت فى ثلاث : قتلت أبا مسلم وأنا فى جماعة قليلة ، وحين خرجت الى الشام ، ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ويوم الراونديه لو اصابنى سهم لذهبت ضياعا . وهذا من حزمه وصراحته .(١)

فشل الحركة :

لقد قامت الحركة على أساس باطل ،وما كان قائما على أساس باطل فهو باطل ومصيره الفشل والانهيار فى النهاية . وهذه الحركة الراونديه قامت على عقائد باطله ومزيفه ودعاوى جهرجه جوفاء لا معنى لها وهذه وحدها كفيلة بأن تؤدى بها الى الفشل المحتم .

هذا بالاضافة الى أنها قامت ولم يكن لها زعيم وقائد يقود حركتها ويضع لها النظام الأمثل الذى تسير عليه لكى يكتب لها النصر. كما أنها قامت بتلك الثورة ولم يكن لديها السلاح الكافى الذى تواجه به أعداءها ، بل انها بمجرد ان قامت وثارت فى وجه الخلافة استطاع الخليفه مع بعض رجاله الأقوياء ان يقضوا عليها فى يومها ولم تستغرق زمنا طويلا ، كما أنها لم تمهد لقبول دعواها لدى الأفراد

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٧ - ص ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ وابن كثير - البداية والنهاية - المجلد الخامس ج ١٠ - ص ٧٥ - ٧٩ - وابن الاثير - الكامل - ج ٥ - ص ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ .

بل أعلنت دعوتها جهارا ، ودخلت بها على الناس مباشرة وكانت النفوس لاتزال علاقتها بالاسلام سليمة . كل هذه العوامل قادت هذه الحركة أو جرتها الى الفشل وكل حركة تقوم على مثل هذا سوف يكون مصيرها الفشل وخيبة الأمل .

الفصل الثّاني

المُقَنَّعيَّة

المقنع الخرساني

أصله وعقائده :

تعتبر الحركة المقنعيه من أخطر حركات الزنادقه التي قامت في العصر العباسي الأول ، والتي واجهها المهدى ، وتزعمها رجل من أهل خراسان - من قرية يقال لها كره احدى قرى مرو - يسمى حكيم أو عطاء أو هاشم ، ويلقبه المؤرخون وأصحاب الفرق بالمقنع وذلك لأنه كان يتخذ وجها من الذهب وكان يخفي وراءه ذلك الوجه القبيح ، ولأنه يضع على يمينه قطعة من الحرير الأخضر ليستتر بها عوره .

كان في أول أمره على دين الرزاميه (١) ، ولكنه أدخل بعض المتغيرات

---

(١) الرزاميه : اتباع رزام (وكانوا كيسانيه في الأصل) ساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد . ثم الى ابنه هاشم ثم منه الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصيه ، ثم ساقوها الى محمد بن علي وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام وهو صاحب أبي مسلم الذى دعا اليه وقال بامامته وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم حتى قيل ان أبا مسلم كان على هذا المذهب ، لأنهم ساقوا الامامه الى أبي مسلم ، فقالوا : له حظ في الامامه وادعوا حلول روح الاله فيه .....
(الشهرستاني ، الملل ، ج ١ ، ص ١٥٣ - ١٥٤) .

في ذلك[1] ، حيث ادعى الربوبيه عن طريق التناسخ فقال لأتباعه الذين اتبعوه : ان الله سبحانه وتعالى تحول الى صورة آدم ، ولذلك قال للملائكة : اسجدوا له فسجدوا الاّ ابليس ، فاستحق بذلك السخط، ثم تحول من آدم الى صورة نوح عليه السلام ، ثم الى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني ، ثم زعم أنه انتقل اليه منه .

من هنا نجد أن المقنع قد ادعى لنفسه الالوهية على عكس الراونديه التي ادعت ذلك لأبي جعفر المنصور وانما ادعت له ذلك لأنها كانت ترجو مساعدته وكانت تعتقد انها سوف تسير في دعوتها بمحالفة الخليفة لها فتتمكن من نشرها في هدوء واطمئنان ولكن الخليفة أدرك نواياها فكان لها بالمرصاد كما لاحظنا ذلك سابقا .

وقد استطاع المقنع بدهائه وفطنته أن يجعل دعوى الألوهية لنفسه فزعم ان الروح الالهيه انما حلت فيه . فقبل قوم دعواه

---

(1) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج ٣ - ص ٤٢ ، وابن كثير - البداية والنهاية - المجلد الخامس - ج ١٠ - ص ١٤٥ - وابن الاثير - الكامل ج ٨ - ص ٣٨ - والاسفراييني - التبصير - ص ٧٦ - وحسن ابراهيم ج ٢ - ص ١٠٦ - ١٠٧ وشاكر مصطفى - دولة بني العباس - ج ١ - ص ٢٨٨ وحسين عطوان - الدعوة العباسية - ص ٢١٠ - ٢١١ - وعبد المنعم ماجد - القرن الذهبي - ص ١٦٨ .

وعبدوه وقاتلوا دونه ، مع ما عاينوا من عظيم ادعائه وقبح صورته ، لأنه كان مشوة الخلق أعور قصير القامة.

كما أنه اسقط بعضا من التكاليف الشرعية لأنه أراد أن يكسب في صفة الذين ينفرون من تلك التكاليف أو الذين يتثاقلون منها ويرونها حملا ثقيلا عليهم فأراد المقنع أن يضم هؤلاء الى اتباعه فقال بابطال الصوم والصلاة وجملة الفرائض وأدعى شيوعية مزدك بينهم (في الأموال والنساء) واكتفى منهم بالسجود له. كان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم.

ان تلك الفرق وهذه الحركات كأنما يعيد بعضها البعض فمن خلال بحثي هذا تأكد لي ماقلته من انها ماقامت الا لكي تحيي العقائد الفاسده وتنشرها بين الأفراد والجماعات وبالتالي تقضي على الدين الاسلامي . وهذا مانلاحظه في دعوة المقنع الخرساني ، الذي استطاع التأثير على عقول اتباعه بما أتاه من السياسة والحيلة فعظم اعتقادهم فيه وآمنوا به وصدقوا بما جاءهم به .(١)

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج ٣ - ص ٢٦٣ - ٢٦٤ - والشهرستاني الملل - ج ١ - ص ١٥٤ - والاسفراييني - التبصير - ص ٧٦ - وابن الأثير الكامل - ج ٦ - ص ٣٨ - ٣٩ والطبري - تاريخ الأمم والملوك - ج ٨ ص ١٣٥ - وعبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول - ص ١٦٩ - وشاكر مصطفى - دولة بني العباس - ج ١ - ص ٢٨٩ - وحسين عطوان - الدعوة العباسية - ص ٢١١ - والبغدادي - الفرق بين الفرق - ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

حيله ومخاريقه

كانت له معرفة بالهندسة والسحر والنيرنجات ، وقد كان لذلك تأثير كبير على شخصيته حيث كان يستعمل الحيل والمخاريق التى ساعدته فى القضاء على أنواع الشكوك والأوهام التى قد تطرأ على رأى فرد من أتباعه ، وبتلك الحيل وبتلك المخاريق امتاز بها عن غيره من الثوار الزنادقة أصحاب تلك الحركات الثائرة ، وبها استطاع أن يسيطر على عقول هؤلاء الأفراد وأن يكسب ثقتهم فكانت النتيجة ان صدقه الكثير وآمنوا بما كان يقوله ويفعله . كما كان يستخدم القرآن فى الاستدلال به على ما يقول ، فزاد ذلك فى تصديقه والثقة به ، وقد كان يقول لأتباعه عندما طلبوا منه أن يروه على صورته الأصليه وأن ينزع ذلك القناع ، هذا شىء قد سأله قوم موسى فاحرقوا ، وذلك كما جاء ذكره فى القرآن فى قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ (١)

---

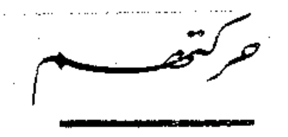
(١) سورة البقرة آيه ٥٥ .

فأقنعهم بذلك وقال لهم : انهم أيضا لا يستطيعون رؤيته على صورته الأصلية والا أحرقوا كقوم موسى . فصدقه قوم منهم ورضوا بقوله وقالوا : رضينا بذلك ، ويجوز لنا أن نراك ونحترق ، فدعاهم يوما وأمر فوضع له منبر فى مقابلة الشمس وقت الضحوة ، وطق مرآة مقعرة من الحديد الصينى فوق المنبر بحيث يكون شعاعها الخارج منها بالزاوية القائمة فى مقابلة الباب الذى يدخلون منه ، ثم اذن لهم بعد ارتفاع النهار ، وأمر برفع الستر فلما وقع عليهم الشعاع احترق منهم قوم ، وهرب الباقون من ذلك المكان فاغتر به القوم ولم يطالبوه بعد ذلك بالرؤية . وكانوا يتابعونه بعد فيما يأمرهم به .

ان جهل هؤلاء القوم بما كان يفعله المقنع وخوفهم منه جعلهم يصدقون بكل ما يأتيهم به وبذلك سلموا أمرهم له فتمادى فى ذلك وأصبح له كثير من الأتباع وقام بحركته التى تعتبر أكبر الحركات التى قام بها فى وجه الدولة العباسية .[1]

---

(١) انظر الاسفراينى - التبصير - ص ٧٦ - وابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٣ - ص ٢٦٤ - والبغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٥٨ - وشاكر مصطفى - دولة بنى العباس - ج ٢ - ص ٢٨٩ .



لقد استطاع المقنع بحيلة ومخاريقه أن يجمع حوله كل من استغواه ووقع فى شباكه ، فاجتمع اليه خلق كثير ، وتحصنوا فى قلعة بسنام[١] ، وسنجردة ، وهى من رساتيق كش ، حيث خرجت معه المبيضه ، معاونين له ، كما خرج كفار الأتراك ، فبدأ المقنع حركته الثوريه بالاستيلاء على بعض قصور كش[٢] ، وحاربهم أبو النعمان ، والجنيد ، وليث بن نصر ، مرة بعد مرة وقتلوا حسان ابن تميم بن نصر بن سيار ومحمد بن نصر وغيرهما .

وانفذ اليهم جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد ، فاشتغلوا بالمبيضه الذين كانوا ببخارى ، فقاتلوهم أربعة أشهر فقتل منهم سبعمائه رجل ، ولحق منهزموهم بالمقنع ، وتبعهم جبرائيل ، وحاربهم ثم سير المهدى أباعون لاخضاعهم فلم يبالغ فى قتاله لهم فأستعمل معاذ بن مسلم ووكل اليه محاربة ذلك الزنديق الثائر فسار اليه مستصحبا جماعة كثيرة من العساكر والقواد وعلى رأسهم

---

(١) سنام : قيل: جبل مشرف على البصرة الى جانبه ماء كثير ، وقيل : سنام اسم جبل قريب من البصرة يراه أهلها من سطوحهم كما قيل أيضا: جبل لبنى دارم بين البصرة واليمامة .. وقيل أيضا : قلعة بما وراء النهر أحدثها المقنع الخارجى .
(انظر الحموى ، معجم البلدان - ج ٣ - ص ٢٦ ٠)

(٢) قرية من قرى اصبهان كان بها جماعة من طلاب العلم.
انظر الحموى - معجم البلدان - ج ٤ - ص ٤٦٢ ٠)

سعيد الحرشي ، فاتصلوا بأتباع المقنع واستطاعوا أن يوقعوا بهم الهزيمة ففر المنهزمون الى المقنع فلما رأى ذلك فزع فزعا شديدا يدل على هذا تحصينه قلعته تحصينا متينا ولكنه وجد أن الحصار قد طال عليهم وأن حالتهم قد ازدادت سوء ، عندما رأوا تلك الحال استأمن اليه ثلاثين الفا منهم وقتل الباقين ، وكان المقنع قد أصلح تنورا أذاب فيه السكر والقطران ، فلما ضاق به الأمر طرح نفسه فيه حتى ذاب ولم يبق منه شيء يظهر فلما طلبه من بقى من أتباعه لم يجدوا فيه شيئا . وقيل انه لما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سما فمتن منه ثم تناول شربة من ذلك السم فمات ، ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه.(١)

ويقول البغدادي : انه استعمل سما ، وسقى نساءه فأهلكهم السم ، ودخل المسلمون الحصن فقطعوا رأسه ووجهوا به الى المهدى فوافاه بحلب.(٢)

---

(١) انظر ابن الأثير - الكامل - ج ٦ - ص ٣٩ - وتاريخ الأمم والملوك ج ٨ - ص ١٣٥ والبداية والنهاية - المجلد الخامس - ص ١٤٥ - ١٤٦ ووفيات الأعيان - ج ٣ - ص ٦٤ والاسفراييني - التبصير ص ٧٧ ، وحسن ابراهيم حسن - التاريخ السياسي - ج ٢ - ص ١٠٦ والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) انظر البغدادي - الفرق بين الفرق - ص ٢٥٧ .

ويقول الأسفرايني : وأتباعه اليوم كثير في تلك القرى ، وجبل ابلاق ، لا يصلون ، ولا يصومون ، ولهم مساجد بنوها يستأجرون من يؤذن فيها ،يستحلون أكل الميتة ، والخنزير ، والزنا ، حتى أن كل واحد منهم يستحل حليلة صاحبه.(١)

فشل الحركة :

ان هذه الحركة كغيرها من الحركات الزائفه الباطلة التي قامت على أساس باطل وأعود وأكرر فأقول : ان ما قام على أساس باطل نهايته الفشل والخذلان.وهذه هي النتيجة التي قد وصلت اليها الحركة المقنعيه.

قامت هذه الحركة في الوقت الذى كانت فيه الدولة قويه ولم تكن هناك حروب أو فتن تشغلها عنها،بل على العكس من ذلك كان المهدى في ذلك الوقت شديد الحرص في تتبع الزنادقه وأخبارهم ، والقضاء عليهم بعد التأكد له من أمرهم لأنه اعتبر هؤلاء الزنادقة خطرا على الدين والدولة معا، فجهز لهم الجيوش الجرارة لمقاتلتهم واخضاعهم لسلطان الدولة ، هذا بالاضافة الى جواسيسه الذين قد بثهم في كل مكان للاطلاع

---

(١) انظر التبصير - ص٧٧.

على كل حركاتهم ومحاصرتهم والقضاء عليها في حينها .

لو نظرنا الى جيش الدولة وفي المقابل الى جيش المقنع الذى خرج به على الدولة لوجدنا ان الكفة غير متكافئة ، ليس هناك من تكافؤ بين الطرفين لا في العقيدة ولا في العدة ولا في العدد . فقد كان جيش المقنع - برغم ما عنده من حقد - ليس له عقيدة دينية متأصلة يقاتل عليها ، وكان من حيث العدد جيش الخلافة أكثر بكثير من جيش المقنع ، ومن حيث العدة ، لم يكن للمقنع السلاح الكافي للقيام بمثل هذه الحركة الثائرة ، كذلك لو نظرنا الى جيش المقنع لوجدناه غير متجانس ، بل انه كان خليطا مختلفا حيث لم يكن أفراده من جنس واحد بل من أجناس عدة ، وهذا ما يؤدى الى الاختلاف في الرأى فيكون عاملا قويا من عوامل فشل الحركة .

أيضا نجد أن المقنع قد حصر نفسه وأتباعه وأهله في تلك القلعة التي قد لجأ اليها وكانت نهايته السيئة فيها . وكانت ارادة الله وسنته في خلقه أن ينهزم الباطل مهما ظهر عنده من قوه .

الفصْل الثّالث

الخُرَّمِيَّة

أصل التسمية :

اختلف المؤرخون في معنى الخرميه ودلالتها ، فهناك عدة أقوال تحمل مختلف المعاني لهذا المسمى ، وسوف أذكر هذا الأختلاف في تلك الأقوال ثم بعد ذلك اختار ما هو أرجح منها أو ماهو أقرب الى الصواب .

جاء في الصحاح :

الخرم : أنف الجبل ، وتخرم ، أي دان بدين الخرمية ، وهم أصحاب التناسخ والاباحه.(١)

كما جاء **في معجم البلدان :**

(خُرَّم : بضم أوله ، وتشديد ثانيه ، وتفسيره بالفارسيه السرور : وهو رستاق بأردبيل ، قال نضر : وأظن الخرميه الذين كان منهم بابك الخرمي نسبوا اليه ، وقيل الخرميه فارسي معناه الذين يتبعون الشهوات ويستبيحونها .)(٢)

وجاء **في المعجم الوسيط :**

(الخرميه : اتباع بابك الخرمي نسبة الى بلده بفارس ، ويقولون بالتناسخ والحلول والاباحيه - والخرم : أنف الجبل).(٣)

---

(١) انظر الجوهري - ج ٥ - ص ١٩١٠ .
(٢) ياقوت الحموي - ج ٢ - ص ٣٦٢ .
(٣) مجمع اللغة العربية - ج ١ - ص ٢٣٠ .

ثم جاء **في دائرة المعارف الاسلامية :**

الخرميه : اسمها مشتق من الكلمة الفارسية (خرم) ومعناها (مقبول) على أساس أن أتباعها يعدون كل مقبول جائزا شرعا .[١]

وهذا قريب مما جاء في دائرة المعارف الأورديه : جاء فيها .

(خرميه : مأخوذة من خرم - وهو لفظ فارسي - معناه : البهاء والبهجه ، لأنهم يبيحون كل ما هو جميل وطيب ، كما ذكره السمعاني حيث يقول : (الخُرّمي : بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المفتوحة وفي آخرها الميم ، هذه النسبه الى طائفة من الباطنيه يقال لهم الخرمدينيه يعني يدينون بما يريدون ويشتهون وانما لقبوا بذلك لاباحتهم المحرمات من الخمر وسائر اللذات ونكاح ذوات المحارم وفعل ما يتلذذون به فلما شابهوا في هذه الاباحة المزدكية من المجوس الذين خرجوا في أيام قباذ وأباحوا النساء كلهن وأباحوا سائر المحرمات الى أن قتلهم أنوشروان بن قباذ قيل لهم بهذه المشابهة (خرمدينيه) كما قيل للمزدكية خرمدينيه .)[٢] ولكن الأصح أنها منسوبه الى خرم التي هي من (أردبيل) ومن الامكان ان الفرقة المذكورة وجدت هناك.[٣]

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية - ج ٨ - ص ٢٩٩ .
(٢) الانساب - ج ٥ - ص ٩٦ .
(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية باللغة الأوردية - ج ٨ - ص ٩١٢ .

أما **شاكر مصطفى** فانه يقول :

ان كلمة (خرميه) تعود الى اسم مكان قريب من أردبيل[(١)] في اقليم اذربيجان وقيل اسم احدى بلاد ميديا .[(٢)]

ويقول : **فاروق عمر** :

يرتبط مصطلح خرم باسم النار ، ففي اللغة الفارسية تعني خور الشمس ، وباللغة الأرمنيه تعني النار ،[(٣)] ولكن في رأيي أن هذا القول مرفوض لأن كثيرا ممن يعبدون النار لا يبيحون الفواحش.

ويذكر **شاكر مصطفى أيضا** :

رأيا آخر في تفسير (خرميه) حيث يقول : قيل خرم وقيل : خورامه وقيل خرم: اسم زوجة مزدك هربت بعد مقتله مع اثنين من أتباعه وأخذت تدعو الى تعاليم زوجها واستطاعت أن تنشأ فرقة الخرمية أو الخرمدينيه ، وكانت هذه الفرقة سرية ، عملت في فارس قبل وبعد الاسلام كما وأنها اتخذت التشيع ملجأ لها .[(٤)]

---

(١) ويجب أن نلاحظ أن منطقة أردبيل هي التي وجه اليها المعتصم جيشه بقيادة (أبي سعيد محمد بن يوسف كما سيأتي بيان ذلك فيما يأتي .

(٢) انظر دولة بني العباس - ج ١ - ص ٢٧٤ ، وفاروق عمر - التاريخ الاسلامي ص ١٨٤ وعبد المنعم ماجد - القرن الذهبي - ص ٤٠٠ ، ومحمد بديع شريف - القادسية الكبرى - ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) انظر التاريخ الاسلامي - ص ١٨٥ .

(٤) انظر دولة بني العباس - ج ١ - ص ٢٧٥ ، وفاروق عمر - التاريخ الاسلامي - ص ١٨٤ وسامي النشار - ج ١ - ص ٢٠٥ - حسين عطوان الدعوة العباسية - ص ١٩٧ .

وهناك رأى آخر يقول :

ان اشتقاق الخرميه من اصطلاح (خرم - دين) وهو تعبير فارسي اطلقه أتباع هذه الفرقه على أنفسهم بمعنى اتباع (الدين) دين الانشراح واللذة والفرح فالكلمة فارسية معناها (لذيذ)[1] يقول فان فلوتن :(أما اذا تكلمنا عن (خرم دينيا) فمعنى ان هؤلاء كانوا لا يعرفون دينا غير اللذة ، واذا ما جعل للنساء عندهم مكانة أرقى مما في البلاد الشرقية الأخرى ، فانما ذلك بقصد الاستمتاع.)[2]

كما يقول ابن الجوزى :

(خرم لفظ أعجمى ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان له ، ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت ، وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد .)[3]

ونلاحظ أن هذه التفاسير للفظ الخرميه تكاد تجمع على أنها فرقة اباحيه لاتعترف بالتكاليف ولا بالحدود الشرعية. ومن هنا يكون هذا التفسير الأخير لمعنى (خرم) هو الأقرب للصواب لأننا نجد متمثلا

---

(١) انظر عبد المنعم ماجد - القرن الذهبي - ص ٤٠ - وفاروق عمر - التاريخ الاسلامي - ص ١٨٤ .

(٢) نقلا عن شاكر مصطفى - دولة بني العباس - ج ١ - ص ٢٤٧ - ٢٧٥ .

(٣) تلبيس ابليس - ص ١٠٢ - وانظر بيان مذاهب الباطنية وبطلانه الديلمي - ص ٢٥ .

بشكل واضح فيما تدعو اليه الخرميه أو فيما هو مطبق في سلوك أفرادها الذين هم يعتقدون بهذا المذهب ، هذا بالاضافة الى اجماع الكثير من الكتاب والمؤرخين على أن الخرمية تطلق على المزدكيه الذين ظهروا قبل الاسلام ، ثم بعد ذلك اطلق هذا اللفظ نفسه على من شابههم في تعاليمهم من فرق الزنادقه الأخرى التى ظهرت فى العهد الاسلامى بعد أن غزا الاسلام بلاد فارس كالبابكيه والمازياريه المحمرة لمشابهة تعاليمهم لتعاليم المزدكيه القدماء .

ولكننى أعود مرة أخرى وأقول صحيح ان التفسير الأخير لمعنى (خرم) أقرب الى الصواب ولكننى أرى أنه لا مانع من الأخذ به ومما ذكره ابن النديم لأننى أرى أنه يتفق مع ما جاء فى معاجم اللغة ، فالخرم من معانيه فى اللغة أنف الجبل فهذا يعطينا أنهم سموا الخرميه لأن سلفهم كانوا يسكنون الجبال .

يقول ابن النديم :

الخرميه : (هم بنواحى الجبال ، فيما بين أذربيجان وأرمينيه وبلاد الديلم وهمدان ودينور منتشرون .)[1]

فالأخذ بكلا الرأيين لا مانع منه لأن سكنى سلفهم للجبال لا يتعارض مع اباحتهم للملذات ورفعهم للتكاليف .

---

(١) الفهرست - ص ٤٧٩ .

أصلهم ومصدرهم

نستطيع أن نقرر باطمئنان فنقول : ان أصل الخرمية الذين قد ظهروا فى دولة الاسلام أصلهم ومصدرهم المزدكية التى ظهرت قبل دولة الاسلام والتى ظهرت فى عهد الدولة الساسانية .

يقول ابن النديم :

الخرميه صنفان ؛ الخرميه الأولى ويسمون المحمره ، وهؤلاء أهل مجوس فى الأصل ، وصاحبهم مزدك القديم ، أما مزدك الأخير الذى ظهر فى عهد قباذ بن فيروز وقتله أنوشروان فقد كان على مثل مذهبهم هذا .

وفى معرض حديثه عن الخرميه البابكيه يذكر أن امرأة جاويدان عندما أرادت ان تنقل الرياسه الى بابك الخرمى قالت لأتباعها ان بابك سوف يرد دين المزدكيه .(١)

فكلام ابن النديم هذا أيضا يوضح لنا مدى الصلة بين الخرمية التى كانت موجودة قبل الاسلام ، والخرميه التى ظهرت فى دولة الاسلام .

كذلك قيل :

الخرميه صنفان ؛ صنف كان قبل الاسلام وهم المزدكيه ، والصنف الآخر ظهر فى دولة الاسلام وهم الخرمدينيه ، وهم فريقان؛

---

(١) انظر الفهرست - ص ٤٧٩ - ٤٨٢ .

بابكيه ، ومازياريه ، وكلتاهما معروفة بالمحمره [(١)] ، جميعها ترجع الى الخرمية التي هي امتداد للمزدكية [(٢)] .

ويقول أرثوكريستنسن :

(إن المزدكيه بقيت منذ ذلك الوقت فرقة سرية فقط ، وعاشت على هذا النحو أيام الدولة الساسانيه ، ثم عادت الى الظهور من جديد في العصور الاسلامية .) [(٣)]

هذه النصوص تؤكد لنا بوضوح الى أن المزدكيه كانت مصدرا للخرميه مع مراعاة التطورات التى حدثت فيما بعد فى تلك العقائد والتى سوف أوضحها عندما أتحدث عن تلك العقائد عند الخرميه .

---

(١) المحمره : نسبة الى صبغ شعاراً لهم بمعنى المضاهاة لبنى العباس ، وربما لأن اتباعها قد صبغوا ثيابهم بالحمره ليتميزوا عن غيرهم ، وقيل لأنهم فى اباحتهم يشابهون الحمير .
(انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، المجلد السادس ، ج ١١ ص ٦٢ ، وعبد المنعم ماجد ، القرن الذهبى ، ص ٤٠١ ، وشاكر مصطفى ، دولة بنى العباس ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، وفاروق عمر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٠٠) .

(٢) انظر البغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٦٦ - والتبصير - ص ٧٥ ، وفاروق عمر - التاريخ الاسلامى ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، وسامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ٢٠٩ - وابن الجوزى تلبيس ابليس - ص ١٠١ .

(٣) نقلاً عن ايران فى عهد الساسانيين - ص ٣٤٧ .

ولكن نعلم أن المزدكيه قامت فى العهد الساسانى بعد مقتل مزدك بشكل سرى لأنها مضطهدة من قبل افراد الزرادشتيه بعكس الخرميه التى وجدت بعض الحريه بعد انتهاء العصر الأموى وبداية العصر العباسى الأول ، ولكنها لم تظهر عقائدها بالمعنى الجهرى الذى نعرفه بل كانت تغطى عقائدها أوتسترها تحت بعض من التعاليم الاسلاميه حتى تجذب اليها العامه ولكى لا تقع فى قبضة السلطة الحاكمة فى ذلك العصر بل حتى تنشر مبادئها فى هدوء واطمئنان .

فالخرميه اذن فرقه تطورت عن المزدكيه فى العصر الاسلامى[1] .

يقول المسعودى : (وقد ذكرنا فى كتابنا (فى المقالات فى أصول الديانات) وفى كتاب (سر الحياة) مذاهب الخرمية الكوذيه منهم والكوذشاهية وغيرهم ومن منهم بنواحى اصبهان .....

وما بينهم من التنازع وما بين الفريقين وبين المحمرة والمزدقية والماهانيه وغيرهم من الخلاف ، وما جرى لنا من المناظرات مع من شاهدنا منهم فى هذه المواطن وما ينتظره الجميع فى المستقبل من الزمان من عود الملك فيهم ، ومن خلع فى الاسلام منهم وظهر من عهد الهرمزان الذى قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، عند وفاة أبيه عمر الى وقتنا هذا وغير ذلك ...)[2]

---

(١) انظر فاروق عمر - التاريخ الاسلامى - ص ٢٢١ .

(٢) التنبيه والاشراف - ص ٣٠٦ .

المسعودى فى هذا النص يبين لنا أن عقيدة الخرمية والمحمره والمزدكيه والماهانيه ثانويه تقول : (بالأثنين) لذلك قد أتى بها فى نسق واحد لأن هذه المذاهب تجمعها عقيدة واحدة .

فروع الخرمية

يقول المسعودى بعد أن تحدث عن اضطراب الخرميه بعد مقتل أبى مسلم الخراسانى مايفيد ان فرقة (الأبوسيلميه) فرع منهم وما يفيد أيضا ان هذه الفرقة قد تفرعت بعد موته الى فرعين أحدهما يقول بعدم موت أبى مسلم ، وبأنه لن يموت حتى يعود ويظهر العدل فيهم ، والفرع الآخر يقطع بموته ويقول : بأمامة ابنته فاطمة ، وهذه الفرقة تدعى الغاطمية نسبة اليها ، بل انه يقول : أن الكردكية واللود شاهية كانت هاتان الفرقتان أعظم الخرمية الموجودة فى ذلك الوقت[1] ، كما يقول سامى النشار (كانت المزدكيه هناك قبل تحت اسم الكوركية والنورساعتيه والبركوكية ولكن اسمها الغالب عليها كان الخرمدينيه .)[2]

---

(١) انظر مروج الذهب - ج ٣ - ص ٣٠٥ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ٢٠٦ .

ويذكر **الشهرستاني** عند كلامه على فرقة الرزاميه ما يفيد أن مبيضة ما وراء النهر الذين انضموا الى المقنع الخراساني في حركته واستجابوا اليه في دعوته فرع منهم.(١)

وقيل : ان جماعة (الأبومسليه) نوع آخر منهم.(٢)

ويذكر **ابن النديم** أثناء كلامه عن الخرميه القديمة والخرميه التي ظهرت في العصر الاسلامي مايفيد ان البابكيه فرع منهم(٣) وفي مكان آخر يقول : ان بعض الناس يسمي المسلمية الخرمدينيه.(٤)

ويصرح البغدادي والاسفرايني بأن البابكيه والمازياريه من جملة فروعهم ، وأنهما يسميان بالحمره .(٥)

ويشير **ابن الجوزي** الى أن فرقة الباطنيه التي ظهرت في أوائل العصر العباسي الثاني واستمرت حتى سقوط بغداد على يد التتار يشير الى ان هذه الطائفة من الخرميه لمشابهتهم لهم في مقصودهم الذي يرمي الى هدم الشرع الحنيف.(٦)

---

(١) انظر الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ ج ١ ـ ص ١٥٤ .

(٢) انظر النوبختي ـ فرق الشيعه ـ ص ٤٦ ـ ٤٧ ـ والمسعودي ـ مروج الذهب ـ ج ٣ ـ ص ٣٠٥ .

(٣) انظر الفهرست ـ ص ٤٨٠ .

(٤) انظر المرجع السابق ـ ص ٤٨٣ .

(٥) انظر الفرق بين الفرق ـ ص ٢٦٦ ـ والتبصير ـ ص ٨٠ .

(٦) انظر تلبيس ابليس ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٦ .

نستخلص من هذه الأقوال التي ذكرها الكتاب والمؤرخون بخصوص فروعهم وفرقهم مايلي :

أنه كان من جملة فروعهم الأبومسلمية (المسلمية) المنتسبون الى أبي مسلم الخراساني ، والبابكيه أصحاب بابك الخرمي والمازياريه أتباع المازيار بن قارن صاحب طبرستان ، ومبيضة ما وراء النهر الذين تبعوا المقنع الخراساني ، وكذلك الفاطميه المنسوبون الى فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني ، والكسوذشاهيه وقيل : الكردكيه وأبو مسلميه والماهانيه والأسبيد جامكيه والكوذكيه كما قيل الكردكيه واللودشاهيه [1] وكذلك الباطنية ، تلك الفرقة التي نسبت الى الباطن لما تزعم من أن لكل ظاهر باطنا لتصل من وراء ذلك الى هدم الدين الاسلامي بتأويل الأوامر والنواهي والشرائع التي وردت فيه ، والمحمرة وتشمل البابكيه والمازياريه ، ان هذه الفروع وما طرأ عليها من تطور فهي وان اختلفت في أسمائها الا أننا نجدها لا تختلف في المبادىء فهم فروع وأصناف يجمعون على القول بالرجعة . [2]

---

(١) انظر المسعودي - التنبيه والاشراف - ص ٣٠٦ - مروج الذهب نفس المؤلف - ج ٣ - ص ٣٠٥ - والشهرستاني - الملل بهامش الفصل لابن حزم - ج ٢ - ص ٨٧ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية - ج ٨ - ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

عقائدها :

أما عن عقائد هذه الطائفه فيروى لنا الطبرى ، أن بابك (ادعى ان روح جاويدان دخلت فيه ، وأخذ في العبث والفساد وقيل حتى جعل الخرميه يقولون ، آمنا بك ياروح بابك كما آمنا بك ياروح جاويدان).[1]

كما يقول ابن النديم : (ان بابك يقول لمن استغواه أنه اله)[2] هذا بالاضافة الى قولهم بالرجعة والتناسخ ، حيث يزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم ماهم الا روح واحدة ، ويقولون ان الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان[3] - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - كما أن الوحى عندهم لا ينقطع أبدا وكل ذى دين مصيب عندهم اذا كان راجى ثواب وخاشى عقاب[4] ولا يرون تهجينه[5] والتخطى اليه بمكروه مالم يرم كيد نحلتهم وخسف مذهبهم ، ويعظمون أمر أبى مسلم ، ويلعنون أبا جعفر على قتله ، ويكثرون الصلاة على فيروز لأنه من ولد فاطمة بنت أبى مسلم ، ولهم أئمة يرجعون اليهم في الأحكام ، ورسل يدورون بينهم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - ج ٨ - ص ٥٥٦ وابن الأثير - الكامل - ج ٦ - ص ٣٢٨ وعبد المنعم ماجد - القرن الذهبى - ص ١٠٤ .

(٢) الفهرست - ص ٤٨١ - وانظر ابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٨٩ .

(٣) انظر ابن الاثير الكامل - ج ٦ - ص ٣٢٨ - وانظر الشهرستانى - ص ٩٦ .

(٤) ثواب وعقاب على حسب تصورهم لا كما جاء في الشرائع السماوية .

(٥) تهجين الأمر : تقبيحه (الصحاح ، ج ٦ ، ص ٢٢١٧) .

ويسمونهم ولا يتبركون بشيء مثل تبركهم بالخمور والأشربه ، كما أنهم يدعون أنه كان لهم ملك في الجاهليه اسمه شروين ، ويفضلونه على الأنبياء ، وكلما بكوا على ميت وناحوا عليه تذكروا شروين وناحوا عليه أيضا تفجعا عليه [1] ، وأصل دينهم القول بالأثنينيه (النور والظلمه) . وقيل كانوا غاية في النظافة والطهارة والتقرب الى الناس بالملاطفة . وقالوا الدين معرفة الامام فقط ومنهم من قال : بأن الدين أمران ، معرفة الامام ، وأداء الأمانة وان من حصل له هذان الأمران فانه قد وصل الى الكمال ، وبذلك يرتفع عنه التكليف ، وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون ، وما هي الا عملية تضليل وذلك لاجتذاب العامة اليهم ، ومن ذلك أيضا تعليمهم أولادهم القرآن ، لكنهم لا يصلون في السر ، ولا يصومون في شهر رمضان ، ولا يرون جهاد الكفرة .

كما كانوا يتجنبون الدماء الا عند عقد راية الخلاف ، ولكن ادخل بعد ذلك في مذاهب الخرميه القتل والنصب والحروب والمثله ولم تكن الخرميه تعرف ذلك ، ثم استمرت بعد ذلك في اتخاذ أسلوب

---

(١) انظر البغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٦٨ - والاسفرايينى - التبصير - ص ١٨٠ وحسن ابراهيم - التاريخ السياسى - ج ٢ - ص ١١٠ - ودائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ . وشاكر مصطفى - دولة بنى العباس ج ١ - ص ٢٧٥ - وفندلسى جوزى - من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام - ص ٧٩ - وابن الاثير اللباب ص ٨١ .

العنف وسفك الدماء والذى أدخله عليها بابك الخرمى حيث ظهر هذا الأسلوب بشكل واضح فى أساليب البابكيه والمازياريه ، حيث أخذ بابك التمثيل بالناس والتحريق بالنار والقتل والغصب والانهماك بالفساد وقلة الرحمة [١] ، ووجد منهم من يقول بإباحة النساء على الرضى منهن وأباحة ما تستلذه النفس وينزع الطبع اليه مالم يعد على أحد بالضرر [٢].

يقول **ابن الجوزى** فى هذا : (مقصد هذا الاسم - يقصد بذلك الخرميه - تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات وكيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد) [٣].

ويقول **نظام الملك** : (أنهم رفضوا جميع الفروض الدينيه ، كالصلاة والصوم والحج والزكاة وأباحوا شرب الخمر ، ونادوا باباحة المحرمات مع الاشتراكية فى النساء ويعتقدون ان هذه المبادىء هى مبادىء مزدك ، ويبذلون كل ما يستطيعون من جهد للقضاء على الاسلام قضاء مبرما كما أنهم لم يشعروا بأى ميل أو عاطفه

---

(١) انظر الشهرستانى - الملل - ج ١ - ص ١٥٤ - ٢٣٦ ، والبغدادى - الفرق بين الفرق - ص ٢٦٩ ، وابن النديم - الفهرست - ص ٤٨٠ - وفاروق عمر - دراسات نقديه - ص ١٩٣ - ودائرة المعارف الاسلامية ج ٨ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٢) انظر فاروق عمر - التاريخ الاسلامى - ص ١٨٩ - وبندلى جوزى - من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام - ص ٧٩ ، وشاكر مصطفى دولة بنى العباس - ج ١ - ص ٢٧٦ .

(٣) تلبيس ابليس ص ١٠١ .

ازاء أحد من أهل البيت ، وان كانوا قد اتخذوا من اسمائهم سبيلا الى جذب الأنصار اليهم ، لنشر دعوتهم التى ترمى الى هدم العقائد الاسلاميه ويقول نظام الملك : ان الخرميه والباطنيه سواء .) [1]

وقال النوبختى : (ان الأبا مسلميه قد قالوا بامامة : (أبى مسلم) وأنه حى لم يمت وقالوا : بالاباحات وترك جميع الفرائض وجعلوا الايمان المعرفه لامامهم فقط.) [2]

ويقول ابن الأثير : (ان الرجل منهم ينكح أمه ، وأخته ، وابنته .) [3]

ويذكر ابن النديم أيضا فى معرض الكلام عن الخرميه القدماء ما يفيد الى ان مزدك الذى ظهر أيام قباذ وقتله أنوشروان كان يقول : بتناول اللذات ، والانعكاف على بلوغ الشهوات ، والأكل والشرب والمواساة والاختلاط ، وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة فى الحرم والأهل ، لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ، ولا يمنعه ، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير ، وترك

---

(١) نقلا عن حسن ابراهيم حسن - التاريخ السياسى - ج ٢ - ص ١١٠ - ١١١ .
(٢) فرق الشيعه - ص ٤٧ .
(٣) الكامل - ج ٦ - ص ٣٢٨ .

القتل ، وادخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم ، اذا أضافوا الانسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائنا ماكان .[(١)]

أما **البغدادي** فانه يقول : بأنه كانت لهم في جبلهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها الرجال بالنساء.[(٢)]

ويقول **الشهرستاني** أيضا فيما يتعلق بهذا الموضوع : (الخرمدينية قالوا بأصلين ، ولهم ميل الى التناسخ والحلول ، وهم لا يقولون بأحكام وحلال وحرام).[(٣)]

أما **ابن الجوزي** فانه في أثناء كلامه عن بابك الخرمي قال : بأنه (استباح المحظورات وكان اذا علم أن عند أحد بنتا جميلة أو اختا فانه يطلبها فاذا لم تبعث اليه قتل ولي أمرها ثم يأخذها .)[(٤)]

ويقول **الأشعري** عن الرزاميه والأبومسلميه (..... ويحكى عنهم استحلال لما لم يحلل لهم اسلافهم .)[(٥)]

---

(١) انظر الفهرست - ص ٤٧٩ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق - ص ٩٦ والاسفرايني - التبصير - ص ٨٠ ، وابن الجوزي - تلبيس ابليس - ص ١٠١ .

(٣) الملل والنحل - ج ١ - ص ٢٣٦ .

(٤) تلبيس ابليس - ص ١٠٠ .

(٥) مقالات الاسلاميين - ج ١ - ص ٩٦ .

من خلال ما سبق رأينا كيف أجمع المؤرخون المسلمون في وصف الخرميه بتلك الاباحية لأنهم عاشوا في تلك البيئات التي كانت الخرمية فيها منتشرة ، فهم ينبئوننا بعقائدهم في هذه الناحية ، وهذا ليس مستغربا منهم لأنهم قد رضوا لأنفسهم ان يكونوا الوارثين لمذهب مزدك الذي أراد أن تعم هذه الاباحيه بلاد فارس وما حولها .

نستنتج مما سبق مايلي :

١ - أنهم كانوا يقولون بالحلول .

٢ - أنهم كانوا يقولون باباحة النساء كقول المزدكية .

٣ - قولهم بالهي النور والظلمة كقول المانويه والمزدكية

غير أنه مما يلاحظ في ذلك أنه لم يجرؤ أحد على الجهر بتلك العقيدة بل كانوا يظهرون خلاف ذلك حيث كان لهم مسجد يقومون بالصلاة فيه . . . ويظهرون الصوم ولكنهم لا يصومون ولا يصلون في السر وانما هم كانوا يفعلون كل ذلك لكي يجذبوا العامة الى تعاليمهم ، كما كانوا يخافون على أنفسهم من المسلمين ولأنهم أرادوا أن يسير عملهم في هدوء واطمئنان فيحققوا بذلك مرادهم .

٤ ـ كانوا يتخذون أسماء أهل البيت وحبهم وسيلة يتذرعون بها لنشر مبادئهم وأفكارهم .

٥ ـ يضاف الى ما سبق أنه قد كانت لهم بعض العادات الحسنة ، نبعضها منها خلقية اجتماعية منها التنظيف والطهارة وأفعال الخير وعدم التعرض لأحد بالأذى مالم يتعرض لهم ، والمواساة وترك الاستبداد ، وملاطفة الناس وهم فى هذا انما أرادوا نشر دعوتهم وقد اكتسبوا هذا من تعاليم الاسلام التى كانت منتشرة بينهم .

أما ما كان من عاداتهم القبيحة المرذولة فان الواحد منهم اذا أضاف شخصا لم يمنعه من شىء يلتمسه كائنا ماكان ، كذلك الانهماك الشديد والمبالغة فى الشهوات والملذات واتخاذ الأعياد موسما للفجور والفساد وما كان هذا كله الا انطلاقا من كفرهم بالاسلام وعدم التزامهم بأى دين سماوى لأن كل الأديان اجمعت على تحريم الزنا ولكنهم قد كفروا بالدين وانطلقوا وراء شهواتهم فكانوا فى البيئة الاسلامية كالوباء الذى يقضى على كل من أصابه .. من هنا انتدب العلماء والخلفاء أنفسهم للرد عليهم ورأوا هذا أولى أنواع الجهاد فى سبيل الله .

أماكنهم

يقول المسعودى فى هذا[1] : (والخرميه ببلاد خراسان والرى واصبهان واذربيجان وكرج[2] أبى دلف والبرج الموضع المعروف بالرذ والود سنجان ثم ببلاد الصيروان والصيمر والصيمرة وأريوجان[3] من بلاد ما سبذان وغيرها من تلك الأمصار ، وأكثر هؤلاء فى القرى والضياع[4] .)

حركاتهم

لقد كانت حركات الخرميه ضد الدين الاسلامى كثيرة كما أن حملاتهم وثوراتهم ضد الحكم العباسى أطول من حملات غيرهم من الخارجين على الدولة الحاكمة . والحقيقه أن السؤال الذى يفرض نفسه الآن هو : لماذا ظهرت هذه الحركات الايرانيه الخرميه بهذا العنف المسلح بعد أكثر من قرن ونصف من تأسيس الدولة العربية الاسلامية وفى العصر العباسى بالذات ؟

والجواب : ان الامور الاعتقاديه اذا تأصلت لا يمكن ان تموت بسرعه بل هى تعيش فى النفوس يتوارثها الأبناء من الآباء ويورثها الأبناء للاحفاد وهكذا تبقى تنتقل من جيل الى جيل حتى تجسد

(١) بلاد واسعة ،أول حدودها مما يلى العراق وآخر حدودها مما يلى الهند (انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .)

(٢) مدينة جيده فى كورة ماسبذان عن يمين حلوان للقاصد الى همذان . (انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان ، ج ١ - ص١٦٧) .

(٣) مدينه بين همذان واصبهان (انظر ياقوت الحموى ،معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٤٦) .

(٤) مروج الذهب -ج ٣ -ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

الفرصة لظهورها عند نقطة ضعف معينه وعند ذلك تظهر فجأة كالبركان ، هذا ما نستطيع به تعليل تلك الحركات التي كانت تظهر على فترات متعدده متباعدة أحيانا وتقاربه أحيانا أخرى .

وسوف اكتفى هنا بذكر ثلاث حركات من تلك الحركات الايرانيه الخرميه لكي يتضح لدى القارئ مدى ذلك العنف الذى كان يتأجج في نفوسهم ضد الاسلام ودولته .

ففي سنة ١٦١ هـ ، نشبت في جرجان حركه خرميه تعرف باسم (المحمره) بقيادة عبد القهار ، حيث انتهز هؤلاء فرصة اضطراب الدولة بحركة المقنع آنذاك فاتحدوا مع الخرميه المجاورين لهم ، ولكن توجه اليهم عمرو بن العلاء بعد أن قدم من طبرستان ، وحاربهم واستطاع أن يقضي على حركتهم في مهدها .[1]

وفي سنة ١٩٢ (تحرك الخرميه بناحية أذربيجان ، فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فارس ، فأسر وسبى ، ووافاه بقرماسين ، فأمر بقتل الأسارى وبيع السبى .)[2]

---

(١) انظر فاروق عمر - التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين - ص ١٩٩ .

(٢) الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٨ - ص ٣٣٩ .

وفى سنة ٢١٨ ، .دخـل (جماعة كثيرة من أهـل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان ومهرجسا نقذ فى دين الخرميه ، وتجمعوا ، فعسكروا فى عمل همذان ، فوجه المعتصم اليهم عساكر ، فكان آخر عسكروجه اليهم عسكروجهه مع اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، وعقد له على الجبال فى شوال فى هذه السنة ، . . . . . وقتل فى عمل همذان ستين ألفا ، وهرب باقيهم الى بلاد الروم .)[1]

فقد كانت نهاية سلسلة هذه الحركات الخرميه حركة بابك الخرمى ، وقد كانت من أكبر الحركات الخرمية التى قامت فى العصر العباسى الأول كما سيتضح ذلك فيما يأتى :

---

(١) المرجع السابق - نفس الجزء - ص ٦٦٨ .

الحركة البابكية الخرمية :

وهذه الحركة تابعة لبابك الخرمي [(١)] ، الذى كان ابتداء خروجه سنة ٢٠١ هـ حيث خرج على الدولة وهرب من جيوش السلطان وقتل من قواده جماعة ، فلما افضى الأمر الى المعتصم نظر الى هذه الطائفة بعين الناقد البصير والسياسي المحنك والقائد الخبير بالحروب ، فأدرك مدى خطورة هذه الطائفة فوجه اليها جل اهتمامه فأعد لهم من المال والسلاح والرجال لمحاربتهم والقضاء عليهم بل القضاء على هذه الفتنة الكبرى التي شغل بها المسلمون زمنا طويلا ، فوجه اليهم المعتصم أبا سعيد محمد بن

---

(١) اختلف المؤرخون في أصل بابك، وهذا ابن النديم يروى عن واقد ابن عمرو التميمي ، حيث قال : كان أبوه رجلا من أهل المدائن . دهانا ، نزع الى ثغر اذربيجان فسكن قرية تدعى بلال أباذ من رستاق ، وكان يحمل دهنه في وعاء على ظهره ويطوف في قرى الرستاق ، فهوى امرأة عوراء وهي أم بابك ..... ثم ان ذلك الدهان رغب الى أبيها فزوجه منها فأولدها بابكا ، ... واقبلت أم بابك ترضع للناس بأمره حتى بلغ عشر سنين من عمره ، وقيل خرجت ذات يوم ترعى فوجدت بابكا تحت شجرة وقد رأت تحت كل شعرة من صدره ورأسه دما فانتبه من نومه فاستوى قائما ، فقالت :بعدها علمت ان ابيتى سيكون له نبأ جليل ،وقيل ان امرأة جاويدان كانت تتعشق بابك وعندما مات جاويدان قالت لبابك : انك جلدتهم وقد مات ، ولم أرفع بذلك صوتي الى أحد من أصحابه فتهيأ لغد فاني جامعتهم اليك ومعلمتهم ان جاويدان قال : بأنه سوف يموت الليلة وان روحه سوف تخرج وتدخل في بدن بابك وتشترك مع روحه ، وانه سيبلغ بنفسه أمرا لم يبلغه أحد ، ولا يبلغه بعده أحد .... الخ .
(انظر ابن النديم - الفهرست ، ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢) .

يوسف الى أردبيل ، وأمره أن يصلح ماخرب من الحصون وغيرها حتى يسهل بذلك تتابع الامداد الى الجيوش الذاهبة لحربهم وقد استطاع أبو سعيد القيام بما كلف.

وفي خلال ذلك وجه بابك سرية[1] له في بعض غاراته وعندما سمع بذلك أبو سعيد محمد جمع الناس وخرج اليه يعترضه في الطريق ، فقتل من أصحابه جماعة وأسر منهم جماعة ، واستنقذ ما كان قد حواه ، فهذه أول هزيمة ، كانت على أصحاب بابك ،ثم وجه أبو سعيد الرءوس والأسرى الى المعتصم بالله[2].

والحقيقة ان خيانة حليفه محمد بن البعيث كان من نتائجها القبض على الكثير من رجال بابك ، ومعرفة الطرق المؤدية الى بلاده ، وطرق القتال فيها . مما سهل الأمر لجيش الخلافة من الانتصار على بابك ، والايقاع به أسيرا.

يقول الطبرى في هذا : (كان ابن البعيث مصالحا لبابك ، اذا توجهت سراياه نزلت به فأضافهم وأحسن اليهم حتى أنسوا به ، وصارت لهم عادة ، ثم ان بابك وجه رجلان من أصحابه في سريه فنزل بابن البعيث . . . وبعث الى عصمة ان يصعد اليه في خاصته.

---

(١) قطعة من الجيش مابين خمسة أنفس الى ثلثمائة . أو هي من الخيل نحو أربعمائة (ج) سرايا (مجمع اللغة، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٤٢٩) .

(٢) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٩ - ص ١١ - ١٢ وابن الاثير الكامل - ج ٦ - ص ٤٤٧ .

ووجوه أصحابه فصعد ففداهم وسقاهم حتى أسكرهم ، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه ، وقتل من كان معه من أصحابه وأمره أن يسمى رجلا رجلا من أصحابه باسمه ، فكان يدعى الرجل باسمه فيصعد ، ثم يأمر به فيضرب عنقه ، حتى علموا بذلك ، فهربوا . ووجه ابن البعيث بعصمة الى المعتصم - وكان البعيث أبو محمد صعلوكا من صعاليك ابن الرواد - فسأل المعتصم عصمة عن بابك فأعلمه طرقها ووجوه القتال فيها ثم لم يزل عصمة مجوسيا الى أيام الواثق .)(1)

وقد يكون السبب الذى دفع ابن البعيث الى خيانة بابك انه ربما يكون قد استشعر بدنو أجله لأنه قد رأى مدى الفشل الذى وصل اليه بسبب هزيمته أمام جيوش الخليفة المعتصم فأراد بذلك التقرب من الخليفة أو قد يكون الدافع الى ذلك انه أراد النكاية ببابك ، وعندما علم المعتصم طرق بلاد بابك وطرق القتال فيها ، جهز جيشا وعلى رأسه الأفشين ، ولما صار الأفشين الى برزند عسكر بها ، ورمم الحصون فيما بين برزند وأردبيل ثم جعل فى كل حصن شخصا يحمى السابلة والقوافل والأمداد - التى يحتاجها الجيش - وكلما صار الى أبى سعيد أحد من الجواسيس

---

(1) تاريخ الامم والملوك - ج ٩ - ص ١٢ - وانظر ابن الاثير - الكامل - ج ٦ - ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

وجهوا به الى الافشين . فكان الأفشين لا يقتل الجواسيس ولا يضربهم ، ولكن يهب لهم ويصلهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم فيضاعفه لهم ، ويقول للجاسوس : كن جاسوسا لنا[1] ، وعندما أعد الأفشين جيشه على هذا النحو أقام ببرزند ثم لم يلبث أن وقعت بينه وبين بابك وقعات ، ففي سنة ٢٢٠ هـ التقى الجيشان بمكان يقال له أرشق[2] ، حيث قتل الأفشين من أصحاب بابك خلقا كثيرا ، قيل أكثر من ألف ، وهرب بابك الى موقان[3] ، ثم شخص منها الى مدينته التي تدعى بالبذ حيث أخذ هناك يبعث بسراياه للاغارة على القوافل التي كانت ترسل مددا لجيوش الخلافة[4] . حيث أوقعت سراياه في تلك السنة بقافلتين احداهما كانت قادمة من خش حيث خرج اصبهبذ بابك ، فأخذ القافلة ، وقتل جميع أهل القافلة وانتهب متاعهم ، فقحط عسكر الأفشين من أجل تلك القافلة ،

---

(١) انظر الطبري - تاريخ الامم والملوك - ج ٩ - ص٢ ، ١٣ ، وابن الأثير - الكامل ج ٦ - ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢) ارشق : جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان - ج ١ - ص٢ ١٥) .

(٣) موقان : ... قال ابن الكلبي : موقان وجيلان وهما أهل طبرستان ... ويجوز ان يجعل جمعا للموق وهو الحمق أو ولاية بها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي فأكثر أهلها منهم وهي باذربيجان - يمر القاصدين من أردبيل الى تبريز في الجبال (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ - ص ٢٢٥) .

(٤) انظر الطبري - تاريخ الامم والملوك - ج ٩ - ص ١٣ - ١٤ . - وابن كثير البداية والنهاية - المجلد الخامس - ج ١٠ - ص ٢٨٣ .

التى أخذت ، وأما القافلة الأخرى فكانت قادمة من جهة المراغه فخرجت عليهم أيضا سريه لبابك فأستباحوها عن آخرها بجميع ما فيها وأصاب الناس بعد ذلك ضيق شديد .[(١)]

وفى سنة ٢٢١ هـ التقيا فى ناحية هشتادسر ، فهزم جيش الافشين[(٢)] أما الموقعة الثالثة فكانت فى سنة ٢٢٢ هـ بين أصحاب الأفشين وآذين قائد بابك حيث أخذ فيها نساء وعيال قائد بابك أسرى .[(٣)]

وبعد تلك الوقعات التى دارت بينهما أراد الأفشين الزحف الى البلاد التى ينزل بها بابك فأعد الجيش والسلاح للقضاء عليه والاستيلاء على تلك المدينة التى فر هاربا اليها .

وفى أثناء ذلك يذكر لنا الطبرى انه قد دار حديث بسيط بين الأفشين وبابك عرض فيه الأفشين على بابك الطاعة وان يسلم نفسه ولكنه رفض ذلك العرض .

يقول الطبرى : (فلما نظر بابك الى أصحابه قد احدق بهم خرج من طرق البذ ، من باب مما يلى الأفشين ، يكون بين هذا

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٩ - ص ١٦ .
(٢) انظر المرجع السابق - ص ٢٣ .
(٣) انظر المرجع السابق - ص ٣٠ .

الباب وبين التل الذى عليه الأفشين قدر ميل . فأقبل بابك في جماعة معه يسألون عن الأفشين ، فقال لهم أصحاب أبى دلف : من هذا ؟ فقالوا : هذا بابك يريد الأفشين ، فأرسل أبو دلف الى الأفشين يعلمه ذلك ، فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك ، فنظر اليه ثم عاد الى الأفشين ، فقال : نعم هو بابك ، فركب اليه الأفشين ، فدنا منه حتى صار فى موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة فى ناحية آذين ، فقال له : أريد الأمان من أمير المؤمنين ، فقال له الأفشين : قد عرضت عليك هذا ، وهو لك مبذول متى شئت ، فقال : قد شئت ، الآن على أن تؤجلنى أجلا أحمل فيه عيالى ، وأتجهز فقال له الأفشين : قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتى وأنا أنصحك الساعة ، خروجك اليوم فى الأمان خير من غد ، قال : قد قبلت أيها الأمير ، وأنا على ذلك ، فقال له الأفشين : فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك . قال : نعم ، أما فلان وفلان فهم على ذلك التل ، فمر أصحابك بالتوقف) .[1]

ويشير قول الأفشين (نصحتك غير مرة ....) الى أن بابك ربما أنه قد تقابل مع الأفشين غير هذه المرة ، حيث طلب منه الاستسلام والطاعة ثم يعطى مقابل ذلك الأمان ولكنه رفض ، وهاهو الآن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - ج ٩ - ص ٤٣ - ٤٤ .

يعرضها عليه مرة أخرى ولكن يقابل ذلك من بابك بالرفض لأنه ربما يطمع فى بعض المساعدات التى ربما قد تفد اليه من امبراطور الروم ، هذا على حسب مافهمناه من خلال ماجرى بينه وبين الأفشين .

وعندما وجد بابك نفسه محاصرا وان بلاده قد سقطت فى يد الأفشين وأنه لا سبيل له من النجاة منهم فر الى أرمينيه ومعه بعض من أتباعه وبناته وزوجاته وأخوه عبدالله بعد ان غيروا هيئتهم وملبسهم حتى لا يستطيع أحد أن يتعرف عليهم فى الطريق فيدل عليهم .

وفى تلك الأثناء بعث المعتصم كتابا مختوما بالذهب ، فيه (أمان) لبابك حيث بعثه الأفشين الى بابك مع رجلين من أصحابه من الذين كانوا قد وقعوا فى الأسر وكان من بين هؤلاء الأبن الأكبر لبابك الذى أرسل أيضا معهما كتابا يعلم فيه أباه الخبر(ويسأله أن يصير الى الأمان ، فهو أسلم له وخير .فدفعا اليه كتاب ابنه فقرأه ، وقال: أى شىء كنتم تصنعون ؟ قالا : أسر عيالاتنا فى تلك الليلة وصبياننا ، ولم نعرف موضعك فنأتيك ، وكنا فى موضع تخوفنا ان يأخذونا ، فطلبنا الأمان ، فقال للذى كان الكتاب معه

هذا لا أعرفه ولكن أنت يا ابن الفاطة ، كنت اجترأت على هذا
أن تجيئني من عند ذاك ابن الفاطة ، فأخذه وضرب عنقه ،
وشد الكتاب على صدره مختوما ، ثم قال للآخر : اذهب وقل
لذاك ابن الفاطة - يعني ابنه - حيث يكتب الي ، وكتب اليه
لو أنك لحقت بي واتبعت دعوتك حتى يجيئك الأمر يوما كنت ابني
وقد صح عندي الساعة فساد أمك الفاطة . يابن الفاطة
عسى أن أعيش بعد اليوم قد كنت باسم هذه الرياسة وحيثما
كنت أو ذكرت كنت ملكا ، ولكنك من جنس لا خير فيه ، وأنا
أشهد أنك لست يابني ، تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير
أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل .)[1]

وهكذا رفض ذلك الأمان وظل على حالته حتى وقع تحت يد
سهل بن سنباط أحد بطارقة أرمينيه ،الذى أرسل الى الأفشين يخبره
بالأمر أو حتى يأتي للقبض على بابك الذى مازال تحت قبضته
فأرسل اليه الأفشين رجلين من رجاله وأخذ بابك معهما الى
الأفشين وسلماه اياه ببرزند في عشر من شوال سنة ٢٢٢هـ فأخبر
الأفشين المعتصم بذلك فسر المعتصم لذلك النصر الذى احرزه ضد
ذلك الزنديق ، وعندما مثل بابك بين يديه قام الخليفة فسجد شكرا

---

(١) الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٩ - ص ٤٥ .

لله على ذلك النصر.[1]

يقول **الطبرى** : فأمر المعتصم السياف نود بقطع يديه ورجليه ثم يذبحه وشق بطنه وأنه أمر بأن يفعل بأخيه عبدالله مثل مافعل ببابك.[2]

أما **المسعودى** فانه يقول : (أنه لما أتى ببابك للقتل قال المعتصم : جردوه فسلبه الخدام ماعليه من الزينة ، وقطعت يمينه وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلث برجليه وهو يتمرغ فى النطع فى دمه - وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب فى أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت الى قوله - وأقبل يضرب بما بقى من زنديه ، وأمر السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بجز لسانه وصلب أطرافه مع جسده فصلب ثم حمل الرأس الى مدينة السلام ونصب على الجسر ، وحمل على خراسان بعد ذلك يطاف

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٩ - ص ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ والمسعودى - مروج الذهب - ج ٤ - ص ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - وابن كثير البداية والنهاية - المجلد الخامس - ج ١٠ - ص ٢٨٢ - ٢٨٣ وابن الأثير - الكامل - ج ٦ ص ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٥ والحنبلى شذرات الذهب - المجلد الأول - ج ٢ - ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٨ - ص ٥٣ .

به في كل مدينة من مدنها ، وكورها لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظم شأنه وكثرة جنوده واشرافه على أزالة ملك وقلب ملة وتبديلها ، وحمل أخوه عبدالله مع الرأس الى مدينة السلام ، ففعل به اسحاق بن ابراهيم أميرها مافعل بأخيه بابك بسامرا ، وصلبت جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامرا وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف بخشبة بابك .) (١)
وبذلك كانت نهاية بابك الخرمي .

فشل هذه الحركة

ان هذه الحركة كغيرها من الحركات السابقة قامت على أساس باطل ودعت الى ماهو باطل وزخرفت ذلك في أعين العامة من الناس فأصبحوا يرونها بمنظار حسن ولكن الله يحق الحق ، ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

هذه سنة الله تعالى في هذه الحياة ، ماقام على الحق كانت نهايته النصر والثبات وماقام على باطل كانت نهايته الفشل وهذه الأخيرة هي النتيجة التي آلت اليها هذه الحركة البابكيه .

أيضا هناك بعض العوامل التي ساعدت على فشل هذه الحركة منها ما قام به محمد بن البعيث ضد بابك الخرمي مما ساعد الجيوش الاسلامية

---

(١) المسعودى - مروج الذهب - ج ٤ - ص ٥٧ - ٥٨ .

فى الانتصار على هذه الحركة البابكيه ، لأنه قد اطلعهم على الطرق المؤدية الى البلاد التى نزل بها بابك كما أطلعهم أيضا على طرق القتال فيها ، كذلك رجال بابك الذين كانوا يقعون تحت يد الأفشين قد أغدق عليهم الهبات والعطايا وجعلهم جواسيس له على بابك يعلمونه كل ما يريده عنه ، أيضا هناك الثقة العمياء . التى أعطاها بابك الخرمى من اتصل بهم من رجاله مثل محمد بن البعيث وسهل بن سنباط الذى ساعد فى القبض عليه ، كل هذا كان له الأثر الكبير فى احباط هذه الحركة وفشلها ، ولا ننسى كذلك أن هذه الحركة قد قامت فى العصر العباسى الأول ، والدولة العباسية مازالت قوية .

يضاف الى ماسبق عامل أشد خطورة على الجيش المحارب الا وهو تعاطى الخمر والمسكرات فى أثناء الحرب ، وهذا ما كان يفعله ذلك الجيش التابع لبابك ، فكان له الأثر القوى فى اضعاف قوتهم ، ودب فى نفوسهم الخوف والجبن ، وسلبوا التفكير والاتزان ، كما سلبوا التحكم فى ضبط الأمور .

وكل جيش خرج لحرب هذه هى حالته ،حتما سوف تكون نهايته الهزيمة وكل حركة قامت على مثل ماقامت عليه هذه الحركة سوف يكتب لها الفشل فى النهاية وهذه كما قلت هى النتيجة التى انتهت اليها حركة بابك الخرمى .

الباب الثالث

دور العلماء في الرد على الزنادقة

تمهيد

لقد أعمى الحقد هؤلاء الزنادقة ، وطمس على أبصارهم وجعلهم يرون الباطل حقا والحق باطلا وهم انما يسعون بكل جهدهم لطمس معالم الحقيقة ، لتحقيق أغراضهم ، ونيل مطالبهم الا وهى قلب الموازين واضاعة الغاية التى وجدت من أجلها البشرية ، وجعل الحياة كلها تحللا واباحية ، ويعتقدون أن هذه هى الحياة ، ولكن لا يعلمون الى أى منقلب ينقلبون ، بئس الحياة هذه الحياة التى يكون الانسان فيها كالأنعام بل أضل ويكون المصير الهلاك والدمار فى الدارين فياليت هؤلاء القوم يفيقون ، ويعلمون ماذا هم فاعلون .؟ ولكن عميت قلوبهم فأصبحوا لا يدركون ولا يعقلون ، ويدعون أنهم أصحاب العقول ، ولو كان فيهم عقل لتوصلوا الى الحق ولكنهم ضلو ففضلوا انكار الحق وما أتاهم به من شرائع لأنهم اعتقدوا ان ذلك يقف أمامهم دون تلبية رغباتهم وشهواتهم وهم لا يعلمون أن الحق لا يحرم انسانا من متعة مباحة طالما له الحق فى ذلك وانما يهذب له ذلك فى نفسه بحيث لا تطغى الشهوة على العقل ، ويعطيه الطريق الأمثل سواء كان له أو لغيره ، لكى لا يضيع حقه ولا يتعدى على حق غيره

مع حفظ الأنساب والأعراض . ولكن هم كالبهائم أو أضل ،
لقد أصبحوا وبالا على البشرية منذ بدأ ظهورهم في
مجتمعها ، فالنفوس قد انطوت على الاخلاق الرديئة وتجردت
من السجايا الكاملة التى كان عليها أبناء هذه الأمة
وتبدلت شجاعتهم جبنا ، وصلابتهم خورا ، وجرأتهم خوفا
وصدقهم كذبا ، وأمانتهم خيانة ، ووفاؤهم غدرا ، وامتلأت
نفوسهم بالخبث ، وطوياتهم بالمكر والخديعة ، وأضحوا ذئابا
في زى الآدميين ، ووحوشا لكن على أهل الدين ، لأن الملاحدة
استطاعوا أن يصوروا لهم أن كل كمال يدعوهم اليه أهل
الدين هو نقص ، وأن كل فضيلة رذيلة . وخيلوا لهم صدق
ما يزعمون بما يحدثونهم به من أنه لا حياة غير هذه الحياة،
ودعوتهم لما فيها من اطلاق العنان للشهوة ، فهى محببة
الى النفوس لأن فيها استمالة تلك النفوس الى كل ما يستهويها
ولكن هيهات ، هيهات، فقد (جرد خلفاء بنى العباس السيف
للخارجين المنتقضين من هؤلاء الزنادقة ، وجردوا السوط
للمفسدين فى الجماعة الاسلامية الذين يريدون ان تشيع فى
المسلمين الاباحيه والخروج عن أوامر الشرع ، وحظيرة الدين
وجردوا للذين يبثون بين المسلمين العقائد الفاسدة بحجج
مموهه العلماء للرد عليهم ...)[1]

---

(١) أبوزهرة - الشافعى - ص ٥٣ .

وكان العلماء على اختلاف مذاهبهم يقفون ضد هؤلاء الزنادقة حتى المعتزلة[1] كانت لهم مواقف ضد الزنادقة . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (فالمعتزلة أولا - وهم فرسان الكلام - انما يحمدون ويعظمون عند أتباعهم وعند من يغضى عن مساويهم لأجل محاسنهم عند المسلمين بما وافقوا فيه مذهب أهل الاثبات والسنة والحديث ، وردهم على الرافضة بعض ما خرجوا فيه عن السنة والحديث : من امامة الخلفاء وعدالة الصحابة ، وقبول الأخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو فى على ونحو ذلك .)[2]

ولقد قرب خلفاء بنى العباس هؤلاء العلماء فأدنوهم من مجالسهم وفتحوا لهم باب قصورهم . ولكن ليس كل خلفاء بنى العباس سواء فى خدمة الدين ، فقد كان منهم من خدم الدين كالمهدى والرشيد ،

---

(١) فرقة من علماء الكلام يرجع أصلها الى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وكان سبب تسميتهم بذلك ماذكر عنهم أن واصلا وعمرو بن عبيد اعتزلا حلقة الحسن واستقلا بأنفسهما وذلك عندما دخل شخص على الحسن البصرى فسأله عن صاحب الكبيرة هل هو مؤمن أم كافر ، وقبل أن يجيب الحسن أجاب واصل وقال : ان صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين ليس بمؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما يقوله على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل وسموا بالمعتزلة كما أن لهم أصولا خمسة ، لا يقال عن الانسان معتزلى الا اذا أقر بها وهى : العدل والتوحيد ، والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
انظر ابن المرتضى ، المينه والأمل ، ص ٣) .

(٢) مجموع الفتاوى - ج ٤ - ص ١١ - ١٢ .

ومنهم من كان سببا فى ترجمة الكتب[1] ـ فانتشرت البدع ـ مثل المأمون ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (وتجد الاسلام والايمان كلما ظهر وقوى كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى ، وان ظهر شىء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك ، مثل دولة المهدى ، والرشيد ، ونحوهما ممن كان يعظم الاسلام والايمان ، ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين . كان أهل السنة فى تلك الأيام أقوى وأكثر ، وأهل البدع أذل وأقل . فان المهدى قتل من المنافقين الزنادقة من لا يحصى عدده الا الله ، والرشيد كان كثير الغزو والحج .

وذلك انه لما انتشرت الدولة العباسية وكان في انصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (الفتنة هاهنا)[2] ظهر حينئذ كثير من البدع ، وعربت أيضا اذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم من المجوس الفرس ، والصابئين الروم ، والمشركين الهند ـ وكان المهدى

---

(١) كان المأمون مهتما بالفلسفة فأرسل الرسل الى ملك الروم وبعد محاولات جرت بينهما سمح ملك الروم بهذه الكتب فجاءت رسل المأمون بطرائف الكتب وغرائب الصفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ثم أمر بنقل ماتحتويه هذه الكتب الى العربية .
(انظر ابن النديم ـ الفهرست ، ص ٣٤٠) .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الفتن باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " الفتنة من قبل المشرق " ج ١٣ ـ ص ٤٥ . وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفتن المجلد التاسع ـ ج ١٨ ـ ص ٣١ . وأخرجه الترمذى فى السنن ـ كتاب الفتن ـ باب ٧٩ ـ ج ٤ ـ ص ٥٣٠ . بلفظ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال : " هاهنا أرض الفتن وأشار الى المشرق " قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح .

من خيار خلفاء بني العباس ، وأحسنهم ايمانا وعدلا وجودا فصار يتتبع المنافقين الزنادقة كذلك . وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهدا للصلوات في أوقاتها من بني أمية ، فان أولئك كانوا كثيري الاضاعة لمواقيت الصلاة ، كما جاءت فيهم الأحاديث : (سيكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها ، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة)(1) . لكن كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة ، وكانت الشريعة أعز وأظهر وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم .

وفي دولة (أبي العباس المأمون) ظهر (الخرميه) ونحوهم من المنافقين وعرب من كتب الأوائل المجلوبه عن بلاد الروم فانتشرت بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة .

فلما ظهر ماظهر من الكفر والنفاق في المسلمين ، وقوى ماقوى من حال المشركين وأهل الكتاب ، كان من أثر ذلك ماظهر من استيلاء الجهمية ،

---

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند -ج ٦ -ص ٧ بلفظ عن ابن امرأة عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "سيكون امراء يشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها ثم اجعلوا صلاتكم معهم تطوعا " .
وأخرجه الدارمي في السنن - كتاب الصلاة - باب الصلاة خلف من يؤخر الصلاة عن وقتها - ج ١ -ص ٢٢٤ .
بلفظ : صل الصلاة لوقتها ، واجعل صلاتك معهم نافلة .

والرافضة ، وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفه ، وذلك بنوع رأى يحسبه صاحبه عقلا وعدلا ، وانما هو جهل وظلم اذ التسوية بين المؤمن والمنافق والمسلم والكافر أعظم الظلم . وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل ، فتولد من ذلك محنة الجهمية ، حتى امتحنت الأمة بنفى الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته ، وجرى من محنه الامام أحمد وغيره ماجرى مما يطول وصفه .)[1]

وبذلك نجد كل العلماء تقريبا قد تعاونوا فى الرد على الزنادقة فان أئمة السلف مثل أبى حنيفه وأحمد بن حنبل والشافعى وغير هؤلاء كانت لهم المواقف المشهورة فى هذا الرد .

ويعبر المسعودى هنا عن هذه المناظرات التى قامت بين العلماء والزنادقة حيث يقول : (وماجرى لنا من المناظرات مع من شاهدنا منهم فى هذه المواطن وما ينتظره الجميع فى المستقبل من الزمان من عود الملك فيهم ومن خلع فى الاسلام منهم وظهر من عهد الهرمزان الذى قتله عبيد الله ابن الخطاب ، عند وفاة أبيه عمر الى وقتنا هذا وغير ذلك .)[2]

ولما كانت للخلفاء العباسيين فى العصر العباسى الأول جهود علمية فى هذا المجال فقد اعتبرناهم من ضمن العلماء الذين دافعوا ضد الزنادقة وهذا ماسوف يتبين لنا من خلال الفصل الآتى . ولن نذكر من الخلفاء الا ماكان له دور بارزاً أما من لم نجد له هذا الدور كالسفاح فاننا لن نذكره .

---

(١) الفتاوى - ج ٤ - ص ٢٠ - ٢١ .
(٢) التنبيه والاشراف - ص ٣٠٦ .

الفصل الأول

الخلفاء [١]

---

(١) تقدم بعض هذه الجهود أثناء الكلام عن الحركات.

المنصور

ان نشاط الزنادقة كان ضعيفا أيام الخليفة المنصور[(١)] ، وعلى الرغم من هذا فانه لم يهمل أمرهم ، بل حاول قتل كل من كان يخشى خطره على الدين كابن المقفع . وحبس محمد بن سليمان عامل المنصور بالكوفة عبد الكريم بن أبيّ بتهمة الزندقة ثم قتله .

وقضى على أبي مسلم الخراساني حتى لا يتمادى في أمره ، فينسلخ من الخلافة والاسلام ، خاصة وقد قامت في عهده بعض حركات الزنادقه مثل الحركة البيهافريديه[(٢)] ، ولكن بعد قتله بدأت حركات الزندقه في الظهور في صورة ايجابية وان كانت حركات صغيرة كحركة سنباذ[(٣)] الذى قضى عليه الخليفه المنصور بواسطة قائده جهور بن مرار العجلي وحركة سنباذ الذى ادعى النبوة والذى استطاع المنصور القضاء عليه أيضا بواسطة قائده خازم بن خزيمه[(٤)] كما استطاع القضاء على الراونديه الذين خرجوا ضده

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي ولي الخلافة وهو ابن ٤٢ سنة وأمه بربريه يقال لها سلامه ومولده بـ (الشراة في ذي الحجة سنة ٩٥ .
(انظر ابن قتيبه ، المعارف ، ص ٣٧٧) .

(٢) جنس من المجوس ينسبون الى رجل كان يسمى به أفريد رد ينان خرج برستاق خواف من رساتيق بنيسابور بقضية سراوند بعد ظهور الاسلام في أيام أبي مسلم وجاء بكتاب وخالف المجوس في كثير من شرائعهم وتبعه خلق منهم وخالفه جمهورهم .
(الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٢٦) .

(٣) من أتباع أبي مسلم وقد كان مجوسيا ، من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أهن (انظر الطبري - تاريخ الأمم ، ج ٧ - ص ٤٩٥) .

(٤) انظر مصطفى بهجت - التيار الاسلامي - ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وذلك بواسطة قادته الأشداء الذين وقفوا بجانبه ضد هذه الحركة الهدامه .

لقد بلغ من شدة حرصه بأمر هؤلاء الزنادقه أنه أوصى أبنه المهدى بتتبعهم والقضاء عليهم حيث قال له : .... ودين الله القيم فاحفظه وحطه وصنه .....

وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم .... (1)

---

(1) انظر مجاهد مصطفى بهجت ـ التيار الاسلامى ـ ص ١١٠ - ١١١ وشاكر مصطفى ـ دولة بنى العباس ـ ج ٢ ـ ص ٢١٩ - وعبد المنعم ماجد ـ القرن الذهبى ـ ص ١٦٥ .

المهدي

لقد نظر الخليفه المهدى[1] الى هؤلاء الملاحده فى حزم وشده وأمعن فى قتلهم بعد قيام الحجة عليهم ، حتى أنه قد اضطر من كان بالكوفة منهم أن يظهر خلاف ما يبطن وأن يخضع لسلطان الدين ، ولقد أنشأ لهم المهدى دائرة تعنى بالبحث عنهم والقبض عليهم فى كل مكان ، ومحاكمتهم ، أى تحول الأمر الادارى الذى أصدره الى نوع من الاضافه على النظام الادارى للدولة اذ أوجد (ديوانا) خاصا مركزيا لحرب الزنادقة جعله أحد أجهزة الدولة الاسلامية بمعنى أنه اعتبر هذا العمل جزءً أساسياً من مهام النظام وعلى رأس هذا الديوان (عمر الكلواذى) وسمى "صاحب الزنادقه" أو "عريف الزنادقه" وقد ساعده فى مهمته تلك هيئة من كبار رجالات العرب الذين عرفوا بتدينهم ، ولقد استطاع (عمر الكلواذى) أن يقبض على يزيد ابن الفيض كاتب الخليفة المنصور ، ولقد اعترف بزندقته فأمر الكلواذى بسجنه وعندما مات (الكلواذى) ولى مكانه حمدويه وهو محمد بن عيسى ، وكان هذا الديوان يباشر عمله تحت اشراف

---

(١) يكنى أبو عبد الله ، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرى ، واستخلف وهو ابن ثمان وثلاثين سنه ، وولى عشر سنين وشهرا ومات بقرية يقال لها (الرذ) من (ماسيذان) فى محرم سنة ١٦٩ ، وقد بلغ من السن ثمانية وأربعين عاما وقبر هناك (انظر ابن قتيبه ، المعارف ص ٣٧٩ ، ٣٨٠) .

الخليفه الذى كان كثيرا ما يتولى مكافحة الزنادقة بنفسه وكان يخضع من يقبض عليه بالتهمه الى نوع من المحاكمه حتى اذا أقر أو ثبتت عليه التهمة بالامتحان أو بالشهادة عرضت عليه التوبه فان أبى كان القتل هو الجزاء الرادع[1] وهذا على عكس مايقوله البعض من أن الخليفه يأخذ أو يقتل بالتهمه .

ولم يكتف المهدى بهذا بل نجد أنه أنشأ بالمقابل هيئه علميه لمناظرة الزنادقه وتأليف الكتب فى الرد عليهم وكشف مراميهم واقامة الحجج والبراهين عليهم وازالة شبهة هؤلاء الملاحده وتوضيح الحق للشاكّين من عامة الناس حتى لا يتبعوهم فى هذا الأمر ظنا منهم أنهم على حق . وقيل بأنه أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقه والملحدين فصنفت فى أيامه[2] ، كما يذكر المؤرخون أن المهدى أمر بكتابة أسماء الفرق الزائغة عن الدين ليعرفوا فى الناس ، وبالفعل قامت هناك مناظرات علميه بين هؤلاء الزنادقه وبعض المتكلمين كالمعتزله للرد على الزنادقه .

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٨ - ص ١٦٧ - وأحمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ١٤ وحسن ابراهيم حسن - التاريخ السياسى - ج ٢ - ص ٢٢٦ وجابر عبدالعال - حركات الشيعه - ص ٧٧ وشاكر مصطفى - دولة بنى العباس - ج ٢ - ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ومجاهد بهجت - التيار الاسلامى - ص ١١٢ وعبد المنعم ماجد - القرن الذهبى - ص ١١٦ .

(٢) انظر جابر عبدالعال - حركات الشيعة - ص ٨٧ .

لقد بلغ اضطهاد الزنادقه ذروته في خلافه المهدي والهادى وزمن الرشيد[١] ، ففى سنة ١٦١ وجه المهدى لقتال المقنع ومحاربته عددا كبيرا من قواده،من هؤلاء معاذ بن مسلم وعقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وليث مولى المهدى ، كذلك أمر سعيد الحرشى لمحاربته[٢] .

وفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٧ جد المهدى فى تتبع الزنادقه والبحث عنهم[٣] ، وحين وصل المهدى الى حلب علم بوجود زنادقه هناك ، فبعث عبد الجبار المحتسب لجلب من بتلك الناحيه من الزنادقه فأتاه بهم وقد كان بدابق فقتل جماعة منهم ممن ثبتت عليهم التهمة وصلبهم ، أما كتبهم فقد قطعت بالسكاكين[٤] . كما حاول المهدى القضاء على المقنع حيث أرسل اليه أحد قادته (الحرشى) ولكن المقنع كانت نهايته بنفسه[٥] .

---

(١) انظر زاهيه قدورة - الشعوبية وأثرها - ص ١٥٢ .
(٢) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٨ - ص ١٣٥ .
(٣) انظر نفس المرجع السابق ص ١٦٥ والسيوطى - تاريخ الخلفاء ص ١٧٣ .
(٤) انظر حسن ابراهيم حسن - التاريخ السياسى - ج ٢ - ص ١١٦ ومجاهد بهجت - التيار الاسلامى - ص ١١١ - وشاكر مصطفى دولة بنى العباس - ج ٢ - ص ٢٢٢ .
(٥) انظر عبد المنعم ماجد القرن الذهبى - ص ١٧٣ - ١٧٤ .

ورغم هذا فان المهدى كان السبب الذى جعله الله للقضاء على المقنع لأنه لولا يأس هذا الأخير من النجاه مافعل بنفسه ما فعل ، كما أنه ذكر أيضا أن المهدى أتى بابن لداود بن على زنديقا ، وأتى بيعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس ابن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب زنديقا فى مجلسين متفرقين حيث أقر كل واحد منهما بالزندقه ، ولكن يعقوب بن الفضل قال : أقربها بينى وبينك وامتنع من اظهار ذلك أمام الناس ، وقال : حتى لو قرضتنى بالمقاريض ، فقال له : ويلك لو كشفت لك السموات وكان الأمر كما تقول كنت حقيقيا ان تغضب لمحمد ، ولولا محمد صلى الله عليه وسلم من كنت ؟ هل كنت الا انسانا من الناس وأقسم بالله أنه لو لم يجعل لله عليه عهدا ألا يقتل هاشميا لما ناظره ولقتله ، ولكنه طلب من ابنه موسى الهادى ان يفعل ذلك حيث قال له اقسمت عليك بحقى ان وليت هذا الأمر بعد الا تناظرهما ساعة واحدة ، فقيل : ان داود بن على مات فى الحبس قبل وفاة المهدى أما يعقوب فبقى حتى مات المهدى فأرسل موسى اليه من ألقى عليه فراشا ، وأقعدت عليه الرجال حتى مات . وكان ليعقوب ولد من صلبه ، عبد الرحمن والفضل وأروى وفاطمة ، وأدخلت فاطمة وامرأة يعقوب بن الفضل يقال لها خديجه على الهادى أو على المهدى فأقرتا بالزندقه

وأقرت فاطمه أنها حامل من أبيها فضربتا على رأسيهما بشىء يقال له (الرعبوب)[1] ففزعتا منه فماتتا[2] . ومن جملة من أتهم بالزندقه عند المهدى ابن معاويه بن يسار ، حيث أرسل اليه المهدى وأحضره وسأله عن شىء من القرآن ولكنه لم يعرف ولم يجبه ، وقد كان والده قد أخبر المهدى أنه يحفظ القرآن ، فسأل المهدى والده وقد كان موجودا معه فقال : انه فارقنى منذ سنة فنسيه فأمر المهدى معاوية بن يسار أن يضرب عنقه ولكنه لم يستجب لذلك الطلب لتغلب عاطفة الأبوة عليه ، فطلب العباس بن محمد من الخليفة المهدى ان يعفى الشيخ من هذا فكلف الخليفه أحد من الحضور بأن يقتله فقتله ولكن معاويه بن يسار لزم بيته حزنا على ابنه وعلى المصير الذى سار فيه فبقى فى داره حتى مات[3] .

هكذا كان المهدى شديدا على الزنادقه ، ولم يتهاون فى أمرهم. ولقد بلغ من شدة حرصه بأمرهم أنه أوصى ابنه الهادى

---

(١) الرعوب (الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٩١) .
(٢) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ص ١٩٠ - ١٩١ - وابن الاثير الكامل - ج ٦ - ص ٨٩ .
(٣) انظر حسن ابراهيم حسن - التاريخ السياسى - ج ٢ - ص ١١٧ .

عندما قدم اليه زنديق ، فاستتابه ، فأبى أن يتوب ، فضرب عنقه وأمر بصلبه : (يابني ان صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابه - يعني أصحاب ماني - فانها فرقه تدعو الناس الى ظاهر حسن ، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخره - ثم تخرجها من هذه الى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمه ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق ، لتنقذهم من ضلال الظلمه الى هداية النور ، فارفع فيها الخشب ، وجرد فيها السيف وتقرب بأمرها الى الله لا شريك له ، فاني رأيت جدك العباس في المنام قلدني بسيفين ، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين [1])

---

(١) الطبري - تاريخ الأمم والملوك - ج ٢ - ص ٥٣ - و ج ٨ - ص ٢٢٠ وانظر ابن الأثير - الكامل - ج ٦ - ص ١٠٤ - ١٠٥ .

الهادي

عندما تولى الهادى الخلافة (١) قام بتنفيذ وصية والده المهدى التى أوصاه بها والتى وضح فيها حقيقة أمر هؤلاء الزنادقة ، ومن هنا بدأ تشدده فى محاربتهم والقضاء عليهم بل اعتبر ذلك قربة يتقرب بها الى الله ، حيث شرع فى طلبهم وتتبعهم فى الآفاق وقتل منهم خلقا كثيرا وكان فى ذلك يقتفى أثر والده المهدى وكان يقول : (والله لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك فيها عينا تطرف . (٢) وقد أمر أن يهيأ له ألف جذع وقال هذا فى شهر كذا ومات بعد شهر من ذلك .

وفى سنة ١٦٩ صلب موسى الهادى الزنادقة تنفيذا لوصية والده فقتل منهم مجموعة وقد كان ممن قتلهم يزدان بن باذان

---

(١) كانت ولايته سنة وشهرا ويكنى : أبا محمد . وأمه ،الخيزران وتوفى بـ (بغداد) يوم الجمعه ، لأربع عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ ، وقد بلغ من السن خمسة وعشرين سنة وولده كثير . (انظر ابن قتيبه ، المعارف ، ص (٣٨) .

(٢) انظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٢ - ص ٥٣ - وابن الأثير - الكامل - ج ٦ - ص ١٠٥ - وابن كثير - البداية والنهاية - المجلد الخامس - ج ١٠ - ص ١٥٧ - والسيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٢٧٩ وحسن ابراهيم حسن - التاريخ السياسى - ج ٢ - ص ١١٧ - ١١٨ وجابر عبدالعال - حركات الشيعه - ص ١٤٧ .

كاتب يقطين ، وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان ، لأنه ذكر أنه عندما حج رأى الناس في الطواف يهرولون فقال ما أشبههم الا ببقر تدوس في البيدر .

وعنه يقول العلا بن الحداد الأعمى :

أيا أمين الله في خلقه	ووارث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر	يشبه الكعبة بالبيدر (1)
ويجعل الناس اذا ما سعوا	حمرا تدوس البر والدوسر (2)

فقتله موسى ثم صلبه (3) .

---

(1) البيدر : الموضع الذي يداس فيه الطعام (الصحاح ج ٢ - ص٥٨٧)

(2) الدوسر : الدواسر - يقال : رجل دوسر ، وجمل دوسر ، وأسد دوسر . ويقال : كتيبه دوسر : مجتمعه . ومنها : دوسر : اسم كتيبه للنعمان ابن المنذر .و - الشيء القديم ، وحب دقيق اسمر مختلط بالقمح ، وهو الدحريج .
(المعجم الوسيط ، ج ١ - ص ٢٨٣) .

(3) انظرالطبري- تاريخ الامم والملوك - ج ٨ - ص ١٩٠ .

الرشيد

(أخرج ابن عساكر ابن علية قال : أخذ هارون الرشيد[1] زنديقا ، فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لم تضرب عنقي ؟ قال له : أريح العباد منك ، قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها مافيها حرف نطق به ؟ قال : فبأين انت ياعدو الله من أبي اسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا ؟)[2].

لقد خشي الرشيد من كلام قاله أحد أعمامه فظن أنه ربما يكون متأثرا بأفكار الزنادقة ، فسجنه حتى تأكد له من سلامته مما قد ظن به .

يقول محمد بن خازم : كنت أقرأ حديث الأعمش أبي صالح على أمير المؤمنين هارون ، فكلما قلت : قال رسول الله صلى الله

---

(١) هو هارون بن المهدي : يكنى أباجعفر . وأمه : الخيزران :وكان ينزل (الخلد) بـ (بغداد) في الجانب الغربي - وكانت وفاته ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ ، وقد بلغ من العمر سبعة وأربعين عاما ، وكانت ولايته ثلاثة وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما .
(ابن قتيبه ، المعارف ، ص ٣٨١ - ٣٨٢) .

(٢) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - المجلد الخامس - ج ١٠ - ص ١٦١ والسيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢٩٣ .

عليه وسلم ، قال وصلى الله على سيدى ومولاى ، حتى ذكرت
التقى آدم وموسى قال : وقال عمه - وسماه على مذهب
على - فقال : يامحمد : أين التقيا قال : فغضب هارون
وقال : من طرح اليك هذا وأمر به قال : فحبس ، وحين
دخل محمد عليه فى محبسه قال له : يامحمد والله ما هو
الا شىء خطر ببالى ، وحلف لى بالعتق وصدقة المال وغير
ذلك من مغلظات الايمان ماسمعت من أحد ....)[1]

وفى سنة ١٩٢ وجه الرشيد الى الخرميه بناحية اذربيجنسان
عبدالله بن مالك فى عشرة آلاف ، فقتل منهم وسبى وأسر ،
وأمر بقتل الأسرى وبيع السبى.[2]

---

(١) مجاهد بهجت - التيار الاسلامى - ص ١١٢ - ١١٣.
(٢) انظر ابن الاثير - الكامل - ج ٦ - ص ٢٠٨.

المأمون يعقد المحاكمات لمحاربة الزنادقة

ذكرنا لموقف المأمون من الزنادقة لا يجعلنا ننسى الموقف الآخر للمأمون وهو الجانب السيء، ذلك الموقف الذى يبدأ من نزوعه للفكر الأجنبى . ويصور شيخ الاسلام ابن تيميه هذا الموقف بما تقدم حيث يقول : (وفى دولة أبى العباس المأمون ظهر "الخرميه" ونحوهم من المنافقين ، وعرب من كتب الأوائل المجلوبه من بلاد الروم ما انتشرت بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة .

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق فى المسلمين ، وقوى ما قوى من حال المشركين وأهل الكتاب ، كان من أثر ذلك : ماظهر من استيلاء الجهميه ، والرافضه ، وغيرهم من أهل الضلال ، وتقريب الصابئه ونحوهم من المتفلسفه . وذلك بنوع رأى يحسبه صاحبه عقلا وعدلا ، وانما هو جهل مظلم ، اذ التسوية بين المؤمن والمنافق ، والمسلم والكافر أعظم الظلم ، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل ، فتولد من ذلك محنة الجهميه حتى امتحنت الأمة بنفى الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته ، وجرى من محنة الامام

أحمد وغيره ما جرى ، مما يطول وصفه.)[١] هذا هو الموقف السيء للمأمون ، ولكننا هنا نأخذ الموقف الآخر وهو محاربته للزندقة.

فقد أمر المأمون[٢] بعقد المجالس للمناظرة ، وقد أصبحت حتى المساجد مجالا للمناظرات التى تقام فيها ، وكانت تستعمل فيها الأدلة وتدور فيها المناقشات لافحام الخصم ، وقيام الحجة عليه[٣] وكان المأمون يقوم بمناظرة أفراد الزنادقه بنفسه[٤] ، فمرة سأل المأمون زنديقا فقال : (أسألك عن حرفين قط خبرنى " هل ندم مسيء قط على اساءته ؟ قال : بلى ، قال : فالندم على الاساءة اساءة أو احسان ؟ ، قال : بل احسان ، قال : فالذى ندم هو الذى أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذى أساء ، قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم.)[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى - ج ٤ - ص ٢١.

(٢) هو عبد الله بن هارون المأمون ، وأمه تسمى " مراجل " .... مات على نهر " البذندون " لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب سنة مائتان وثمانية عشر ، فحمل الى " طرسوس " ودفن بهما وكانت خلافته - منذ قتل " محمد " - عشرون سنة ، وعقبه كثير (انظر ابن قتيبه ، المعارف ، ص ٣٨٧ - ٣٩١).

(٣) هذه المناظرات اذا كانت تقدر الضروره بقصد اظهار الحق فهى مطلوبة وأما اذا كانت من النوع الآخر وهو حب الظهور فهى مذمومه.

(٤) انظر مجاهد بهجت - التيار الاسلامى - ص ١١٤ - عبد المنعم ماجد القرن الذهبى - ص ٢٦٦.

(٥) ابن قتيبه الدينورى - عيون الاخبار - المجلد الأول - ج ٢ - ص ١٥٢.

وذكر ثمامه بن أشرس قال : (بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقه ممن يذهب الى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة من أهل البصرة فأمر بحطهم اليه بعد أن سمو واحدا واحدا وعندما وصلوا أدخلوا على المأمون فأخذ يدعوهم واحدا واحدا ويسألهم عن مذهبهم فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوهم الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ، ويأمره أن يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك ليتأكد بنفسه من سلامة عقيدة هؤلاء أو عدمها).[1]

ثم يصف لنا ابن النديم احدى محاكماته مع الزنادقه عندما احضر كبار هؤلاء الزنادقه وهو يزدانبخت ،من الرى بعد أن أمنه وأخذ الفقهاء والعلماء فى اقناعه حتى يتخلى عن زندقته ولكن دون جدوى ، فانتهى ذلك الاجتماع بأن قال المأمون : أسلم يايزدانبخت ، فلولا ما أعطيناك اياه من الأمان لكان لنا ولك شأن ، فقال له يزدانبخت : نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعه وقولك مقبول ، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم ، فقال المأمون : أجل فأطلق سراحه المأمون لأنه قد أعطاه الأمان على حياته من قبل .[2]

---

(١) المسعودى - مروج الذهب - ج ٤ -ص ١٠٩ - وشاكر مصطفى دولة بنى العباس - ج ٢ -ص ٢٣٤ .

(٢) انظر ابن النديم - الفهرست - ص ٤٧٣ وحسن ابراهيم حسن التاريخ السياسى - ج ٢ -ص ١٢١ - وشاكر مصطفى - دولة بنى العباس ج ٢ - ص ٢٣٣ .

استعانة المأمون بكبار العلماء والفقهاء لحماية الدين من الزنادقة

قال يحيي بن أكثم (أمرني المأمون عند دخول بغداد أن أجمع له وجوه الفقهاء ، وأهل العلم من أهل بغداد ، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلا وأحضرتهم ، وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم ، فلما انقضى ذلك المجلس الذي جعلناه للنظر في أمر الدين ، قال المأمون : يا أبا محمد ، كره هذا المجلس الذي جعلناه للنظر طوائف ... واني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا - بتوفيق الله وتأييده على اتمامه - سببا لاجتماع هذه الطوائف على ماهو أرضى وأصلح للدين ، اما شاك فيتبين ويثبت فينقاد طوعا ، واما معاند فيرد بالعدل كرها).[1]

لقد أراد المأمون أن يكون مجلسه مجتمعا علميا تطرح فيه المسألة وتدرس حتى يتبين فيها الحق والناس أمام هذا المجمع واحد من اثنين اما شاك متحير يطلب الحق (المرتد الخرساني) وفي هذه الحالة يكون هذا المجتمع قادرا على الأخذ بيده واخراجه من الشك الى اليقين .

---

(١) أحمد أمين - ضحى الاسلام - ج ٢ - ص ٥٧ - ٥٨ .

واما معانـد (الأفشـين) قد طمس قلبـه عن الحق وهـذا لن تنفع معه الحجة فقد ختم اللـه على قلبـه وسمعـه وجعـل على بصره غشـاوة ، وهذا لا ينفـع معـه الا السيف .[1]

---

(١) ولكن الذى نأخذه على الخليفة المأمون هو كما يراه الامـام أبوزهـره حيث يقـول :
(ولكن الذى نأخذه على المأمون انه انتقل من تلك المناظـرات العلميـه الى التهديد بالأذى ، وحمل الفقهاء والمحدثـين بالقـوة على القـول بأن القرآن مخلوق ، وكان ذلك بتدبـير من وزيـره وكاتبـه أحمد بن أبى دؤاد المعتزلى ، وانهـا لسقطة ماكان لمثل المأمون ان يرضى بأن تقع فى عهده .
(ابوزهرة ، تاريخ المذاهب - ج ١ - ص ١٤٧) .

مناظرة المأمون للمرتد الخرساني

لقد ارتد في عهد المأمون خرساني ، فحمل اليه حتى وافاه وجرت المناقشة كالآتي :

قال المأمون : لأن استحييك بحق ، أحب الى من أن اقتلك بحق ، ولأن أقيلك بالبراءة أحب الى من أن أدفعك بالتهمة. قد كنت مسلما بعد أن كنت نصرانيا ، وكنت فيها أتيح[1] ، وأيامك أطول فاستوحشت مما كنت به آنسا . ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافرا ، فخبرنا عن الشيء الذى أوحشك من الشيء الذى صار لك من الفك القديم ، وأنسك الأول ، فان وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به ، والمريض من الأطباء يحتاج الى المشاورة وان أخطأك الشفاء ونبا عنك الدواء كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة وان قتلناك قتلناك بحكم الشريعة ، أو ترجع أنت في نفسك الى الاستبصار والثقه ، وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد ، ولم تفرط في الدخول في باب الحزم .

قال المرتد : أوحشني كثرة مارأيت من الاختلاف بينكم.

قال المأمون : لنا اختلافان ، أحدهما كالاختلاف في الآذان ، وتكبير الجنائز والاختلاف في التشهد ، وصلاة الأعياد ،

---

(١) أى أمكن وأثبت واعظم (أبوزهره ، تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ، ص ٢٣٧) .

وتكبير التشريق ، ووجوه الفتيا وما أشبه ذلك ، وليس هذا باختلاف انما هو تخير وتوسعه ، وتخفيف من المحنة ، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ، ومن أذن مثنى ، وأقام فرادى لم يحوب ، لا يتعايرون ولا يتعايبون ، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد ذلك تبيانا، والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا مع اجماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر فان كان الذى أوحشك هذا حتى انكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغى ان يكون اللفظ بجميع التوراه - والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات وينبغى لك الا ترجع الى لغة لا اختلاف في تأويل الفاظها ، ولو شاء ان يجعل كتبه ، ويجعل كلام انبيائه وورثة رسله لا يحتاج الى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع الينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا .

قال المرتد : أشهد أن الله واحد ، لا ند له ولا ولد ، وان المسيح عبده ، وأن محمدا صادق ، وأنك أمير المؤمنين حقا .[1]

(١) ابوزهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية - ج ١ - ص ٢٣٧ - ٢٣٨ - وانظر الطبرى - تاريخ الامم والملوك - ج ٩ - ص ١٠٧ - ١١٠ الدينورى - عيون الاخبار - المجلد الأول - ج ٢ - ص ١٥٤-١٥٥ .

المعتصم

حاول المعتصم[١] بذل جهوده من أجل القضاء على الزنادقة في عصره ، ففي سنة ٢٢٠ عقد للأفشين لمحاربة بابك[٢] الخرمي[٣] وقد استطاع الانتصار عليه ، وقد كانت الحرب قاسية بينهما ، وعندما استشعر فيها بابك الخطر على نفسه لم يكن أمامه الا أن يتنكر هو وأهله في زى أهل التجارة والقوافل ونزل موضعا من بلاد أرمينيه ، من أعمال سهل بن سنباط وهو من بطاركة الأرمن ، الذى أظهر الود لبابك في بداية الأمر ثم ما لبث أن قبض عليه وسلمه للأفشين الذى اتصل بالخليفة المعتصم وأخبره بالأمر فطلب منه أن يسيره اليه وكانت نهايته ان قطعت أطرافه[٤].

كذلك لا ننسى الحادثة الكبرى التى حدثت في عصره الا وهي (محاكمة الأفشين)[٥].

وسرد هذه الحادثة كما يلى :

---

(١) هو محمد بن هارون - يكنى (أبااسحاق) وأمه : (مارده) توفى لاحدى عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة مائتان وسبعة وعشرين ، وكانت خلافته ثمانية سنوات وثمانية عشر شهرا .
انظر ابن قتيبه - المعارف - ص ٣٩٢) .

(٢) وقد تقدم شأن بابك ص ٢٥٥ - الهامش من الرسالة .

(٣) انظر الطبرى - تاريخ الأمم - ج ٩ - ص ١٠ - ١١ .

(٤) انظر عبد المنعم ماجد - القرن الذهبى - ص ٤٠٠ - ٤٠٢ - ٤٠٦ .

(٥) انظر أحمد أمين - ضحى الاسلام - ج ١ - ص ١٤٢ - ١٤٣ .

محاكمة الأفشين

أوصى المأمون أخاه المعتصم من بعده أن يقاتل اتباع بابك الخرمي بالسيف ، وقد نفذ المعتصم الوصية ، وجرد لبابك هذا قائدا من أعظم قواده الممتازين ، وهو الأفشين (١) ، فقاتله حتى قضى عليه ولم يكن الأفشين مؤمنا بل انه كان يظهر خلاف ما يبطن من الوثنية التي كان يدين بها ، وقد حوكم بعد نصره حيث قام بمحاكمته اثنان من المعتزلة الذين تمرسوا بالمناظرة ، وكشف الحجة ، وقوة الاستدلال وهاهي المحاكمة كالتالي :

---

(١) أصله فارسي من أبناء الأمراء ، وكان اسمه خيذر بن كاوس فنعشه المعتصم واصطفاه لحسن خدمته وطاعته حتى صار بحيث وكل اليه مقاتلة بابك ... والمؤرخون يختلفون في أمره فيذكر بعضهم انه كان قد انقلب على المعتصم وعلى دولة الاسلام فأخذ يدبر المؤامرات ويدعو سرا للانقضاض على الخلافة ... ومنهم من يذكر أن القاضي أحمد بن أبي داود هو الذي كاد له عند المعتصم ومازال به حتى أخذه وصلبه وأحرقه ، ويقول التبريزي في شرح ديوان أبي تمام (لم يكن الأفشين كافرا ولا منافقا ، وانما كان رجلا من الفرس فنعشه المعتصم ، ومدحه أبو تمام بقصائده ، غير أن الحساد أفسدوا ما كان بينهما ، فذكروا للمعتصم أنه منطو على مخالفته ، وصوروه عنده بصورة المعادي له وقالوا للأفشين : ان أمير المؤمنين قد عزم على القبض عليك ، فقبضوا عليه بذلك حتى انقبض هو .... فأخذ وصلب وأحرق .
(البغدادي - الفرق بين الفرق - ص ٢٦٧) .

(كان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيات وكان الذين أحضروا (المازيار)[1] صاحب طبرستان و (الموبذ) (والمرزبان)[2] بن تركش وهو أحد ملوك السغد ورجلان من أهل السغد فدعا محمد عبد الملك بالرجلين وعليهما شياب رثه فقال لهما محمد بن عبد الملك : ما شأنكما ؟ فكشفا عن ظهورهما ، وهي عارية من اللحم ، فقال محمد بن عبد الملك للأفشين : تعرف هذين ؟

قال الأفشين : نعم هذا مؤذن وهذا امام بنيا مسجدا بأشروسنة ، فضربت كل واحد منهما الف سوط ، وذلك أن بيني وبين ملك السند عهدا وشرطا أن أترك كل قوم على دينهم وما هم عليه ، فوثب هذا على بيت كان فيه أصنامهم يعني - أهل شروسنه

---

(١) أصله فارسي ، واسمه الأصلي مازيار بن قارن بن بندار ، ودخل في الاسلام وتسمى محمدا ، وكان صاحب جبال طبرستان ، واصطفاه المأمون ، وفي سنة ٢٢٤ في عهد المعتصم أعلن العصيان بطبرستان وخلع المعتصم ، فكتب المعتصم الى عبد الله ابن طاهر بن الحسين يأمره بحربه ، فسير اليه عمه الحسن ابن الحسين فكانت له معه حروب كثيرة وما زال حتى أسره وحمله الى سامرا فأقر على الأفشين أنه حرضه على الخروج والعصيان وزعم أنهما - هو والأفشين - كانا اجتمعا على مذهب من مذاهب الثنويه والمجوس فضرب المازيار بالسوط حتى مات بعد ان شهر وصلب الى جانب بابك .
(البغدادي الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

(٢) صاحب الثغر لان (المرز) هو الثغر بلغتهم (وبان) القيم وكانت المرازبه أربعة للمشرق والمغرب والشمال والجنوب كل واحد على ربع المملكة . (المسعودي ، التنبيه ، ص ٩١) .

فأخرجا الأصنام واتخذاه مسجدا ، فضربتهما على هذا ألفا ألفا
لتعديهما ومنعهما القوم من بيعتهم .
فقال (محمد) ما كتاب عندك زينته بالذهب ، والجوهر والديباج
فيه الكفر بالله ؟ قال الأفشين : هذا كتاب ورثته عن أبي
فيه أدب من آداب العجم ، وما ذكرت فيه من الكفر ، فكنت
استمتع منه بالأدب وأترك ماسوى ذلك ، ووجدته محلى ، فلم
تضطرني الحاجة الى أخذ الحلية منه ، فتركته على حاله ،
ككتاب كليله ودمنه وكتاب مزدك في منزلك . فما ظننت أن
هذا يخرج من الاسلام . ثم تقدم الموبذ ، فقال ان هذا كان
يأكل المخنوقه ، ويحملني على أكلها ، ويزعم أنها أرطب لحما
من المذبوحه ، وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء يضرب وسطها
بالسيف ، ثم يمشي بين نصفيها ، ويأكل لحمها ، وقال لي يوما
اني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه ، حتى أكلت
لهم الزيت ، وركبت الجمل ، ولبست النعل ، غير اني الى هذه
الغاية لم تسقط عني شعرة كناية عن أنه لم يختتن ".
فقال الأفشين : أخبرني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام ، أثقة
هو في دينه ؟ (وكان الموبذ مازال على مجوسيته ، ولم يسلم

الا في عهد المتوكل) .

قالوا : لا

قال الأفشين : فما معنى قبولكم شهادة من لاتثقون به ، ولا تعدلونه ، ثم أقبل على الموبذ فقال له : أكان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تتطلع على منها وتعرف أخبارى ؟

قال : لا ، قال : أفليس كنت أدخلك منزلي وأبثك سرى ، وأخبرك بالأعجميه وميلى اليها والى أهلها ؟

قال نعم . قال : فلست بالثقة في دينك ، ولا بالكريم في عهدك اذا أفشيت على سرا أسررته اليك ، ثم تنحى الموبذ وتقدم (المرزبان بن تركش)

فقالوا للأفشين : هل تعرف هذا ؟

فقال الأفشين : لا ... فقيل للمرزبان : أتعرف هذا؟ قال : نعم ... هذا الأفشين .

قالوا له : هذا المرزبان .

قال المرزبان له : يامخرق كم تدافع عن نفسك وتموه ؟

قال الأفشين : ياطويل اللحيه ماتقول ؟

فقال المرزبان : كيف يكتب اليك أهل مملكتك ؟

قال الأفشين : كما كانوا يكتبون الى أبى وجدى .

قال المرزبان : فقل ...

قـال الأفشـين : لا أقـول ..

فقـال المـرزبـان : أليسـوا يكتبـون اليك بكذا وكذا (بالأشروسـينيـة) ؟

قـال الأفشـين : بلـى ..

قـال المرزبـان : أفليس تفسيره بالعربيه الى اله الآلهه من عبده فلان بـن

فـلان .... ؟

قـال الأفشـين : بلـى ...

قـال محمد بن عبد الملك : والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا ؟

فماذا أبقيت لفرعون حين قال :

(أنـا ربكـم الأعلـى) (1) ؟

قـال الأفشـين : كانت هذه عادة القوم لأبى وجدى ، ولى قبل أن

أدخل فى الاسلام فكرهت أن أضع نفسى دونهم ، فتفسد على طاعتهم .

فقـال لـه أسحاق بن ابراهيم بن مصعب من الحاضرين : ياخيذر كيـف

تحلف بالله لنا فنصدقك ؟ ونصدق يمينـك ، ونجريك مجرى المسلمين

وأنت تدعى ما ادعى فرعون ؟

ثم تقدم مازيار صاحب طبرستان .

فقـالوا للأفشـين أتعرف هذا ؟

قـال : لا ، فقالوا للمازيار : تعرف هذا ؟ ... قال نعم هذا الأفشين .

قـالوا : هذا المـازيـار .

---

(1) سورة النازعات آيـة ٤ .

قـال : قد عرفتـه الآن ...

قـالوا : هل كاتبتـه ؟

قـال : لا ...

قـالوا للمازيـار: هل كتب اليك ؟

قـال المـازيـار : نعم كتب أخوه خاش الى أخي توهيـار ، انه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غـيرى وغيرك وغـير بابك . فأما بابـك فانـه بحمقـه قتل نفسـه ، ولقد جهدت أن أصرف عنـه الموت ، فأبى حمقـه الا أن دلاه فيما وقع فيـه ، فان خالفت لم يكن للقـوم من يرمونك به غـيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة والبأس فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثـة ، العرب والمغاربـة والأتـراك . والعربـى بمنزلـة الكلب ، اطرح له كسـره ، ثم اضرب رأسـه بالدبوس ، وهؤلاء الذباب " يعنى المغاربـة " انما هم أكلـة رأس ، وأولاد الشـياطين " يعنى الأتـراك " انما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيـل عليهم جولـة ، فتأتـى آخرهم ، ويعود الدين الى مالـم يزل عليـه أيام العجـم .

فقـال الأفشـين : هذا يدعى على أخيه وعلى أخي دعوى لاتجب على . ولو كنت كتبت بهذا الكتاب اليه لاستميلـه ويثـق بناحيتى ، كان غـير مستنكر ، لأنـى اذا نصرت الخليفة بيدى كنت بالحيلـة أحرى أن

أنصره ، لآخذ بقفاه وآتي به الى الخليفة لأحظى به عنده كما حظى عبدالله بن طاهر عند الخليفة ، ثم نحي (المازيار) .

ولما قال الأفشين للمرزبان التركشي ماقال ، وقال لاسحق ابن ابراهيم ماقال وزجر ابن أبي دؤاد الأفشين ، فقال له الأفشين : أنت يا أبا عبدالله ترفع طيلسانك بيدك فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة ؟

فقال ابن أبي دؤاد : أمطهر أي - مختتن - أنت؟

فقال الأفشين : لا .

فقال ابن أبي دؤاد فما منعك من ذلك وبه تمام الاسلام ، والطهور من النجاسة .

فقال الأفشين أليس في دين الاسلام استعمال التقيه

قال ابن أبي دؤاد : بلى ؟

قال الأفشين : خفت ان اقطع ذلك العضو من جسدي فأموت .

قال أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب ، وتجزع من قطع قلفه .

قال الأفشين : تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها اذا وقعت وهذا شيء استجلبه فلا آمن معه خروج نفسي ، ولم أعلم أن في تركها الخروج

من الاسلام . قال ابن أبى دؤاد قد بان لكم أمره ،ثم أمر به فحبس .(١)

وبهذا قد تبين لنا مدى اهتمام هؤلاء الخلفاء ،بمحاربة الزنادقة والقضاء عليهم وذلك ببذل جهودهم سواء كانت سياسية أو حربية أو علمية تدور فيها المناقشات والمناظرات بعد الاستعانة بالعلماء والفقهاء المعاصرين لهم.

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٩ - ص١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠.
وأبو زهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية - ج ١ - ص ٢٣٩ - ٢٤٧.
وانظر شاكر مصطفى - دولة بنى العباس - ج ٢ - ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

المقاومة الشعبية ضد الزنادقة

قبل الكلام عن المقاومة الشعبية نقول : ان الخلفاء برغم مقاومتهم للزندقة نجدهم كثيرا ما يقفون ضد الحركات الشعبية التى قامت لمقاومة هذه الزندقة . ويبدو أن ذلك كان خوفا من أن يقوى سلطان هؤلاء الأفراد أو أن هؤلاء الأفراد كانوا يخالفون ماعليه الخلفاء من البدعة التى أثارها المأمون بالقول بخلق القرآن .

ومن هنا لا نعجب اذا وجدنا الخلفاء يقاومون الزندقة ثم فى الوقت نفسه يفتكون بالأفراد والجماعات التى تتألف لمقاومة الزندقة . ونرجع للموضوع فنقول : لقد قامت هناك بعض المقاومات الشعبية التى قام بها بعض الأفراد ضد هؤلاء الملاحدة ، فكانت تلك المقاومة من هؤلاء الأفراد شديدة .

كان القصد منها القضاء على ذلك الفساد ، وقد كانت الغيرة على هذا الدين وحماية المجتمع من ذلك الفساد هى أحد الدوافع الأساسية . وقد اعتبر ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهذا خالد الدرويش طلب من جيرانه وأهل بيته ومحلته ان يساعدوه فى الأمر بالمعروف والقضاء على ذلك المنكر الذى كان متفشيا فى الوسط الذى يعيشون فيه ، ولقد أجابوه على ذلك ، كما طلب

من هؤلاء الفساق ان يكفوا عن تلك الأفعال الآثمة ولكنهم رفضوا طلبه بل تحدوه ، وتوعدوه بالقضاء عليه وعلى معاونيه ولكنه استطاع ان ينتصر عليهم وان يحمى نفسه ومعاونيه من شرهم. وبعد يومين أو ثلاثة أيام من قيام تلك الحركة ، قام رجل يقال له سهل بن سلامه (١) بدعوته أيضا الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) ، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يعلق المصحف فى عنقه وعمل كما عمل خالد الدرويش من دعوة الأهل والجيران الى ما عزم عليه من الدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونبذ كل ما هو فحش ورذيلة ودعا الى ذلك الناس جميعا، الشريف منهم والوضيع ، وجعل له ديوانا يثبت فيه اسم من أتاه منهم لمبايعته على ذلك وقتال من خالفه وخالف ما دعا اليه كائنا من كان . وقد أتاه خلق كثير بايعوه ، وطاف ببغداد وأسواقها وأرباضها ، واستطاع ان يوقف حركة الفساق بالقوة حيث اضطر الشعراء المجان ان ينصرفوا من بغداد وان تختص صيحاتهم بفتنة اللذة زمنا ، حتى دخل المأمون واتخذ اجراءاته فى سبيل القضاء على الفتنة فيها وبذلك اضطر الشعراء المجان

---

(١) سهل بن سلامة : يقطن منطقة الحربيه فى الجهة الشرقية من بغداد وهو من اهل خراسان وكان يكنى أبا حاتم (جابر عبد العال ، حركات الشيعة ، ص ٣٢٨) .

(٢) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة .

أن يلتزموا جانب الجد في الشعر ، وتركوا ما كانوا عليه وأصبح ذلك تاريخا يتردد على الألسنة حتى ظن أن أمرهما قد هدأ ، وهذا من الآثار الحسنة التي تركتها حركة مقاومة الفساد التي أعادت للعقل سلطانه على النفوس وعلى الشعراء المجان ان ينصرفوا من بغداد .

ولا تنسى أيضا حركة أحمد بن نصر الخزاعي(١) التي قامت أيضا لمقاومة الفساد والمجون . وكان أحمد هذا رفض القول بخلق القرآن ، وكان يظهر المباينة لمن يقول ان القرآن مخلوق . ولما كان هذا شأنه بالاضافة الى أنه كان يقول ان الله يرى يوم القيامة ، كفره الواثق وقال اذا قمت اليه فلا يقومن أحد معي الى هذا الكافر الذي يعبد ربا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بشد رأسه بحبل ثم أمر جنده ان يمدوه ومشى اليه حتى ضرب عنقه .(٢)

---

(١) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ومالك بن الهيثم أحد نقباء بني العباس وكان ابنه احمد بقشاه من أصحاب الحديث كيحي ابن معين وابن الدرقي وابن خيثمة ، وكان أحمد بن نصر من أولاد الأمراء عالما صالحا لم يجب في محنة القرآن . بل اغلظ للواثق في الخطاب فقتل سنة ٢٣١ رحمه الله ، (انظر جابر عبد العال حركات الشيعة - ص ٣٣٧ ، والاسفرايني ، التبصير ،ص ٢٤٩) . ولا يعنينا بعد ذلك مايقال من أن حركة احمد بن نصر هذه كانت تظهر الأمر بالمعروف وتبطن الغرض السياسي . فالمهم فيها انها حاربت فساد الزنادقة الموجود في ذلك العصر .

(٢) انظر جابر عبد العال - حركات الشيعة - ص ٣٣٣ - ٣٣٨ .

الفصل الثاني

العلماء في

المبحث الأول : الرد على المشككين في الألوهية القائلين بالطبيعة .

المبحث الثاني : الرد على المشككين في الوحدانية القائلين بالنور والظلمة .

المبحث الثالث : الرد على القائلين بالحلول والاتحاد .

المبحث الرابع : الرد على منكري النبوة والأديان .

المبحث الخامس : الرد على الطاعنين في القرآن .

المبحث السادس : الرد على القائلين بالتناسخ .

المبحث السابع : الرد على القائلين بالإباحية وإسقاط التكاليف .

المبحث الأول

الرد على المشككين في الربوبية القائلين بالطبيعة

ليس هناك من أحد عاقل ينكر وجود خالق لهذا الكون ، خلقه وأوجده من العدم الى الوجود ، ومدبر له يدبر شئونه ، ولكن هؤلاء الزنادقة انما هم يشككون في هذه القضية ومازالوا مستمرين في هذا التشكيك واقامة الشبهات المختلفة حول هذا الأمر ، لأنه متى رسخت في النفس عقيدة الايمان بوجود اله خالق ، قادر ، مدبر ، صعب على أولئك الزنادقة النفوذ الى تلك النفوس واستحال عليهم اقناعها بكل مافيه مفسدة لها من اباحية وتحلل ، واسقاط تكاليف. ومتى انعدم اليقين بدأت النفس تشك في وجود الخالق ، وهذا بالتالي يجرها الى عدم الايمان بوجود يوم آخر لأن كلا الأمرين مرتبط بعضهما ببعض ، فاذا انعدم الأول في النفس نزع الثاني منها ، وهنا تكون مهمة العلماء أن يتصدوا لرد الشبهات التي توجه الى الاسلام ، وهذا ما تم بالفعل. اذ نجد علماء الأمة يتصدون لهؤلاء الزنادقة حتى أسكتوهم وألقموهم الحجر. وهذه بعض الأمثلة ، فقد جاءوا مرة الى أبي

حنيفه ونشروا أمامه شبهتهم في وجود خالق الكون ومدبره فرد عليهم بأن قال : (ما تقولون في رجل يقول لكم اني رأيت سفينة مشحونة ، مملوءة بالأمتعة والأحمال قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها ويقودها ، ولا متعهد يدفعها ويسوقها هل يجوز ذلك في العقل ؟ فقالوا : لا . هذا شيء لا يقبله العقل ولا يجيزه الوهم ، فقال أبو حنيفه رحمه الله : فيا سبحان الله ، اذا لم يجز في العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها ، وتغير أمورها وأعمالها وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها .) (1)

اذا كان هؤلاء الزنادقة ينكرون على هذه السفينة ان تسير بمفردها دون أن يسيرها قائد فما بالهم بهذا العالم الكبير فهو من باب أولى لا يكون الا بخالق عظيم يسيره ويدبره لأنه هو الخالق الصانع له .

كذلك جاء رجل الى أبي حنيفه فقال له : ما الدليل على الصانع؟ فقال أبو حنيفه : (أعجب دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن يخلقه الله في ظلمة البطن وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ان كان كما زعم افلاطون الزنديق ان في الرحم قالبا منطبعا

---

(1) أبو زهرة - الامام أبوحنيفه - ص ٧٦ - ٧٧ .

ينطبع الجنين فيه،فلزم الحمار أن يكون الولد اما مئناثا أو مذكارا لأن الحقيقة لا تختلف فلما رأينا المرأة تلد ذكرا ومرة أنثى ومرة توأمين وطورا ثلاثه . وتريد أن تلد فلا تلد وتريد أن لا تلد فتلد وتريد الذكر فتكون أنثى ، وتريد الأنثى فيكون الذكر على خلاف اختيار الأبوين فعرفنا قطعا أنه قدرة قادر عالم حكيم.)[1]

وهذا الامام الشافعي قد قابل في طريقه سبعة عشر زنديقا ؛ فطلبوا منه أن يذكر لهم دليلا شافيا على وجود الصانع ، فقال لهم : بأنه لو ذكر لهم ذلك هل يؤمنون بذلك الصانع ؟

فقالوا له : نعم .

قال : (نرى ورق الفرصاد (التوت) طبعها ولونها وريحها سواء فيأكلها دود القز فيخرج من جوفها الابريسم ،ويأكلها النحل فيخرج من جوفها العسل،فتأكل الشاة فيخرج من جوفها البعر فالطبع واحد ، وان كان موجبا عندك فيجب أن يوجب شيئا واحدا لأن الحقيقة الواحدة لاتوجب الا شيئا

---

(١) محمود حسن ربيع - سهام الدين المارقة في صدور الزنادقة ج ١ - ص ٣٧ .

واحدا ، ولا توجب متضادان متنافران ، ومن جوز هذا كما كان عن المعقول خارجا ، وفى النية والجا ، فانظر كيف تغيرت الحالات عليها ، فعرفت أنه فعل صانع حكيم عالم قادر يحول عليها الأحوال ويغير التيارات .

قال : فبهتوا ، ثم قالوا : لقد أتيت بالعجب العجاب . فآمنوا وحسن ايمانهم ثم قال : رأيت قلعة حصينة ملساء ولا فرجة فيها ظاهرها كالفضة وباطنها كالذهب الابريز وجدرانها خصبة ومحكمة ثم رأيت الجدار ينشق فيخرج من القلعة حيوان سميع بصير وبصوت فعلمت ضرورة ان الطبيعة لا تقدر على ذلك وأنه فعل صانع حكيم . فالقلعه هى البيضة والحيوان هو الدجاجه . ثم قال : بالنوم واليقظة عرفت الرب ، أريد السهر فيغلبنى النوم ، وأريد أن أنام فيغلبنى السهر .)[1] ، قال تعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ (٢)

آيات الله تعالى فى هذا الكون ظاهرة ، وقدرته فيها واضحة وجليه لا ينكرها الا كل معاند ومكابر ، فالله تعالى وحده هو

---

(١) محمود حسن ربيع - سهام الدين المارقة فى صدور الزنادقة - ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) سورة الذاريات الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

الخالق لهذه المخلوقات حيث يقول :

لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ (١)

ويقول أيضا :

هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ (٢)

وقال :

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ (٣)

وقال :

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ (٤)

ان العاقل المفكر يعلم بيقين ان الصانع الخالق هو (الله) وحده ولا أحد سواه فهو موجد الوجود كله والطبيعه الأصل فيها العدم فكيف يمكن للعدم ان يخلق موجودا ؟!

ولكن الزنادقة ومن حذا حذوهم هم الذين يشككون فى هذه القضية ويقيمون حولها الشبهات ، كقولهم ان الطبيعة أوجدت نفسها أو قولهم أن الطبيعة هى التى خلقت نفسها ، فالمعنى الذى يقصدونه واحد وان اختلف اللفظ .

---

(١) سورة النحل آية : ٢٠ .
(٢) سورة فاطر آية ٣ .
(٣) سورة الطور آية ٣٥ .
(٤) سورة النحل آية ١٧ .

فالقائلون بالطبيعة كانوا كما قلت ومازالوا فى الحقيقة يعلنون رأيهم مشككين بذلك فى أصل التكوين ، ولكن لم يسكت عنهم العلماء بل واجهوهم بما يلزمهم من تناقض، اذ كيف يقولون بحوادث مشاهده أمامهم أنها صادرة عن الطبيعة ؟ يخاطبهم الباقلانى مرددا معهم الكلام بأنه لا يخلوا أن تكون الطبيعة موجودة أو معدومه فان كان الثانى فكيف يكون الموجود وهو العالم صادرا عن معدوم وهو الطبيعة ، ان هذا لا يقول به عاقل .

وان كانت موجوده وهى حادثة فمن الذى أحدثها ؟

وان كانت موجودة قديمة وعنها صدر العالم فانه يجب ان يكون العالم كله قديما ، وهو غير المشاهد اذ نرى الحوادث تحيط بنا من كل ناحية . يقول الباقلانى[1] فى ذلك : (فان قال قائل لم أنكرتم أن يكون صانع العالم طبيعة من الطبائع وجب حدوث العالم عن وجودها ؟ .

---

(١) هو القاضى أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلانى البصرى ، المتكلم على مذهب أبى الحسن الأشعرى الذى أيد اعتقاده ، ونصر طريقته صنف كثيرا من التصانيف وانتهت اليه الرياسه فى مذهبه ، وكان موصوفا بجودة الاستنباط وقوة الحجة ، وسرعة الجواب ، توفى فى آخر يوم السبت لسبع بقين من ذى القعدة سنة أربعمائة وثلاثة ، ودفن فى داره ، ثم نقل الى مقبرة باب حرب.
(ابن خلكان ، الترجمه ، رقم ٥٨٠ ، البغدادى ، ص ٣٣) .

قيل له : أنكرنا ذلك لأن هذه الطبيعة لا تخلو أن تكون معنى موجودا أو طبيعة معدومة ليست بشيء ، فان كانت معدومة ليست بشيء ، لم يجز أن تفعل شيئا ، أو أن يجب عنها شيء ، أو ينسب اليها شيء ، لأنه لو جاز ذلك لجاز وجود الحوادث من كل معدوم ووجوبها عن كل معدوم. لأن ما يقع عليه هذا الاسم فليس بذات ولا يختص ببعض الأحكام والصفات ، فلو كان منه ما يحدث الأفعال أو تجب عنه لصح ذلك في كل معدوم، وذلك باطل باتفاق . وان كانت الطبيعه التي نسب السائل اليها حدوث العالم وطقه بها معنى موجودا ، لم تخل تلك الطبيعه ، الموجبة عندهم لحدوث العالم من أن تكون قديمة أوحديثة . فان كانت قديمة ، وجب أن تكون الحوادث الكائنة عنها قديمه ، لأن الطبيعة لم تزل موجودة ولا مانع يمنع من وجود الحوادث الموجبة عنها . فيجب وجودها مع الطبيعه في القدم ، كما يجب وجود اعتماد الحجر مع وجود طبعه ، واحراق النار وانحلال الطبع والاسكار مع وجود طبع النار والسقمونيا[1] والشراب ، اذا لم يمنع من ذلك مانع

---

(١) السقمونيا : نوع من النبات يؤخذ من جزره صمغ مسهل .
(الباقلاني التمهيد ،ص ٣٥) .

فكذلك يجب وجود العالم في القدم ، وان كان محدثا مع وجود الطبع الكائن عنه (العالم) عندهم ، اذا لم يمنع من ذلك مانع . وفى اطباقنا واياهم على استحالة قدم الحوادث دليل على أنها لا يجوز أن تكون حادثة عن طبيعة قديمة .)[1]

---

(١) الباقلاني - التمهيد - ص ٣٤ - ٣٥ .

المبحث الثاني

الرد على المشككين في الوحدانية القائلين بالنور والظلمة

مما تقدم وجدنا كيف يأخذ الزنادقة بالأديان الباطلة التي كانوا عليها قبل أن يتظاهروا بالاسلام . ومن هذه الأديان التي تمسكوا بها برغم اظهارهم للاسلام ، المجوسية التي لا تعترف بالتوحيد بل تقول : بالاثنين - النور والظلمة - وهذا هو جوهر المجوسية ديانة الفرس ومنها انتقلت الى المانويه والمزدكيه .

وهنا كان الدور الذى قام به علماء المسلمين للرد على هؤلاء الزنادقة . ومن هؤلاء ابوالهذيل العلاف[1] الذى برز دوره فى هذا

---

(١) محمد بن الهذيل العبدى - كان نسيج وحده وعالم وحده ، ولم يتقدمه أحد من الموافقين له ولا من المخالفين وكان يلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت فى العلافين .. وحكى عن يحيى بن بشر ان لأبى الهذيل ستين كتابا فى الرد على المخالفين فى دقيق الكلام وجليله وأخذ العلم عن عثمان الطويل ، وكان ابراهيم النظام من أصحابه ثم خرج الى الحج وانصرف على طريق الكوفه فلقى بها هشام بن الحكم وجماعة من المخالفين فناظرهم فى أبواب دقيق الكلام فقطعهم ونظر فى شىء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة كان يرى أنه قد أورد من لطيف الكلام مالم يسبق علمه الى أبى الهذيل . قال ابراهيم : فناظرت أبا الهذيل فى ذلك فخيل الى انه لم يكن متشاغلا قط الا به لتصرفه فيه وحذقه فى المناظرة فيه ، وتوفى سنة ٢٢٦ .
(ابن المرتضى ، المنيه والامل ،ص٢٦ ، ٢٧ ،وانظر البغدادى - الفرق بين الفرق ، ص ١٢١ وابن النديم - الفهرست ، ص ٥٢٩ - ٥٣٠) .

المجال عندما وجه اليه بعض الزنادقة الكثير من الأسئلة فأجابهم عليها وكان نتيجة ذلك ان اسلموا.

ومن ضمن ردوده عليهم قوله : (لقد قدرنا أن يكون ههنا رجلان دفعا الى ظلمة شديدة ،ضاع من أحدهما بدرة واستتر الآخر من العدو ، فان هذه الظلمة محسنة الى من استتر من العدو ومسيئة الى من ضاع منه البدرة ، وكذلك اذا طلعت الشمس فان هذا النور محسن الى من ضاع هذه البدرة منه ، مسيء الى من استتر من العدو ، وفى هذا فساد مذهبهم ـ ومنها أن أحدنا يعلم أنه كاذب ، فمن الذى يعلم ذلك ؟ فان قالوا : النور ، فقد وصفوه بخصلة من خصال الشر وهو الكذب وان قالوا : الظلمة فقد وصفوه بخصلة من خصال الخير وهو العلم ولا يطلكهم أن يقولوا ان العالم أحدهما والكاذب الآخر ، لأن كلا منا فى شخص واحد .)[1]

من خلال هذا الرد وهذه الاجابة التى أجاب بها أبوالهذيل اتضح لنا مدى تناقض قول القائلين بالنور والظلمة ـ لأن أبا الهذيل قد أوضح فى رده أنه من الممكن أن يصدر من الواحد الخير والشر ، وهذا ضد قولهم .

---

(١) القاضى عبدالجبار ـ الأصول الخمسة ـ ص ٢٨٩ .

ومنهـا ـ (أن أحدنـا يسىء ثم يعتـذر فمن المسىء ومن المعتذر فـإن قالوا : النـور ، فقد وصفـوه بخصلـة من خصـال الشـر وهـو الاسـاءة ، وان قـالوا : الظلمـة ، فقـد وصفوه بخصلـة من خصـال الخـير وهـو الاعتـذار ، فان قالـوا : الظلمـة ، تسـىء والنـور يعتـذر ، قلنـا : الاعتـذار من غـير الاسـاءة قبيح . وهـذا يقتضـى وصف النـور بخصلـه من خصـال الشـر . فان قالـوا : الاعتـذار من غـير صاحب الاسـاءة لا يقبـح ، ولهـذا فان الوالـد يعتذر من اسـاءة ولده ، والراكـب يعتذر من رفس دابتـه ، قلنـا : الوالـد يعتذر من اسـاءة نفسـه حيث ترك تأديـب ولده وكذلـك الراكـب انمـا يعتذر من اسـاءة نفسـه لم يجـر فرسـه فى السـمت الذى يكـون أبعـد من الرفس .

ومنهـا أن أحدنـا يغـصب ثم يرد ، فمن الغاصب ومن الـراد ؟ فان قـالـوا النـور ، فقـد وصفـوه بخصلـة من خصـال الشـر وهـو الغصب ، وان قالـوا : الظلمـة فقد وصفـوه بخصلـة من خصـال الخـير وهـو رد المغصـوب . وحتى قـالوا : أليس قـال تعالـى فـى كتابكـم .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (١)

---

(١) سـورة النور آيـة ٣٥ .

وهذا مرادنا ، قلنا : لاتعلق لكم بكتاب الله تعالى ، لأن الاستدلال بكتاب ينبني على القول بتوحيده وعدله وأنتم لا تقولون بذلك . ثم ان المراد بقوله تعالى :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

أي منور السموات والأرض ، فذكر الفعل وأراد به الفاعل وهذا كثير في كلامهم . ألا ترى أنهم يقولون : رجل صوم وعدل ورضى والذي يؤكد هذا أنه أضاف النور الى نفسه . فقال :

مَثَلُ نُورِهِۦ

وهذا يقتضي ان يكون النور غيره ولن يكون ذلك كذلك الا وما قلناه على ماقلناه .)(1)

ان القول بالاثنينيه قول باطل لأنه متناقض في حد ذاته لا يقول به عاقل لأنهم طالما هم يقولون بأن هذا الـ فـان من صفات الاله الاستطاعة أو القدرة وعدم العجز ، وطالما أن أحدهما قادر على أن يخلق كل شيء دون أن يستعين بصاحبه فلماذا لا يكون المعبود واحد ؟ أليس عبادة الواحد هي أصح وأسلم ؟ هذا ما أثبته هشام بن الحكم لأحد الزنادقة .

---

(1) القاضي عبد الجبار - الأصول الخمسة - ص ٢٩٠ - ٢٩١ ،
وأما ابن قيم الجوزية فيرى أن من أسمائه النور وقالت المعطلة ذلك مجاز معناه منور السموات والأرض بالنور المخلوق ثم يرد عليهم بوجوه منها : الأول ، أن النور جاء في اسمائه تعالى وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول وأثبتوه في اسمائه الحسنى (مختصر الصواعق المرسلة ج ٢ - ص ٣٥٩ .)

ذكر الدينوري[١] ، في كتابه أنه (جاء رجل زنديق لهشام بن الحكم[٢] فقال له : أنا أقول بالاثنين وقد عرفت انصافك فلست أخاف مشاغبتك ، فقال هشام وهو مشغول بثوب ينشره ولم يقبل عليه : حفظك الله ، هل يقدر أحدهما ان يخلق شيئا لا يستعين بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ، قال هشام : فما نرجو من اثنين ، واحد خلق كل شيء أصح لك ! فقال : لم يكلمني بهذا أحد قبلك .)[٣]

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبه ولد في مرو في سنة ٢١٣هـ ، ونشأ ببغداد ، أخذ عن اسحاق بن (راهويه) وأبي اسحاق ابراهيم بن سفيان بن سلمان وأبي حاتم السجستاني ، وذكر ابن تيميه ان ابن قتيبه من المنتسبين الى مذهب الامام أحمد بن حنبل ... ويقال أنه كان معظما عند أهل المغرب ، ... وابن قتيبه في أهل الحديث كالجاحظ في أهل الاعتزال اذ أنه خطيب أهل السنة وكاتبهم الأعظم.... توفي سنة ٢٧٦ هـ .
[illegible] ، عقائد السلف ، ص ٣٧ ، ٣٨) .

(٢) هشام بن الحكم البغدادي الكندي مولى بني شيبان . كنيته أبو محمد ، وقيل أبو الحكم ، وأصله من الكوفه وانتقل الى بغداد من جلة أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ، وهو من متكلمي الشيعة الامامية وبطائفتهم ، وكان أولا من أصحاب الجهم بن صفوان ثم انتقل الى القول بالامامة بالدلائل والنظر . وكان منقطعا الى البرامكة ملازما ليحيى بن خالد ، ثم تبع الصادق فانقطع اليه ، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة ، وقيل بل في خلافة المأمون .
(انظر ابن النديم ، ص ٧ في تكملة الفهرست) .

(٣) عيون الأخبار - ج ٢ - ص ١٥٣-١٥٤ .

وهذا ابراهيم النظام [1] يرد أيضا على أصحاب الأثنينيه حيث يقول : (حدثونا عن انسان قال قولا كذب فيه ، من الكاذب ؟ قالوا : الظلمة ، قال : فان ندم بعد ذلك على ما فعل من الكذب وقال : قد كذبت وقد أسأت من القائل : قد كذبت ؟ فاختلطوا عند ذلك ولم يدروا ما يقولون . فقال لهم ابراهيم : ان زعمتم أن النور هو القائل : قد كذبت وأسأت فقد كذب لأنه لم يكن الكذب منه ولا قاله ، والكذب شر فقد كان النور شرا ، وهذا هدم قولكم . وان قلتم : ان الظلمة قالت: قد كذبت وأسأت ، فقد صدقت والصدق خير فقد كان من الظلمة صدق وكذب وهما عندكم مختلفان فقدكان

---

(١) توفى النظام سنة ٢٣١ . وقال عبد القاهر البغدادى عند الكلام على النظامية والمعتزلة . . . ويوهمون أنه كان نظاما للكلام المنثور ، والشعر الموزون وانما كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظام . وكان فى زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنويه وقوما من السمنيه . . . وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة .)
(الشهرستانى ، الملل - ج ١ - ٥٣ - ٥٤ ، الفرق بين الفرق ص ٧٩) .

من الشيء الواحد شيئان مختلفان خير وشر على حكمكم وهذا هدم قولكم .) [1]

ان هؤلاء الزنادقة عندما قالوا بالاثنينيه انما أرادوا التشكيك في الوحدانيه وبعد ذلك يسهل عليهم تشكيك المسلم في كل أمر من أموره الدينيه . ويدل على هذا أن النظام وأبا الهذيل العلاف عندما دخلا على صالح بن عبد القدوس وقد مات له ابن وكان حزينا فقال له أبوالهذيل :(لا أعرف لجزعك وجها الا اذا كان الانسان عندك كالزرع ،فقال : انما أجزع لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك . وقال : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته من قرأ فيه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان .قال أبوالهذيل : فشك أنت في موت ابنك وأعمل على أنه لم يمت وان كان قد مات فشك أنه قد قرأ ذلك الكتاب وان كان لم يقرأ .) [2]

هذا وقد ناظره أبوالهذيل العلاف أيضا ذات مرة في الاثنين حيث قال له : على أى شيء تعزم ياصالح ؟ قال : استخير الله وأقول بالاثنين ، فقال ابوالهذيل : فأيهما استخرت لا أم لك ؟ [3]

---

(١) الخياط - الانتصار - ص ٣٠ .
(٢) ابن المرتضى - المنيه والأمل - ص ٢٧ .
(٣) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة .

ويرد القاسم ابراهيم على الشنويه ،على قولهم في المزاج (النور والظلمة)
فيقول : اذا كانت الظلمة والنور مختلفين في الجنس والعمل
وأيضا جهات تحركهما مختلفة فكيف يجتمعان ؟

ان كلا منهما ضد الآخر والضد كما نعلم لايجامع ضده ،
والا كان مفسدا له ، حيث وجد ،فيبطل وجود أعيانهما أو يتبدل شأنهماعما
كانا عليه ،كبطلان الثلج والنار عند امتزاجهما.(١)

ثم يقول : ولو قالوا : بأن النور يفعل الخير ، والظلمة
تفعل الشر فيقال لهم: ان هذا كلام باطل لأن أساسه باطل
فالفاعل الواحد قد يكون منه شيئان مختلفان خير وشر .
فلنفرض أنه هرب مظلوم واستتر بالظلمة فسترته بسواترها
أو صاحب الرمد الشديد فانه يجد في الظلمة راحة بعكس
النور فانه يجد فيه مضرة منكرة.

هنا نجد أن الظلمة شر صدر منها خير ، والنور خير صدر
منه شر فهذا اذا على خلاف مايزعم هؤلاء (٢) .

ويقول الخياط : (فاذا كان على ما وصفتم فكيف امتزجا وتداخلا
واجتمعا من تلقاء أنفسهما وليس فوقهما قاهر قهرهما ولا جامع

---

(١) انظر الرد على ابن المقنع - ص ٧ .
(٢) انظر المرجع السابق - ص ٦ وابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٤٥ .

جمعهما ومنعهما من أعمالهما كما يمنع الحجر ما فى طبعه من الانحدار وكما يمنع الماء ما فى طبعه من السيلان بل ينبغى أن يكونا لا يزدادان الا تباينا ومفارقه على قولكم .)[1]

فى هذا النص السابق يريد الخياط المعتزلى ان يبطل فيه قول المانويه وغيرهم فى النور والظلمة كما أنه يريد أن يثبت لهم ان كل هذه الأشياء لها خالق خلقهما وهو الذى يجمعهما ويفرقهما ، وهو المدبر لأمرهما المتصرف فى شأنهما .

ان خير ما رد به الملطى الشافعى[2] على هؤلاء الزنادقة فى هذه النقطة هو قوله تعالى :

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) [3]

ولا يظن ظان بأن هذا رد بالقرآن وهم لم يؤمنوا به ، بل نقول لهم : ان هذه الآيات مع أنها نقليه فهى عقليه أيضا نستطيع ان نجادل بها من لم يؤمن بأنها من عند الله فهى تثبت لنا عقلا بأنه لو كان هناك الهان خلق كل واحد منهما جزءً من العالم لحصل بينهما التطاحن والخلاف كل منهما يريد

---

(١) الانتصار - ص ٣١ .
(٢) هو أبو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى توفى سنة ٣٧٧ .
(٣) سورة المؤمنون آية ٩١ .

ضد ما يراه الآخر ، فهذا يريد احياء جسم والآخر يريد اماتته ، هنا يلحقهما العجز أو يلحق واحد منهما لأنه يستحيل ان يتم مرادهما جميعا لما بينهما من التضاد ، فوجب أن لا يتم مرادهما أو يتم مراد أحدهما دون الآخر وبذلك يلحق العجز من لم يتم مراده والعجز هو من صفات الحوادث ،والقديم لا يجوز أن يكون عاجزا ، هذا ما أثبته الباقلانى فى كتابه.[1]

ان الذى حملهم على القول بالاثنينية (النور والظلمة) -كما يزعمون - أنهم رأوا فى العالم الى جانب وجود الخير وجود الشر ووجدوا اختلافا ، فقالوا انه لا يمكن ان يكون من أصل واحد شيئان مختلفان كما لا يكون من النار التبريد والتسخين .وهذه القضية قد أوقعتهم فى مسائل شائكة فخرجت أقوالهم بعد ذلك غامضة غير مفهومة ، ونجد فيها من التناقض ما يرفضه العقل والواقع ، لأنه كيف يكون هناك الهان؟!!

فان الأمر لا يخلو أن يكونا قادرين ، أو عاجزين أو أحدهما قادرا والثانى عاجزا ، ولكن كيف يكونان عاجزين والعجز

---

(١) انظر التمهيد - ص ٢٥ .

يمنع ثبوت الألوهيه فهو ضد الاتصاف بها ، فبذلك لا يمكن أن يكون أحدهما عاجزا مادام الها ، فيبقى ان يقال أنهما قادران ، وعندئذ نفترض أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه ، فانه من المحال وجود ما يريدانه ، فان تم مراد أحدهما فبذلك يثبت عجز الآخر والعجز كما قلت يمنع ثبوت الألوهيه والاتصاف بها.[1]

وهذا ما أكده التبريزى فى مخطوطة حيث ذكر قوله تعالى :

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

(٢)

يعنى لو كان فى السماء والأرض آلهة غير الله (لفسدتا) يعنى لخربت السماء والأرض ولهلك أهلها يعنى ان التدبير لا يكون مستويا حيث لكل واحد منهم تدبيره وتصريفه الخاص به .[3]

---

(١) انظر ابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٤٥ .
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٢ .
(٣) انظر دامغة المبتدعين - مخطوط - ص ١٥٨ .

المبحث الثالث

الرد على القائلين بالحلول والاتحاد والوحدة

ان الحلول والاتحاد عقيدة فاسدة لم يأت بها دين سماوى ، ولم يقل بها مفكر عاقل ، وانما هى ضلالة مبتدعة أراد بها هؤلاء الحاقدون على هذا الدين ان يشوهوا معالمه ، وان يبعدوا عنه كل من أراد صراطه المستقيم . ولكنهم يكيدون ، وكيد الله عظيم ، حيث قيض الله لهم هؤلاء العلماء الذين وقفوا ضدهم وأخذوا يردون عليهم فكشفوا لنا زيفهم وباطلهم وأظهروا الحق والصواب.

فهذا الامام أحمد بن حنبل يرد على شبهة هؤلاء الزنادقة حيث يقول :

(قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم الرب شئ . فقالوا : أى مكان ؟ فقلنا : أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شئ ، وقد أخبرنا أنه فى السماء فقال :

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ (١)

أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا (٢)

---

(١) سورة الملك آيه ١٦ .
(٢) سورة الملك آيه ١٧ .

..... وقال إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ (١) .... وقال : وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ (٢) وقال يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ (٣) ...... فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما ، يقول الله جل ثناؤه :

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ (٤)

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ (٥)

وقلنا لهم : أليس تعلمون ان ابليس كان مكانه والشياطين مكانهم ، فلم يكن الله ليجتمع هو وابليس في مكان واحد ، وانما معنى قول الله جل ثناؤه وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ (٦)

---

(١) سورة آل عمران آيه ٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء آيه ١٩ .
(٣) سورة النحل آيه ٥٠ .
(٤) سورة النساء آيه ١٤٥ .
(٥) سورة فصلت آيه ٢٩ .
(٦) سورة الأنعام آيه ٣ .

يقول : هو اله من في السموات واله من في الأرض، وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان .)[1]

ثم نتابع الرد على هؤلاء الحلوليه من خلال رد أبي سعيد الدارمي[2] عليهم الذي يؤكد لنا أنه مادام الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق كان الها واحدا وبعد أن خلق الخلق فهو أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في السماء على العرش استوى ، فهو لا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها. ومادام الله مستوى على عرشه في عزه وبهائه، فما الذي يدعوه أن يصير في تلك الأمكنه القذره ، يقول أبوسعيد : (أرأيتم ان قلتم هو في كل مكان وفي كل خلق ؟ أكان الله الها واحدا قبل أن يخلق الخلق والأمكنة ؟ قالوا : نعم ، قلنا : فحين خلق الخلق والأمكنه أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في غيرمكان

---

(١) عقائد السلف - ص ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ .

(٢) هو : عثمان بن سعيد السجزى ، أخذ الأدب عن ابن الأعرابي ، والفقه عن أبي يعقوب البويطي ، وأخذ الحديث عن يحيى بن معين ، وعن على ابن المديني ، ودخل البصرة وأخذ بها الحديث عن يحيى ابن معين ، ودخل الشام وبه أخذ عن الحسن بن على والأشرم ومحمد بن صالح كيلجة ، وبدمشق عن ابراهيم بن عبد الله ، بن العلاء وأخذ عن غيرهم من الشيوخ لاتعد كثرة ولا تحصى . توفى سنة ٢٨٠ هـ وقيل سنة ٢٨٢ هـ ودفن بهراة.
(احمد بن حنبل ، البخاري ، ابن قتيبة ، عثمان الدارمي - عقائد السلف - ص ٤٤ .)

فلا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها بزعمكم أو لم يجد بدا من أن يصير فيها ، أو لم يستغن عن ذلك ؟ قالوا : بلى ، قلنا فما الذى دعا الى الملك القدوس اذ هو على عرشه في عزه وبهائه بائن من خلقه ان يصير في الأمكنه القذرة وأجواف الناس والطير والبهائم ، ويصير بزعمكم في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء ، لقد شوهتم معبودهم اذا كانت هذه صفته ،والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته.فلا بد لكم من أن تأتوا ببرهان بيّن على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضيه أو اجماع من المسلمين ولن تأتوا بشيء منه أبدا. فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها ، وستر آخر من زندقه صاحبه فقال : قال الله تعالى :

مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

(١)

(١) سورة المجادلة آية ٧ .

قلنا : هذه الآية عليكم لا لكم ، انما يعنى أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء ،وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه (يعلم السر وأخفى) ، أقرب الى أحدهم من فوق العرش ، من حبل الوريد قادر على أن يكون له ذلك ، لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافيه فى السموات ولا فى الأرض ، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه فى الأرض كما أدعيتم ، وكذلك فسرته العلماء .

قال بعضهم : دعونا من تفسير العلماء انما احتججنا بكتاب الله فأتوا بكتاب الله . قلنا : نعم ، هذا الذى احتججتم به هو حق كما قال الله عز وجل ، وبها نقول على المعنى الذى ذكرنا غير أنكم جهلتم معناها فضللتم عن سواء السبيل وتعلقتم بوسط الآية ، وأغفلتم فا تحتها وخاتمها لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به فقال :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
الى قوله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ (١)

(١) سورة المجادلة آية ٧ .

ففى هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وأعمالهم ،لا أنه نفسه فى كل مكان معهم ،كما زعمتم ، فهذه حجة بالغة لو عقلتم .)[١]

وقال الامام الاشعرى[٢] فى هذا الموضوع : أنه لو كان الله تعالى (فى كل مكان فهو تحت الأرض التى السماء فوقها ،واذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض، ففى هذا ما يلزمكم ان تقولوا ان الله تحت التحت، الأشياء فوقه ،وانه فوق والأشياء تحته ،وفى هذا مايجب أنه تحت ماهو فوقه وفوق ما هو تحته ،وهذا المحال المتناقض تعالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيرا .)[٣]

كذلك الامام البيهقى[٤] يرد على زعم الجهميه وغيرهم الذين يقولون بالحلول ويدعون بأن الله تعالى فى كل مكان والذين يستشهدون على ذلك بقوله تعالى : وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ[٥]

---

(١) عقائد السلف - ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) امام المتكلمين أبى الحسن علي بن اسماعيل بن اسحق بن سالم ابن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوفى سنة بضع ٣٢٠ .

(٣) الابانه عن أصول الديانة - ص ٣٢ - ٣٣ .

(٤) أبو بكر احمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٦م) من أئمة الحديث ، فقيه ، شافعى من الكبار . ولد فى خسروجرد ، ونشأ فى بيهق ، وتوفى بنيسابور . من مؤلفاته الكثيرة : (السنن الكبرى) ، (السنن الصغرى) ، (المبسوط) . (الأسماء والصفات).(الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، ص ٣) .

(٥) سورة الحديد آية ٤ .

يقول الامام : المراد به (بعلمه لابذاته ، ثم المذهب الصحيح في جميع ذلك الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف ، والى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا ، ومن تبعهم من المتأخرين ، وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آيه ، ووردت به الأخبار الصحيحه ، وقبوله من جهة التوقيف واجب والبحث عنه وطلب الكيفيه له غير جائز.)[1]

لقد أوضح لنا الامام البيهقى في النص السابق المنهج الصحيح الذى يجب أن يسار عليه في صفات الله تعالى ، حيث يجب الايمان بها كما أخبر عنها تعالى دون السؤال عن الكيفية ، لأن السؤال عن الكيفية يؤدى الى الضلال والهلاك ، حيث يبقى المفكر والباحث في ذلك في حيرة تامة ولا يصل الى نتيجة ايجابيه وهى المبتغاة، لذلك يجب أن نؤمن بأن الله استوى على عرشه وعلمه شامل محيط بكل مكان ، فالله تعالى معنا بعلمه الذى لانهاية له.

ولا نقول كما قالت الحلوليه والاتحاديه بأن الله حال فى كل شىء أو أن الأشياء متحدة به ، ان هذا القول مرذول فاسد لا أساس له من الصحة ولا يقول به الا كل ضال منحرف لأن أصحاب العقول السليمة المفكرة لا يقولون بهذا.

---

(١) الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة - ص ٥٥ - ٥٦ .

ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نذكر شيخ الاسلام ابن تيميه فى رده على هؤلاء الاتحاديه والحلوليه .

ولكن قبل أن نبدأ بالنص نوجه سؤالا الى أصحاب الوحدة والحلول ونقول لهم : بعد الاتحاد هل بقى الخالق والمخلوق اثنين ؟ أو صارا شيئا آخر ؟ اذا بقيا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبله كان لكل منهما صفاته الخاصة المميزة له ولا نقول أنهما اتحدا . أما اذا كانا بعد الاتحاد صارا شيئا ثالثا فبذلك نجد أن صفات الخالق قد تبدلت وطرأ عليها التغيير وبذلك يكون متصفا بصفات الحوادث القابلة للتغيير والتبديل وهذا مستحيل . وأيضا مادام صارا شيئا ثالثا يلزم من ذلك أن يكون المخلوق قد اتصف بصفات الخالق . وفى هذا يقول ابن تيميه : (الاتحاد ممتنع لأن الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد ، وان استحالا الى شىء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك، مما يشبه النصارى بقولهم فى الاتحاد، لزم من ذلك ان يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر مايتحد مع غيره فانه لا بد أن يستحيل ، وهذا ممتنع على الله ينزه الله عن ذلك ، لأن الاستحالة تقتضى عدم ما كان موجود والرب تعالى

واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ، ولأن صفات الرب اللازمة له صفات كمال، فعدم شيء منها نقص . تعالى الله عنه علوا كبيرا . ولأن اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي ان العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب، وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق، فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل، وصفات الرب تعالى اللازمة القدم والغنى والعزة وهو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه نقيض ذلك. فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي ان يكون الرب متصفا بنقيض صفاته من الحدوث والفقر والذل. والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي. وكل ذلك ممتنع. . . . ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد .)[1] قال تعالى :

إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ (٢)

---

(١) ابن تيميه - مجموعة الرسائل والمسائل - ج ١ - ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) سورة مريم الآيات ٩٣، ٩٤، ٩٥ .

ولا يضرنا اشتراك الأشياء في مسمى الوجود لأنها لم تشترك الا في المعنى الكلي ، ومعروف أن المعنى الكلي لا يوجد الا في أعيانه. فالوجود وان كان مشتركا بين الممكن والواجب ، الا أن الواجب له وجوده الخاص به والممكن له وجوده الخاص به ، اشتركا في معنى الوجود لكن وجود كل منهما يختلف عن الآخر .

يقول ابن تيميه : (فان قالوا : الوجود واحد بمعنى أن الموجودات اشتركت في مسمى الوجود ، فهذا صحيح . لكن الموجودات المشتركات في مسمى الوجود لا يكون وجود هذا (منها) عين وجود هذا ، بل هذا اشترك في الاسم العام الكلي كالاشتراك في الأسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ، ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام ، فالاشتراك في هذه الأسماء هو مستلزم لتباين الأعيان وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر . وهذا مما به يعلم أن وجود الحق مباين للمخلوقات أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الموجود . فاذا كان وجود الفلك مباينا مخالفا لوجود الذرة والبعوضة ، فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود كل مخلوق من مباينة وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر .)[1]

---

(١) ابن تيميه - مجموعة الرسائل والمسائل - ج ١ - ص ١١٠ - وانظر ابن تيميه - مجموع الفتاوى - ج ٢ - ص ٣٥٠ .

كذلك يبين لنا ابن تيميه أنه اذا لم يكن هناك وجود غير في الوجود إلا وجوده، فهذا القول يلزم ان تكون جميع الأفعال الشائنه من زنا وشرب خمر وسرقة ، وما الى ذلك كلها من أفعال الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وهذا مخالف لما أجمع عليه العقلاء، يقول ابن تيميه : (فيقال لهؤلاء الملاحده : ان لم يكن في الوجود غير بوجه من الوجوه، لزم ان يكون كلام الخلق وأكلهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله. ومعلوم ان من جعل هذه صفة لله كان من أعظم الناس كفرا وضلالا ، فمن قال : انه عين وجود الله كان أكفر وأضل، فان الصفات والأعراض لا تكون عن الموجود القائم بنفسه ..... وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع والعلوم العقليه الضروريه اثبات غير الله تعالى وان كل ما سواه من المخلوقات فانه غير الله تعالى، ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ، ولهذا أنكر الله على من عبد غيره، ولو لم يكن هناك غير لما صح الانكار، قال تعالى :

قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ (١)

---

(١) سورة الزمر آية ٦٤.

وقال تعالى :

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ (٣)

ان هؤلاء ضلوا وانحرفوا عندما خلطوا بين الخالق والمخلوق حيث جعلوا وجود الخالق ووجود المخلوق بمعنى أنهم جعلوا وجودهما واحداً .)[٤]

يقول ابن تيميه :(أصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله سبحانه للمخلوقات وعلوه عليها وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودنا بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها)[٥] .

انهم لم يفرقوا بين وجوده تعالى ووجود مخلوقاته فخلطوا بين الاثنين لذلك وبعد هذا يقال لهؤلاء : ان الله تعالى له وجوده الخاص به اللائق به لكونه الهاً وأنه لا يحل في الأشخاص ولا في الأشياء كما أنه لا يحل في القلوب كما يدعى البعض في هذا ،

(١) سورة الأنعام آية ١٤ .
(٢) سورة فاطر آية ٣ .
(٣) سورة الأنعام آية ١١٤ .
(٤) ابن تيميه ـ مجموعة الرسائل والمسائل ـ ج ١ ـ ص ١١٢ - ١١٣ .
(٥) ابن تيميه ـ مجموعة الرسائل والمسائل ـ ج ١ ـ ص ٦٩ .

وانما يحل فى القلوب الايمان به ، والتصديق له ، والتوحيد والمعرفه وهذه أوصاف مصنوعاته ، ومن جهة صنع الله بهم لا هو بذاته أو بصفاته يحل فيهم .(١)

قال الدكتور زكى مبارك : (ان القول بوحدة الوجود يحمل الديانات السماويه مجموعة من الخرافات والأوهام، فما دام الانسان جزء من الله وصورة من الصور المعبرة عنه ،كيف يعاقبه الله اذا أساء ويثيبه اذا أحسن ؟ أيحاسب الله نفسه ثم يثيب ، ويسيء ثم يعاقب ، ان الذين ذهبوا الى ذلك لقد تفلتوا من الشرائع وتحكمت فيهم النزوات والغرائز . فاستباحوا المحرمات وتركوا الواجبات والتكاليف وعاشوا على التفكك والانحلال منذ تفلتوا من قيود الشرع الحنيف .)(٢)

---

(١) انظر ابى نصر السراج الطوسى - اللمع - ص ٥٤٢ .
(٢) نقلا عن الحسينى - بين التصوف والتشيع - ص ٣٤٩ .

المبحث الرابع
الرد على منكري النبوة والأديان

لم تترك الزنادقة جانبا من جوانب هذا الدين الا وحاولوا الطعن فيه وتشويهه بشتى الأساليب. ولقد كان أبو الهذيل - كما تقدم - من ضمن العلماء الذين ردوا على هؤلاء الزنادقة في هذا الجانب. فقيل بأنه قد جرت مرة مناظرة بينه وبين رجل يهودى في هذا، وذلك أنه عندما بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة وقد قطع عامة متكلميها، فقال أبو الهذيل لعمه: أمض بي الى هذا الرجل أكلمه فقال له عمه: يابني هذا الرجل قد غلب جماعة من متكلمي أهل البصرة فمن أخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه؟ فقال أبوالهذيل: لابد من أن تمضي بي اليه، وما عليك مني غلبني أو غلبته. فأخذ بيدي ودخلنا على اليهودي، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه بنبوة موسى ثم يجحدهم نبوة نبينا فيقول: نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى الى أن نتفق على غيره فنقر به، قال: فدخلت عليه فقلت له: أسألك أو تسألني؟ فقال لي: يابني أما ترى ما أفعله بمشايخك؟ فقلت له دع عنك هذا واختر اما أن تسألني أو أسألك؟ قال: بل أسألك. قال: خبرني أليس موسى نبياً من أنبياء الله؟ قد صحت نبوته وثبت دليله تقر بهذا أو

تجحده فتخالف صاحبك ؟

فقلت لـه ان الذى سألتنى عنه من أمر موسى عندى على أمرين أحدهما أنى أقر بنبوة موسى الذى أخبر بصحة نبوة نبينا وأمر باتباعه وبشر به وبنبوته،فان كان عن هذا تسألنى فأنا مقر بنبوته ، وان كان موسى الذى تسألنى عنه لا يقر بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يأمر باتباعه ولا بشر به فلست أعرفه ولا أقر بنبوته بل هو عندى شيطان بحرق. فتحير لما ورد عليه من أبى الهذيل وقال : فما تقول فى التوراة؟فقال أبو الهذيل : أمر التوراة أيضا على وجهين ان كانت التوراة التى أنزلت على موسى النبى الذى أقر بنبوة محمد فهى التوراة الحق، وان كانت التوراة التى أنزلت على الذى تدعيه فهى باطل غير حق، وأنا غير مصدق بها. وعندما وجد ذلك الرجل نفسه قد انقطع عن الكلام ولم يستطع الاجابة على أبى الهذيل ما كان فى وسعه الا أن شتمه وخرج من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركها وخرج هاربا .(1)

وهذا القاسم ابراهيم يورد لنا شبهة ابن المقفع ويرد عليها حيث يقول : إن ابن المقفع قد طعن فى نبوته صلى الله عليه وسلم وقال عنه : أنه انما كان يقاتل من أجل الملك والدنيا . . الخ .

---

(1) انظر جابر عبدالعال - حركات الشيعة - ص ١٩٨ - ١٩٩ .

ثم يرد القاسم ابراهيم عليه أيضا فيقول : ان ابن المقفع قد غفل عن أدلة كثيرة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم منها سيرته صلى الله عليه وسلم قبل وبعد النبوة فهل يطلب الملك من يظل نهاره وليله خاشعا باكيا يسير فى الأرض حافى القدمين يدعو من هلك من أهلها الى النجاة وينادى من مات عن الهدى الى الحياة ، ويجالس فقراءها وينظر فى حوائجهم ويجيبها ، ويعود مرضاها اذا مرضوا ويشهد موتاها [1] ، ثم ان الملك قد عرض عليه فقد ذهب اليه عتبه وقال له : ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت انما تريد به ملكا ملكناك علينا ... وكان هذا العرض والرسول صلى الله عليه وسلم فى أوائل العهد المكى فلو كان يطلب الملك لاغتنم أول فرصة ، ولكن الواقع أنه عندما انتهى من كلامه قرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت ثم قال له الرسول صلى الله عليه وسلم قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب ملكا لناله مبكرا .

---

(١) انظر الرد على ابن المقفع ص ٢٦ .

يقول ابن المقفع : (فلا نعلم منذ كانت الدنيا - زعم - الى هذا الزمان الذى حان فيه انقضاؤها اخبث زبدة كلما مخض[١] واسفة فى ذلك التمخيض أهلا وابتر أصلا وأمر ثمرا وأسوأ أثرا على أمته والأمم التى ظهر عليها وأوحش سيرة واغفل عقلا وأعبد للدنيا واتبع للشهوات من دينكم - فلقد قال ويله فى هذا من أصول ديننا وفروعه ، ومفرق حكم دين الله وسموعه لا يخفى كذبه فيه عمن حكم باقل الحق عليه .)[٢]

ابن المقفع أراد هنا الطعن فى الدين والتشكيك فيه ، وانكار نبوته صلى الله عليه وسلم ويرد عليه القاسم ابراهيم فيقول له :
(أى دين أحسن نظاما من هذا الدين - الاسلام - وأعدل فى احكامه .

ان هذا الدين صالح لكل زمان ومكان ، لقد اعتدلت قوائمه على الأمر فيه بالعدل والاحسان ، ونهت نواهيه عن كل فحشاء ومنكر ولم يترك لمحسن ثوابا لعمل قام به وأحسن فيه ، ولا لمسىء عقابا لعمل أساء فيه بمقادير من قسط عادلة ، وموازين من عدل غير مائله ، فلولا هذا الدين لفسدت الأرض ، وانعدم فيها فعل الصالحات ولعمت فيها الفوضى ، ولضاع فيها حق الضعيف ولأصبح الظالم هو القوى) .[٣]

---

(١) المخاض (مخضت) الحامل - مخضا ، ومخاضا دنا ولادها وأخذها الطلق ، فهى ماخض (مجمع اللغة ، المعجم الوسيط - ج ٢ - ص ٨٥٧ .
(٢) القاسم ابراهيم - الرد على ابن المقفع - ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) المرجع السابق - ص ٢٩ .

وما زال الزنادقة الذين انكروا الأديان والرسالات المتبعسين في ذلك البراهمه ومن كان على شاكلتهم يوردون شبها ويستعينون بها في الطعن في بعض التكاليف التي يرون بعقولهم السقيمه أنها لا معنى لها ، كالشبه التي أوردوها على مناسك الحج من الطواف والسعي والوقوف بعرفه ، فيرون أنه مادامت عقولهم السقيمة لم تدرك لها معنى فان الواجب الا تكون . أورد الباقلاني هذه الشبهه ورد عليها بقوله : (وان قالوا : الدليل على فساد الرسالة قبح السعي بين الصفا والمروة والطواف بالبيت وتقبيل الحجر والجوع والعطش في أيام الصيام والمنع من فعل الملاذ التي تصلح الأجسام ، وأنه لا فرق بين البيت الحرام وبين غيره ، وبين الصفا والمروة وبين سائر البقاع ، وبين عرفة وبين غيرها ، فثبت ان ذلك اجمع ليس من أوامر الحكيم .

يقال لهم : ما أنكرتم أن يكون ذلك اجمع حكمة ، اذا علم الله سبحانه ان فعله والتعبد به صلاح لكثير من خلقه وداع لهم الى فعل توحيده والثناء عليه بصفاته وماهو أهله وغير ذلك مما ينالون به جزيل ثوابه ؟ وأن يكون ذلك بمنزلة حسن ركوب البحر وقطع المهمة القفر في طلاب الرفد والربح . وبمنزلة عدو الانسان بجهده وطاقته في الحزن [1] والوعر من الأرض خوفا من السبع وممن

---

(١) الحزن : ماغلظ من الأرض .

يريد قتله وسفك دمه ظلما وأخذ ماله ، وقبح ذلك منه اذا لم يكن في فعله اجتلاب منفعه ولا دفع مضره ؟

وأما قولكم أنه لا فرق بين الصفا والمروة والسعي بينهما وبين غيرهما ولا بين البيت الحرام وبين غيره فهو كما وصفتم .

ولو شاء الله ان يتعبد بالسعي في كل بقعة والتوجه الى كل جهة ، لساغ ذلك منه ، اذا عرض به لثوابه ، ولم يكن ذلك ناقصا لحكمته .

ويقال لهم : وكذلك ليس بحكيم من بنى أحسن البنيان وصور أجمل الصور وأشرفها ثم نقضها وهدمها وقبح صورتها وذهب ببهجتها وشوه خلقها .

فان قالوا : اذا كان في ذلك مصلحة للمخلوق جاز تغيير خلقه وقلب صفته ومحو محاسنه قيل لهم وكذلك اذا كان صوم كان في ذلك مصلحة للمخلوق جاز تغيير خلقه وقلب صفته ومحو محاسنه قيل لهم : وكذلك اذا كان صوم النهار وقيام الليل وتقبيل الحجر والطواف والسعي ورمي الجمار يعود بصلاح المكلف ، حسن تكليفه ، وكان ذلك أحسن في العقل - ان كان فيه حسن من اتلاف نفس المكلف وابطال حياته وهدم

صورته ومحو محاسنه وابطال عقله وحواسه . ولا جواب لهم عن ذلك .)[1]

كيف يستطيع هؤلاء هدم ماجاءت به الشرائع ، الا عن طريق الطعن فى النبوة وانكار الأديان .

لقد غرّوا من لا يعرفهم وقالوا لهم : ماهذا القرآن بشيء وهو مفسير لا تقوم به حجة والاسلام مبدل والفقهاء جهال كفار الى غير ما هنالك ، فاغتروا بهم وقبلوا منهم وصدوهم عن الاسلام فأوردوهم ما أصدروهم وأوقعوهم فى الضلال والانحراف[2] ، انهم فعلوا كل ذلك لشدة حقدهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولآل بيته وصحابته ، لقد كان من شبهة هؤلاء الزنادقة كالبراهمة وغيرهم انهم قالوا : ان الرسل اما ان تجيء بما يخالف العقل فلا يقبل واما ان تجيء بما يوافق العقل . فالعقل يغنى عنه فلا داعى لارسال الرسل .

ونجد الجواب على هذه النقطة فى رد القاضى عبد الجبار على هؤلاء حيث يقول : (أتعلم ان الأفعال ما من شيء منها الا ويجوز أن يقع على وجهه فيحسن وعلى خلاف ذلك الوجه فيقبح ، واما أن تحكم على فعل من الأفعال بالقبح والحسن مجرده فلا - اذا ثبت

---

(١) التمهيد - ص - ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .
(٢) انظر القاضى عبد الجبار - تثبيت دلائل النبوة - ج ١ - ص ٦٣ - ٦٤ .

هذان الأصلان بطل قول من قال ان هؤلاء الرسل ان أتوا بما في العقل ففي العقل كفاية عنهم ، وان أتوا بخلافه فيجب أن يكون قولهم مردود عليهم غير مقبول منهم ، لأن ما تأتي به الرسل والحال ماقلناه ، لا يكون الا تفصيل ماتقرر جملته في العقل ، فقد ذكرنا أن وجوب المصلحة وقبح المفسدة منفردان في العقل ، الا أنا لما يكننا أن نعلم أن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة ، بعث الله تعالى الينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال ، فيكونوا قد جاؤوا بتقرير ما قد ركبه الله تعالى في عقولنا ، وتفصيل ماقد تقرر فيها ، وصار الحال في ذلك كالحال في الأطباء اذا قالوا هذا البقل ينفع وذلك يضر وكنا قد علمنا قبل ذلك ان رفع الضر عن النفس واجب ، وجر النفع الى النفس حسن ، فكما لا يكون والحال ماقلناه قد أتوا بشيء مخالف للعقل ، فكذلك حال هؤلاء الرسل .) (١)

ان العقل مهما كان يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها الا أنه يجهل الكثير منها خاصة ماهو متعلق بالعبادات والمعاملات وما الى ذلك من أمور يصعب على العقل معرفة ما تنطوى عليه الا بارسال هؤلاء الرسل والانبياء فارسال الرسل والأنبياء يعتبر تفضلا من الله

---

(١) الأصول الخمسة - ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

سبحانه وتعالى ومنّه على عباده .

ألا تعلمون ان هناك اناسا كثيرين يعجزون عن سياسات الدنيا بل يحتاجون الى متمم كالحكماء والسلاطين فما بالنا اذاً بالأمور الالهية والأخرويه .[1]

وان وجد من الزنادقة من يقول : (لوكان هؤلاء الرسل ملائكة فيكون ذلك أقرب من الشك عن كون الرسول آدميا. فيقال لهؤلاء: كيف يكون الرسول ملكا من الملائكة ؟ انهم سوف يتخذون ذلك حجة ويقولون نحن لانستطيع ان نأتي بمثل ما أتى به لأنه من الملائكة ونحن بشر . كذلك ليس في قوى البشرية رؤية الملك لذلك جعله الله من البشر من جنسهم لكي يأنسوا اليه ويفهموا منه، قال تعالى : وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا[2] حتى يستطيعوا أن ينظروا اليه ، وقال أيضا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾[3] أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فلا يدركون ويشكون أملك هو أم آدمي .

بالاضافة الى أنهم حينما يعجزون عن اتيان ما أتى به يكون ذلك دلالة على صدق الرسول وصدق ما أتى به .[4]

---

(١) انظر ابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٦٤ .
(٢) سورة الأنعام آيه ٩ .
(٣) سورة الأنعام آيه ٩ .
(٤) انظر ابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٦٥ .

أما من ادعى كالبراهميه وقال ان الشرائع قد أتت بأشياء ينفر منها العقل مثل ايلام الحيوان فانما أخذ هؤلاء بظواهر الأشياء للطعن فيما أتت به الشرائع ولاقامة الشبهات حولها لأنه صحيح ان العقل ينكر ايلام الحيوان للحيوان أى ايلام بعضه بعضا ولكن متى اقتضت الحكمة الالهية ذلك فليس للعقل ان يعترض ، وانما عليه ان يسلم ويذعن لذلك . خاصة ماخفى عليه أمره لأنه قد علم ان حكمة الخالق لاخلل فيها ولا نقص ،لذلك وجب عليه التسليم ولكن اذا اشتبه عليه الأمر فى فرع من الفروع لايعنى هذا ان يحكم على الأصل بالبطلان.[1]

وأقول ليس ذلك في الحيوان وحده بل فى الانسان أيضا أليس قد أوجب الله عليه الجهاد مع مافيه من خطر الموت ، وهانت فيه الحياة من أجل هدف أسمى ، وعندما قالوا كيف أمكنه الاطلاع على ماخفى عن بقية الأفراد فهم بهذا انما يشبهون الكفار عندما قالوا : ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[2] ولو حكم هؤلاء عقولهم لأجازوا اختيار الله بعض أفراد من خلقه حيث خصهم الله تعالى بخصائص بها يعلون على غيرهم وبها يستطيعون ان يتلقوا من الوحى ، ولقد ضرب الله لنا مثلا فى هذه الحياة حيث أنه تعالى أخرج

---

(١) انظر ابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٦٥ - ٦٦ .
(٢) سورة المؤمنون آيه ٢٤ .

الى الوجود أدوية تقاوم مايعرض من الفساد البدنى فاذا كان قد أمد النبات والأحجار بخواص لاصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء فى دار الآخرة ، فلا يستبعد اذاً أن يخص شخصا من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية اليه اصلاحا لما يفسد من النفوس البشرية ، واذا كان المخالفون لا يستنكرون ان يختص أقوام بالحكمة فكيف امداد البارى سبحانه بعض الأفراد برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم.[1]

أيضا قد يوجد من الزنادقة من ينكر النبوة والرسالة ويقول عن محمد صلى الله عليه وسلم : انه كان رجلا حكيما . ويقال لهم : ان قولهم هذا باطل ، فالله تعالى يقول لنبيه "قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا"[2]. وكثيرا ما كان يقسم الصحابة بقولهم (والذى بعثك بالحق نبيا) ... وبذلك تبطل دعوى هؤلاء الزنادقة ، لأن حالهم لا يخلوا من أمرين : اما أن يصدقوا بهذه الآية أو يكذبوا بها . فان صدقوا بها فان الآية إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا[2] تبطل دعواهم . وان كذبوا بها فان دعواهم تبطل أيضا لأنهم قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم كان رجلا حكيما ، ثم يكذبونه والكاذب لا يكون حكيما.[3]

ونختتم الكلام هنا فى الرد على هؤلاء الزنادقة منكرى النبوة كالبراهمة وابن المقفع وغيرهما فنقول : بأن كلام هؤلاء الزنادقة انما يحمل دليل بطلانه بين طياته .

---

(١) انظر ابن الجوزى - تلبيس ابليس - ص ٦٤ .
(٢) سورة الأعراف - آية ١٥٨
(٣) العراقى - الفرق المفترقة أهل الزيغ والزندقة ١٩٦ .

ولكن العلماء قد الزموا أنفسهم وشغلوها بالرد عليهم حتى يقطعوا عليهم الطريق ، ويحفظوا هذا الدين من دعاوى الضالين .

يقول القاضى عبد الجبار فى هذا عن ابن المقفع (ولولا ان الأشعرية والرافضه والنصارى والزنادقة يرون هذا الرجل بعين المحصلين لما ذكرنا أسئلته لركاكتها ، ولكنه صنف شيئا للمشبهة و شيئا للمجبرة ، وشيئا للرافضة ، فسروا به لنقصهم ، وشهدوا له بالحذق لفرط غباوتهم وأنهم لا يعرفون الاسلام وأهله فمن أظهر لهم التصويب قبلوه لضعفهم وسوء أحوالهم ، وقبله اليهود والنصارى وحذقوه ، لأنه شتم محمدا رسول الله وأظهر تكذيبه وهو قد شتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وهارون ويحيى وعيسى وجميع النبيين صلوات الله عليهم أجمعين وكذبهم ،ولكن اليهود والنصارى بلا حجة ولا بصيرة فى مخالفتهم المسلمين ، فمن عادى محمدا صلى الله عليه وسلم تولوه وان كان عدوا لأنبيائهم ، كما لا بصيرة لأهل بدع الاسلام من المشبهة والمجبرة والرافضة .)[1]

---

(١) تثبيت دلائل النبوة -ج ١ -ص ٩٠ - ٩١ .

المبحث الخامس

الرد على شبه الزنادقة في القرآن والسنة

(١) الرد على الطاعنين في القرآن القائلين بالتناقض

لقد هلك هؤلاء الزنادقه عندما شكوا فى القرآن وقالوا عنه : انه ينقض بعضه بعضا ، كذبا أو افتراء على الله تعالى وجهلا بما ورد فى هذا الكتاب العظيم من الآى المحكم ، فانه نتيجة لذلك الجهل ، جاء الطعن فى الآى المتشابه .

ألا يعلم هؤلاء الملاحده ان للقرآن وجوها كثيرة ، ومواطن متعددة ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ (١)

لقد جرت هناك مناظرات عدة بين العلماء وبعض من هؤلاء الزنادقة الطاعنين فى القرآن وكانت الغلبه فى النهاية لهؤلاء العلماء ضد الزنادقه ، نذكر على سبيل المثال مادار بين أبى الهذيل العلاف (٢) وبين الرجل الذى قد أشكل عليه أشياء

---

(١) سورة آل عمران آيه ٧ .

(٢) لقد سبق ذكر أبى الهذيل العلاف هنا فى الرد والقاسم بن ابراهيم قبل الامام احمد للضرورة ، اذ ترتيب الافكار هنا يتطلب ذلك ولو ذكرتهما بعد ذلك لأصبح هناك شتات فى الأفكار ، ثم سرت بعد ذلك مراعية الترتيب الزمنى فى بحثى هذا .

من القرآن فطلب منه ان يوضح له ذلك ، يقول ابن المرتضى :

(أتاه رجل فقال له أشكل على أشياء من القرآن فقصدت هذا البلد فلم أجد عند أحد ممن سألته شفاة لما أردته ، فلما خرجت في هذا الوقت قال لى قائل ان بغيتك عند هذا الرجل ، فاتق الله وافدني ، فقال أبو الهذيل : فماذا أشكل عليك ، قال آيات من القرآن توهمني أنها متناقضه وآيات توهمني انها ملحونه قال : فماذا أحب اليك أجيبك ، بالجملة أو تسألني عن آية آيه . قال : بل تجيبني بالجملة . فقال أبو الهذيل : هل تعلم ان محمدا كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغة وانه كان عند قومه من أعقل العرب ، فلم يكن مطعونا عليه ؟ فقال : اللهم نعم . قال أبو الهذيل : فهل تعلم أن العرب كانوا أهل جدل ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل اجتهدوا في تكذيبه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضه أو باللحن ؟ قال : اللهم لا . قال أبو الهذيل : فتدع قولهم مع علمهم باللغة وتأخذ بقول رجل من الأوساط ؟ قال : فاشهد ان لا اله الا الله وأن محمد رسول الله قال : كفاني هذا وانصرف وتفقه في الدين .) (1)

---

(1) المنية والأمل - ص ٢٦ .

مرة أخرى نلتقى مع ابن المقفع ولكنه هنا يطعن فى القرآن الكريم ويرد عليه القاسم بن ابراهيم حيث يقول :

(وأما قوله فى القتال وانزل ملائكته فاذا غلبوا عدوا قال : انا غلبته أو غلب له ولى قال : أنا ابتليته . فما انكرويله من أنا غلبته وقد قاتلت معه ملائكته . وقد قذف بالرعب فى قلوبهم وبث الرعب فى مرعوبهم . وما ينكر من قتلهم ويله بالملائكة . وهل ذلك بهم الا كغيره من كل هلكة . الا أن ملائكة الله فى ذلك متعبدة مثابة ، وأنه منه جل ثناؤه بالملائكة لاعدائه معاقبه ، وانه لأوليائه عز ونصر ، ولاعدائه ذل وكسر . فان قال ألا قتلهم بما هو أوحى واجتياحهم بغير القتل اجتياحا . فهذا ان دخل علينا له دخل فى الملائكة دخل فى غيره من كل هلكة حتى يقاتل فى كل واحدة بعينها . الا كان الأمر بغيرها . وكل ما كان به كائن للهلكه فهو أمره بالملائكة أو غير الملائكة . فان قال : ألا خلق الناس ابرارا ومنعهم أن يكونوا أشرارا . فمسألة من سأل عن هذا محال وليس لأحد علينا فى هذا مقال . لأنه انما يكون البر برا ما فعله فاعله متخيرا . وأما ماجبر عليه صاحبه جبرا فلا يكون منه خيرا ولا شرا وفيما قال : أن يكون الانسان انسانا لا انسانا ـ والاحسان احسانا لا احسانسا

لأن الانسان لا يكون انسانا الا وهو ملك مختار . والاحسان لا يكون احسانا الا ولم يحمل عليه اضطرار .) .(1)

رد هذا الاعتراض ان من خلق الله من يفعل الخير ولا بد ، وهم الملائكة. ومن خلق الله من يفعل الشر ولا بد ، وهم الشياطين. بخلق الله خلقا متوسطا بين هؤلاء وهؤلاء يتأتى منهم الخير والشر ، ويكون جزاؤهم في الآخرة حسب ماقدموه في الدنيا. فلو خلق الانسان لايتأتى منه الا الخير لكان ملكا، ولو خلقه لايتأتى منه الا الشر ، لكان شيطانا. وكلاهما علم الله أنه لا يصلح خليفة في الأرض ، فكان من حكمته تعالى ان خلق الانسان يتأتى منه الخير والشر .

ثم يتابع القاسم بن ابراهيم رده على ابن المقفع فيقول : بأن أولياءه تعالى لم تَغلب الا بنصره ، ولم تُغلب الا بمخالفتهم لأمره. والدليل على هذا أنه أمسك عنهم نصره ، وكان في مقدوره ذلك ، وجعل مخالفتهم له سبب خذلانهم وعدم نصرهم ، واذا نصر وليا فبرحمته تعالى. وهذا الأمر لا تزول به عن قدير قدره ، ولا تفسد معه لحكيم حكمه ، بل الحكمة معه قائمة موجودة والأفعال فيه منه عدل محمودة .

وأما قوله : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ (2)

---

(1) الرد على ابن المقفع ص ٢٠ .
(2) سورة الأنفال آية ١٧ .

يقول : انه تعالى بالرعب الذى قذفه فى قلوبهم انهزموا لا بالرمى بالبطحاء حين رموا .

قال تعالى : وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ (١)

اذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون حينما رموا الكفار بالسهام لم يكونوا هم الذين رموا بالرعب فى قلوبهم ولكن الله هو الذى رماهم بذلك فوهنت عزائمهم وخارت قواهم فلم يصمدوا أمام المسلمين .(٢)

والآن نعرض بعضا من الآيات التى شكت فيها الزنادقة وقالت فيها بالتناقض . فمن جملة ماقالت به الزنادقة للطعن فى القرآن : ان الله يعذب مالم يرتكب الذنوب ويستدلون على ذلك بقوله تعالى :

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا (٣)

فلماذا يعذب جلودا لم تذنب ؟

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) انظر الرد على ابن المقفع - ص ٢٠ - ٢١ .
(٣) سورة النساء آيه ٥٦ .

يصور الامام أحمد بن حنبل هذه الشبهة ويرد عليها هكذا :

في قوله تعالى :

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (١)

(قالت الزنادقة : فما بال جلودهم لم تذنب حين يقول :

بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا (٢)

فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض .

فقلت : ان قول الله بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ليس يعني جلودا غير جلودهم ، وانما يعني بدلناهم جلودا غيرها ،تبديلها تجديدها ، لأن جلودهم اذا نضجت جددها الله[٣] .)

ويقول القاضي عبد الجبار : (ان المراد بهذا التنزيل أنه تعالى يغير ذلك الجلد عن صورة الاحتراق الى صورة الصحة فيقال : انه بدل ، وان كان الجلد ثانيا هو الذى كان أولا ، كما يقال في الماء أنه قد تغير وتبدل اذا صار ملحا بعد أن كان عذبا ، وقد قيل ان الله تعالى يخلق جلدا بعد جلد . ولا يوجب ذلك فسادا ، لأن المعذب هو العاصي دون أبعاضه ويصح عندنا أن يعظم الله تعالى جسد أهل النار على ما روى

---

(١) سورة النساء آيه ٥٦ .
(٢) سورة النساء آيه ٥٦ .
(٣) الرد على الزنادقه والجهميه - ص ٧ .

في الخبر ويعذبون .وهذا كما يذم ويلعن الكافر وان صار بعد كفره سنينا ولا يؤدى الى العظم الذى ينكر فان الله تعالى كما يخلق جلدا يفني ذلك حالا بعد حال ولذلك قال تعالى :

لِيَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ (١)

يجعل ذلك عذابا لهم لا للجلد .)[٢]

ويذكر الزمخشرى[٣] تفسيرا آخر لهذه الآية حيث يقول :

(العذاب للجلدة الحساسه وهى التى عصت لا الجلد لِيَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ ليدوم لهم ذوقه ، ولا ينقطع، كقولك للعزيز : أعزك الله، أى أدامك على عزك وزادك فيه .)[٤]

ويقول القرطبي[٥] أيضا : (ليس الجلد بمعذب ولا معاقب وانما الألم واقع على النفوس ، لأنها هي التى تحس وتعرف فتبدل الجلود زيادة في عذاب النفوس يدل عليه قوله تعالى لِيَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ .... فالمقصود تعذيب الأبدان وايلام الأرواح ولو أراد الجلود لقال (ليذقن العذاب))[٦]

---

(١) سورة النساء آيه ٥٦

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن - ج ٢ - ص ٩٩

(٣) ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى صاحب تفسير الكشاف ، توفي سنة ٤٦٧هـ .

(٤) الكشاف - ج ١ - ص ٥٣٤

(٥) ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي صاحب التفسير المشهور (تفسير القرطبي) توفي سنة ٦٧١ هـ

ومرة أخرى يأتون بشبهة أخرى يزعمون فيها ان القرآن فيه تناقض،فمرة يثبت عدم النطق للانسان يوم القيامة ومرة أخرى يثبت له التخاصم يوم القيامة .

يقول الامام أحمد:(وفى قوله تعالى

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ (١)

وقال فى آية أخرى :

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ (٢)

قال الزنادقة : كيف يكون هذا من الكلام المحكم قال

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ (٣)

ثم قال فى موضع آخر: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ (٤)

فزعموا ان هذا الكلام ينقض بعضه بعضا ، فشكوا فى القرآن .

فقال الامام أحمد وأما تفسير هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ فهذا أول ما تبعث الخلائق . على مقدار ستين سنة لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار فيعتذرون ، ثم يؤذن لهم فى الكلام فيتكلمون ، فذلك قوله :

---

(١) سورة المرسلات الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) سورة الزمر آيه ٣١ .
(٣) سورة المرسلات آيه ٣٥ .
(٤) سورة الزمر آيه ٣١ .

رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا (١)

فاذا أذن لهم فى الكلام فتكلموا واختصموا فذلك قوله

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ (٢)

عند الحساب واعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك

(لا تختصموا لدى) أى عندى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ (٣)

فان العذاب مع هذا القول كائن.) (٤).

وقيل: (يوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت، ولذلك ورد الأمران فى القرآن، أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع) (٥).

ثم تقول الزنادقة كيف يقول الله تعالى فى كتابه أنه يحشرهم صما أى لا يتكلمون، ومرة أخرى فى آية أخرى يقول أنهم ينادى بعضهم بعضا.

قال الامام أحمد فى ايراد هذه الشبهه: (قوله تعالى:

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا (٦)

---

(١) سورة السجدة آية ١٢.
(٢) سورة الزمر آيه ٣١.
(٣) سورة ق آيه ٢٨.
(٤) الرد على الزنادقة والجهميه - ص ٨.
(٥) الزمخشرى - الكشاف - ج ٤ - ص ٢٠٥.
(٦) سورة الاسراء آيه ٩٧.

وقال في آيه أخرى : وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ (١)

فقالوا ، كيف يكون هذا من الكلام المحكم ؟

وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا (٢)

ثم يقول في موضع آخر : انه ينادى بعضهم بعضا. فشكوا في القرآن من أجل ذلك فقال : اما تفسير (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) فانهم أول ما يدخلون النار يكلم بعضهم بعضا وينادون :

يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ (٣)

ويقولون : رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ (٤)

رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا (٥) فهم يتكلمون حتى يقال لهم :

ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ (٦)

فصاروا فيها عميا وبكما وصما وينقطع الكلام ويبقى الزفير والشهيق فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .) (٧)

---

(١) سورة الأعراف آيه ٥٠ .
(٢) سورة الاسراء آيه ٩٧ .
(٣) سورة الزخرف آيه ٧٧ .
(٤) سورة ابراهيم آيه ٤٤ .
(٥) سورة المؤمنون آيه ١٠٦ .
(٦) سورة المؤمنون آيه ١٠٨ .
(٧) الرد على الزنادقة والجهميه - ص ٩ .

ثم يقال : (وربما قيل في قوله تعالى وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا (١)

ما فائدة هذا السؤال في الآخرة وكلهم يعرفون ذلك .

وجوابنا : انهم قالوه على وجه التوبيخ لهم لا على طريق المسألة المرض) (٢) .

مرة أخرى يثيرون شبهة من التناقض في آية أخرى فيقولون : ان الله تعالى يثبت مرة مشرقا ومغربا ، ومرة مشرقين ومغربين ، ومرة مشارق ومغارب ، ويرون ان هذا تناقض .

يقول الامام أحمد :(وفي قوله تعالى :

(رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ) (٣) ، (رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾) (٤)

(بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ) (٥)

شك الزنادقة في هذه الآية وقالوا : كيف يكون هذا من كلام الحكيم ؟

فيقول الامام أحمد : أما قوله : (رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ) (٦)

فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار أقسم الله بمشرقه ومغربه ، وأما قوله (رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ) (٧) فهذا أطول يوم

---

(١) سورة الأعراف آيه ٤٤ .
(٢) القاضي عبد الجبار - تنزيه القرآن عن المطاعن - ج ٢ - ص ١٤٧ .
(٣) سورة الشعراء آيه ٢٨ .
(٤) سورة الرحمن آيه ١٧ .
(٥) سورة المعارج آيه ٤٠ .
(٦) سورة الشعراء آيه ٢٨ .
(٧) سورة الرحمن آيه ١٧ .

فى السنة ، وأقسم الله بمشرقهما ومغربهما ، واما قوله :

(بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ)[1] فهو مشارق السنة ومغاربها .)[2]

كذلك تقول الزنادقه : كيف يقول الله فى آياته ان المشركين عندما يسألهم الله تعالى عن الذين كانوا يعبدونهم شركاء مع الله تعالى يكذبون ذلك يوم القيامة وفى آيه أخرى يقول بأنهم فى ذلك اليوم لا يكذبون فشكوا فى ذلك وقالوا بالتناقض.

يقول الامام أحمد : (وأما قوله :

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ [3]

فانكروا ان كانوا مشركين ، وقال فى آية أخرى :

وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ [4]

فشكوا فى القرآن ، وزعموا أنه متناقض .

---

(١) سورة المعارج آيه ٤٠ .
(٢) الرد على الزنادقة والجهميه - ص ١٢ .
(٣) سورة الأنعام الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) سورة النساء آيه ٤٢ .

فقال : أما قوله : ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (١) وذلك أن هؤلاء المشركين اذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض : اذا سألنا نقول : لم تكن مشركين ، فلما جمعهم الله ، وجمع أصنامهم ، وقال :

﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢)

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٣)

فلما كتموا الشرك ، ختم على أفواههم وأمر الجوارح فنطقت بذلك . فذلك قوله : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (٤)

فأخبر الله عز وجل عن الجوارح حين شهدت فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .) (٥)

ويقول القاضي عبد الجبار : (وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ ..... ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ (٦)

ان الكذب يكون قبيحا وأهل الآخرة ملجؤون الى أن لا يقع منهم القبيح ، فالمراد بذلك ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٧) ،

---

(١) سورة الأنعام آيه ٢٣ .
(٢) سورة الأنعام آيه ٢٢ .
(٣) سورة الأنعام آيه ٢٣ .
(٤) سورة يس آيه ٦٥ .
(٥) الرد على الزنادقة والجهمية ص ١٣ - ١٤ .
(٦) سورة الأنعام آيه ٢٤ .
(٧) سورة الأنعام آية ٢٣ .

أى فى الدنيا لأنهم كانوا يحسبون أنهم بخلاف ذلك ثم قال : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (١) أى فى دار الدنيا لأنهم اخبروا عن أنفسهم بنفى الشرك وهم كانوا على أحوالهم فى الدنيا ومثل ذلك يكون فتنه فى الآخرة عليهم لأنهم يخبرون بما ليس بعذر، فلا ينفعهم ذلك ولذلك قال تعالى بعده ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢) يعنى ذهب عنهم وظنوا خلافه .) (٣)

ثم تقول الزنادقه : كيف يخبر الله عن نفسه ويقول بأنه سوف يراه عباده المؤمنون ومرة أخرى يقول بأنه لا يرى ولاتدركه الأبصار ، فقالوا : القرآن يناقض بعضه بعضا ، يذكر هذه الشبه الامام أحمد ويرد عليها حيث يقول : ((وأما قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤) وقال فى آيه أخرى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (٥) فقالوا كيف يكون هذا ؟

يخبر أنهم ينظرون الى ربهم وقال فى آيه أخرى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (٦) فشكوا فى القرآن وزعموا أنه ينقض بعضه بعضا .

أما قوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٧) يعنى الحسن والبياض ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٨)

---

(١) سورة الأنعام آيه ٢٤ .
(٢) سورة النحل آيه ٨٧ .
(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن - ج ٢ - ص ١٢٨ .
(٤) سورة القيامة الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٥ ، ٦)سورة الأنعام آيه ١٠٣ .
(٧) سورة القيامة آيه ٢٢ .
(٨) سورة القيامة آية ٢٣ .

(١)

يعنى تعاين ربها فى الجنة وأما قوله لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ

يعنى الدنيا دون الآخرة (٢).

(٣)

ويقول القرطبى : اما قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ..)

الأول من النضرة التى هى الحسن والنعمة والثانى من النظر

أى وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ... (إِلَىٰ رَبِّهَا) الى

خالقها ومالكها (نَاظِرَةٌ) أى تنظر الى ربها .)(٤)

أما قوله : لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ (٥) بين سبحانه أنه منزه عن سمات الحدوث، منها

الادراك بمعنى الاحاطه والتحديد ، كما تدرك سائر المخلوقات،

والرؤية .(٦)

ثم تقول الزنادقه أيضا : ان الله تعالى يقول : انه

ينسى فئة معينه من الناس الذين نسوا لقاء الله تعالى ثم يقول

فى آيه أخرى بأنه لا ينسى .

وهذا الامام أحمد يقول فى هذا : وأما قول الله تعالى

للكفار : وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا (٧)

وقال فى آية أخرى: فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ (٨)

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية - ص ١٥ .

(٣) سورة القيامة آية ٢٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن -ج ١٩ - ص ١٠٧ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن -ج ٧ -ص ٥٤ .

(٧) سورة الجاثية آية ٣٤ .

(٨) سورة طه آيه ٥٢ .

فشكوا فى القرآن ، أما قوله : (وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ[1] ..)
يقول : نترككم فى النار (كَمَا نَسِيتُمْ) كما تركتم
العمل للقاء يومكم هذا .)[2]

وأما قوله فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾[3] يقول : لا يذهب
من حفظه ولا ينساه .)[4]

يقول القرطبى فى تفسيره هذه الآية : (وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ)[5]
أى : نترككم فى النار كما تركتم لقاء يومكم هذا ، أى تركتم
العمل به .

أما قوله : (فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ[6] ...) قال : هذه
الآية ... تدل على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى ، فان الحفظ
قد تعتريه الآفات من الغلط والنسيان " .)[7]

ثم تقول الزنادقة : ان الله تعالى مرة يقول : انه
يحشر يوم القيامة من أعرض عن ذكره أعمى ثم يقول فى آية
أخرى بأنه يوم القيامة يكون بصره حديد فقالوا بالتناقض .

---

(١) سورة الجاثية آية ٣٤ .
(٢) الرد على الزنادقة - ص٢١ .
(٣) سورة طه آية ٥٢ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن - ج ١٦ - ص١٧٧ .
(٥) سورة الجاثية آية ٣٤ .
(٦) سورة طه آيه ٥٢ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن - ج ١١ - ص ٢٠٥ .

ويقول الامام أحمد :(وأما قوله تعالى :

وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ (١)

وقال في الآية الأخرى : فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢)

فشكوا في القرآن .

أما قوله : (وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾) (٣) عن حجته

وقال : (رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ) (٤) عن حجتي (وَقَدْ كُنتُ ، بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾) (٥) بها مخاصما بها فذلك قوله : فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ (٦) يقول الحجج

وأما قوله :

لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ (٧)

يقول : غطاء الآخرة ، فبصرك يحد النظر لا يطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث). (٨)

---

(١) سورة طه الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٢) سورة ق آية ٢٢ .
(٣) سوة طه آية ١٢٤ .
(٤، ٥) سورة طه آية ١٢٥ .
(٦) سورة القصص آية ٦٦ .
(٧) سورة ق آية ٢٢ .
(٨) الرد على الزنادقة ـ ص ٢١ - ٢٢ .

فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة ،

ويقول الملطى الشافعى فى تفسير ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [1] (عن حجته، وأما قوله : ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [2] فاذا بعث الله عز وجل الكافر من قبره فنظر الى البعث الذى كان يكذب به فى دار الدنيا وذلك كشف الغطاء عنه فبصره عند ذلك حديد، أى شاخص بصره لا يطرف) [3]

وقيل : (انه تعالى يحشرهم عميا ثم لا يبصرون لأن أحوال الآخرة مختلفة وقد قيل : مشبهها بالأعمى لما ينزل به من الحيرة . ومتى قيل كيف يصح ذلك مع قوله تعالى من قبل :

﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ (٤)

وهذا صفة للبصر . فجوابنا ان المراد حشرهم زرقا عميا ثم يبصرون . وقد قيل شبه الأعمى بالأزرق لذهاب السواد عن البصر وقوله من بعد .

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ (٥)

يدل على أنهم مع معرفتهم بالآخرة فانهم آمنون) [6] .

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .
(٢) سورة ق آية ٢٢ .
(٣) التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع - ص ١٧ .
(٤) سورة طه آية ١٠٢ .
(٥) سورة طه آية ١١٢ .
(٦) تنزيه القرآن عن المطاعن - ج ٢ - ص ٢٥٨ .

ثم يقول القرطبي في تفسير هذه الآيات : وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ .. (١)

(قيل : أعمى في حال ، وبصيرا في حال وقيل : أعمى عن الحجة ، قاله مجاهد ، وقيل : أعمى عن جهات الخير ، لا يهتدى لشيء منها وقيل : عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه ، كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه .) (٢)

ثم يقول في تفسير قوله تعالى : لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ (٣)

(أي بأي ذنب عاقبتني بالعمى ؟

أما تفسير قوله تعالى : فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٤) يراد به بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه ، فبصر القلب وبصيرته تبصرته شواهد الأفكار ونتائج الاعتبار ، كما تبصر العين ماقابلها من الأشخاص والأجسام ، وقيل : المراد ببصر العين وهو الظاهر أي بصر عينك اليوم حديد ، أي قوى نافذ يجرى ماكان محجوبا عنك . قال مجاهد : فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٥) يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن سيئاتك وحسناتك .

وقاله الضحاك وقيل : يعاين مايصير اليه من ثواب وعقاب . وهو معنى قول ابن عباس . وقيل : يعني أن الكافر يحشر وبصره حديد ثم يزرق ويعمى .) (٦)

(١) سورة طه آية ١٢٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن - ج ٦ - ص ٢٥٩ .
(٣) سورة طه آية ١٢٥ .
(٤ ، ٥) سورة ق آية ٢٢ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن - ج ٧ - ص ١٥ .

ب) الرد على القائلين بخلق القرآن [1]

لقد كان من ضمن الشبه التى حاولت الزنادقة الجهميه وغيرهم ، رمى القرآن بها والطعن فيه قولهم " بخلق القرآن" وكيف يكون ذلك كذلك ؟ والقرآن هو كلام الله منه بدأ واليه يعود ليس بخالق ولا مخلوق ، وهذا ماورد فى قول الامام جعفر الصادق وغيره من العلماء .

فيقول الامام ابن تيميه :(وعن جعفر الصادق بن محمد[2] وهو مشهور عنه - أنهم سألوه عن القرآن أخالق هو أم مخلوق ؟ فقال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله . . .)[3] ولكن الجهميه الزنادقة وغيرهم يأبون ذلك ، ويريدون تأكيد شبهتهم القول " بخلق القرآن " والعلماء فى ذلك لهم بالمرصاد لأنهم ضد هؤلاء الزنادقة الذين يجادلون فى حقيقة مفروغ منها ولا جدال

---

(١) فيما مضى استعنت بالمعتزله ضد الزنادقه فيما سبق من نظرياتهم أما الآن فاننى سأبين ضلال المعتزلة بأقوال أهل السنة . وردود أهل السنة لم تكن قاصرة عن الرد على الزنادقة فيما مضى ولكنى أردت أن أجمع ضدهم كل ما أستطيع من حجج .

(٢) هو : عبد الله جعفر الصادق بن أبى جعفر محمد الباقر بن على زين العابدين ، بن الحسين السبط ، بن على بن أبى طالب ، كان سيد بنى هاشم فى زمانه ، وقد توفى فى آخر سنة ١٤٨ عن ثمانية وستون عاما (البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٦١)

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل - ج ٣ - ص ١٣٤ .

(٤) أدركت هذا الفصل فى رسالة خاصة بالزنادقة ورد العلماء عليهم وذلك لما يروى عن السلف من تكفير القائل بخلق القرآن (انظر ص ٣٦٨ الى ص ٣٧٤) من الرسالة .

فيهما البتة يورد الامام أحمد شبهتهم تلك على لسان جهم[1] ويرد عليهما حيث يقول : (فمما يسأل عنه الجهمي يقال له : تجد في كتاب الله أنه يخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد .. فيقال له : فتجده في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان القرآن مخلوق - فلا يجد فيقال له : فمن أين قلت ؟ فيقول : من قول الله " إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا "[2] وزعم أن " جعل " بمعنى " خلق " فكل مجعول هو مخلوق ، .... وقوله " ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ "[3] يعني وخلق الظلمات والنور ... ثم ذكر - جعل - على غير معنى خلق . . وقال الله لابراهيم " إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا "[4] ، لا يعني اني خالق للناس اماما ، لأن خلق ابراهيم كان متقدما .

---

(١) جهم بن صفوان - تلميذ الجعد بن درهم ، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ على الزندقة والالحاد ، والجعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وتعطيل الله عن صفاته . وكان جهم يخرج بأصحابه فيقفهم على المجذومين ويقول انظروا : ارحم الراحمين يفعل مثل هذا ؟! انكارا لرحمته كما أنكر حكمته ، ووصفه بأنه قادر وموجد ، وفاعل وخالق ومحي ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وانما كانت تنسب الأعمال الى المخلوقين على المجاز كما يقال : زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به . وكان جهم مع ضلالته التي ذكرتها يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار ، وقتله سلم بن أحوز المازني في آخر زمان بني مروان (الشهرستاني - الملل - ج ١ - ص ٨٦ ، والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢١٢) .

(٢) سورة الزخرف آية ٣ .

(٣) سورة الأنعام آية ١ .

(٤) سورة البقرة آية ١٢٤ .

وقال ابراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (١) .....

وقال تعالى لأم موسى : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ (٢)

لا يعني وخالقوه من المرسلين - لأن الله وعد أم موسى أن يرده اليها ، ثم يجعله من بعد ذلك رسولا .

وقال :

﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ (٣)

وقال : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥﴾ (٤)

ومثله في القرآن كثير . فهذا ما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق . فاذا قال الله " جعل " على معنى خلق ، وقال " جعل " على غير معنى خلق ، فبأى حجة قال الجهمي جعل - على معنى خلق ، وقال " جعل " على غير معنى خلق فان رد الجهمي الجعل الى المعنى الذى وصفه الله فيه والا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٥.
(٢) سورة القصص آية ٧ .
(٣) سورة الأنفال آية ٣٧.
(٤) سورة القصص آية ٥ .

فـمـا قـال اللـه ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ (١)

وقـال ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ (٢)

وقـال :

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ (٣) ، فلما جعل اللـه القـرآن

عربيـا وبيسـره بلسـان نبيـه صلى اللـه عليـه وسلم ، كان ذلـك

فعـلا من أفعـال اللـه تبـارك وتعـالى ، جعـل القـرآن بـه عربيا

يعنى هذا بيـان لمن أراد اللـه هداه مبينـا ، وليس كما زعمـوا

معنـاه أنزلنـاه بلسـان العرب وقيـل بينـاه .) (٤)

أما ابن قتيـبه (٥) فانـه يـرد عليهـم فى هذا ويقـول : (وامـا

استشهادهم بالجعـل على خلـق القرآن فى قـول اللـه ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ (٦)

فان الجعـل يكـون بمعنيـين أحدهمـا خلق ، والآخـر غير خلـق .

---

(١) سـورة الزخـرف آيـة ٣ .
(٢) سـورة الشعراء الآيتان ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٣) سـورة مريـم آيـة ٩٧ .

(٤) سامى النشار وعمار الطالبى - عقائد السلف - ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ وانظر الجوينى - الشامل - ص ٤١ - ٤٢ .
(٥) ولد عبد الله بن مسلم بن قتيبه فى مرو فى سنة ٢١٣ هـ - ونشأ ببغداد أخذ عن اسحاق بن (راهويه) وابى اسحاق ابراهيم بن سفيان بن سليمان وأبى حاتم السجستانى ، وذكر ابن تيميه ان ابن قتيبه من المنتسبين الى مذهب الامام احمد بن حنبل فقال : (وابن قتيبه من المنتسبين الى احمد واسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله فى ذلك مصنفات متعددة ... توفى سنة ٢٧٦ .
(احمد بن حنبل ، البخارى ، ابن قتيبه ، عثمان الدارمى ، عقائد السلف ، ص ١٩) .
(٦) سـورة الزخرف آيـة ٣ .

فأما الموضع الذى يكون فيه خلق ، فاذا رأيته متعديا الى مفعول واحد لايجاوزه كقول الله :

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ (١)

فهذا بمعنى خلق . وأما الموضع الذى يكون فيه غير خلق فاذا رأيت متعديا الى مفعولين كقوله :

وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا (٢)

أى صيرتم ...) (٣)

من خلال رد الامام أحمد وابن قتيبه يتضح لنا مدى جهل جهم بمعانى القرآن الكريم أو أنه يتجاهل لكى يضلل غيره ويصل من خلال ذلك الى بغيته ومراده .

ولم يتوقف جهم عند ذلك الحد ، بل انه استمر فى ادعائه الباطل وافترائه على القرآن الكريم . ولكن الامام أحمد ومن معه من العلماء له ولغيره بالمرصاد ، وها هو الآن يورد لنا شبهة أخرى للجهم ويرد عليها بقوله : (ثم ان الجهم ادعى أمرا آخر فقال : انا وجدنا آية فى كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق فقلنا : أى آية؟ فقال : قول الله :

---

(١) سورة الأنعام آية ١ .
(٢) سورة النحل آية ٩١ .
(٣) احمد بن حنبل ، البخاري ، ابن قتيبه ، عثمان الدارمي . عقائد السلف - ص ٢٣٤ .

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ (١)

وعيسى مخلوق . فقلنا : ان الله منعك الفهم في القرآن ،
عيسى تجري عليه ألفاظ لاتجرى على القرآن ، لأنه يسميه
مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب ، وهو مخاطب بالأمر
والنهي ، يجرى عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد ، ثم
هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، ولا يحل لنا أن نقول
في القرآن ما نقول في عيسى . هل سمعتم الله يقول في
القرآن ماقال في عيسى ؟ ولكن المعنى من قول الله جل ثناوه

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ (٢)

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ فالكلمة التي القاها الى مريم حين قال له :
(**كن**) فكان عيسى **بكن** وليس عيسى هو **الكن** ، ولكن
بالكن كان ، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا .

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك ان الجهميه
قالوا : عيسى روح الله وكلمته ، لأن الكلمة مخلوقة وقالت
النصارى عيسى روح الله من ذات الله وكلمته من ذات الله .
كما يقال : ان هذه الخرقه من هذا الثوب ، وقلنا نحن : ان

(١ ، ٢) سورة النساء آية ١٧١ .

عيسى بالكلمة ، وليس عيسى هو الكلمة ، وأما قول الله (وروح منه)
يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ (١)

يقول من أمره. وتفسير روح الله انما معناها ، أنها روح بكلمة
الله خلقها لله كما يقال عبدالله وسماء الله وأرض الله .)[٢]

وابن تيميه يحدثنا عن جمع غفير من العلماء أقرت الأمة
بأنهم الأئمة فى الدين ، يروى ابن تيميه عن هؤلاء العلماء
وقوفهم فى وجه هؤلاء الزنادقة الذين قالوا بأن القرآن مخلوق
وأشاعوا هذا فى البيئة الاسلامية فاذا بهؤلاء العلماء يلقمون
الزنادقة الحجر ويحكمون عليهم بالخروج من زمرة المسلمين .
يقول ابن تيمية : (روى عن الحسن البصرى[٣] وأيوب السختيانى[٤]

---

(١) سورة الجاثية آية ١٣ .

(٢) عقائد السلف - ص ٨٢ - ٨٣ - وانظر الجوينى - الشامل - ص ٤٥ .

(٣) هو الحسن بن أبى الحسن واسم أبيه " مولى " الأنصار واسم امه " خيره " مولاة ل " أم يسار " زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وكانت " خيره " أمه (ربما) غابت ، فيبكى فتعطيه " أم سلمة " ثديها تعلله به الى ان تجىء أمه ، فيدر ثديها فيشربه. فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك . كان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ومات سنة عشر ومائة . (ابن قتيبه - المعارف - ص ٤٤٠ - ٤٤١) .

(٤) هو : أيوب بن أبى تميمه . واسم " أبى تميمة " كيسان ، وكان " أيوب يكنى : أبابكر وهو بنى عمار بن شداد " . . . وكان يحلق شعره فى السنة مرة ، فاذا طال فرقه . . . وقد رأى " أنس بن مالك " ومات ب " البصرة " فى الطاعون سنة ١٣١ ، وله ٦٣ سنة .
(ابن قتيبه ، المعارف ، ص ٤٧١) .

وسليمان التيمى [١] ، وخلق من التابعين . وعن مالك بن أنس والليث بن سعد [٢] ، وسفيان الثورى [٣] وابن أبى ليلى وأبى حنيفه والشافعى وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ، وأمثال هؤلاء، من الأئمة ، وكلام هؤلاء الأئمة واتباعهم فى ذلك كثير مشهور بل اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال : القرآن مخلوق وأنه يستتاب فان تاب والا قتل ، كما ذكروا ذلك عن مالك بن أنس وغيره ، ولذلك قال الشافعى لحفص الفرد وكان من أصحاب ضرار بن عمر ممن يقول القرآن مخلوق ، فلما ناظر الشافعى وقال له القرآن ، مخلوق ، قال له الشافعى ، كفرت بالله العظيم : ذكره ابن أبى حاتم فى الرد على الجهمية ،

---

(١) هو : سليمان بن طهمان من موالى " عمر بن مره بن عباد " من ضبيعة . ويكنى : أبا المعتمر . ونسب الى "بنى تيم" لأن منزله ومسجده فيهم . . . توفى بالبصرة سنة ١٤٣ ، وولد سنة مائة وستة فى البصرة . (ابن قتيبه ، المعارف ، ص٤٩٦) .

(٢) هو : مولىّ قيس" ويكنى أبا الحارث ، وكان ثقة، سريا، سخيا، يقال : ان دخله فى كل سنة خمسة آلاف دينار ، فكان يفرقها فى الصلاة وغيرها . مات سنة ١٧٥ (ابن قتيبه ، المعارف، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦) .

(٣) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق، ويكنى أباعبد الله ، ونسب الى ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخه بن اليأس بن مضر ويقال لثور : ثور أطحل وهو جبل . . . مات بالبصرة ، متواريا من السلطان ودفن عشاء . . . وقيل مات سنة احدى وستين ومائه وهو ابن أربع وستين سنة وقيل ولد سنة ٦٧ .
(ابن قتيبة ، المعارف ص ٤٩٧) .

قال كان فى كتابى عن الربيع بن سليمان قال حضرت الشافعى أو حدثنى أبو شعيب الا أنى أعلم حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن يزيد فسأل حفص عبد الله قال ما تقول فى القرآن ؟ فأبى أن يجيبه ، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه ، وكلاهما أشار الى الشافعى ، فسأل الشافعى فاحتج عليه وطالت فيه المناظرة ، فقال الشافعى بالحجة بان القرآن الكريم غير مخلوق وكفر حفصا الفرد . قال الربيع فلقيت حفصا فى المسجد بعد هذا فقال : أراد الشافعى قتلى .

وأما مالك بن أنس فنقل عنه من غير وجه الرد على من يقول القرآن مخلوق واستتابته ، وهذا المشهور عنه متفق عليه بين أصحابه ، وأما أبو حنيفه وأصحابه فقد ذكر أبوجعفر الطحاوى فى الاعتقاد الذى قال فى أوله : (ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء المله) أبى حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفى وأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصارى وأبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى) قال فيه : وان القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفيه قولا ، وأنزله على نبيه وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأثبتوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق .)[1]

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل - ج ٣ - ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وذكر البخارى عن الثورى أنه قال : (قال الثورى[1] من قال القرآن مخلوق فهو كافر .... وقال ابن مقاتل سمعت ابن المبارك[2] يقول : من قال : اننى أنا الله لا اله الا أنا مخلوق فهو كافر لاينبغى لمخلوق ان يقول ذلك .... وقال ابن المبارك لا [illegible]

[illegible] .

[illegible] : من قال لا اله الا هو ، مخلوق ، فهو كافر وانا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهميه .

وكان اسماعيل بن أبى أويس[3] يسميهم زنادقة العراق وقيل له : سمعت أحدا يقول : القرآن مخلوق .

فقال : هؤلاء الزنادقة والله ، لقد فررت الى اليمن حين سمعت العباس يكلم بهذا ببغداد من هذا الكلام .

---

(١) لعله يقصد محمد بن الصلت الثورى الحافظ البصرى المتوفى سنة ٢٢٨ هـ وهناك عمار بن محمد الثورى الكوفى ابن اخت سفيان ولكنه توفى سنة ٢٨ هـ متأخرا عن البخارى ولا يقصد سفيان الثورى لأنه سبق ان نقل عمله وسماه باسمه لابلقبه .
(احمد بن حنبل، البخاري، ابن قتيبة، عثمان الدارمي ، عقائد السلف ، ص ١١٩) .

(٢) هو الامام ابوعبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى المروزى قال احمد ابن حنبل ، لم يكن فى زمان ابن المبارك اطلب العلم منه ، توفى سنة ١٨١ هـ (سامى النشار وعمار الطالبى ، عقائد السلف ، ص ١١٩)

(٣) اسماعيل بن أويس ابوعبد الله الحافظ المدنى سمع من مالك ، وتوفى سنة ١٢٦ هـ . (سامى النشار وعمار الطالبى ، عقائد السلف ، ص ١٢٠)

وقال أبو الوليد : سمعت يحيى بن سعيد [١] يقول : وذكر له : ان قوما يقولون ، القرآن مخلوق ، فقال : كيف تصنعون بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [٢] كيف تصنعون بقوله ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ [٣]

وقال أبوعبد الله : نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم . واني لأستجهل من لا يكفرهم الا من لا يعرف كفرهم .

وقال سليمان بن داود الهاشمي : من قال القرآن مخلوق فهو كافر ....) [٤]

وقال أبوسعيد الدارمي : (حدثنا شهاب بن عباد العبدى الكوفي ، ثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو ابن قيس عن عطيه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام

---

(١) يكنى أبا سعيد ، وقدم على " أبي جعفر " وهو ب " الهاشميه " فاستقضاه ب " الهاشميه " ومات بها سنة ١٤٣ .
ابن قتيبه ، المعارف ، ص ٤٨٠) .

(٢) سورة الاخلاص آية ١ .

(٣) سورة طه آية ١٤ .

(٤) احمد بن حنبل ، البخاري ، ابن قتيبة ، [illegible] - عقائد السلف - ص ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٦ . وانظر ابن تيميه مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ - ص ١٣٥ - ١٣٦ .

الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .)[1]

حدثنا عقبه بن مكرم البصرى ، ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد ابن سواد ، ثنا سعيد بن أبى عروبه عن أشعث الحدانى عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه).[2]

قال أبوسعيد ، ففى هذه الأحاديث بيان ان القرآن غير مخلوق لأنه ليس شىء من المخلوقين من التفاوت فى فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه فى الفضل لأن ما بين المخلوقين يستدرك ولا يستدرك فضل الله على خلقه ، ولا يحصيه أحد ، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين ، ولو كان كلاما مخلوقا لم يكن فضل مابينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه ولا كعشر عشر جزء من الف ألف جزء ولا قريبا فأفهموه ، فانه ليس كمثله شىء فليس ككلامه كلام ولن يؤتى بمثله أبدا .)[3]

(١،٢) أخرجه الدارمى فى السنن -كتاب فضائل القرآن -باب فضل كلام الله على سائر الكلام -ج ٢ - ص ٣١٧ .
بلفظ : عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من شغله قراءة القرآن عن مسألتى وذكرى أعطيته أفضل ثواب السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .
وفى رواية أخرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ".

(٣) عقائد السلف - ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

ثم يقول الامام الأشعرى : (ويقال لهم : ان الشيء المخلوق اما أن يكون بدنا من الأبدان شخصاً من الأشخاص أو يكون نعتا من نعوت الأشخاص فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصا لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتا لشخص مخلوق لأن النعوت لاتبقى طرفه عين لأنها لاتحتمل البقاء وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فنى ومضى فلما لم يجز أن يكون شخصا ولا نعتا لشخص لم يجز أن يكون مخلوقا على أن الأشخاص يجوز أن تموت فمن أثبت كلام الله شخصا مخلوقا لزمه أن يجوز الموت كلام الله عز وجل وذلك مما لا يجوز ، وأيضا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى شخص مخلوق كما لا يجوز أن يكون نعتا لشخص مخلوق ولو كان مخلوقا فى شخص ككلام الانسان مفعولا فيه كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق اذا كانا مخلوقين فى شخص كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقا فى شخص مخلوق .

ويقال لهم أيضا لو كان كلام الله مخلوقا لكان جسما أو نعتا لجسم ولو كان جسما لجاز أن يكون متكلما والله قادر على قلبها وفى هذا مايلزمهم : ويجب عليهم ان يجوزوا ان يقلب الله القرآن انسانا أو جنيا أو شيطانا تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك ولو كان نعتا لجسم كالنعوت فالله قادر أن يجعلها

أجساما فكان يجب على الجهميه أن يجوزوا ان يجعل اللــه القرآن جسما متجسدا يأكل ويشرب وأن يجعله انسانا ويميته وهذا مالا يجوز على كلامه عز وجل .) [1]

من خلال هذه الردود اتضح لنا مدى فساد القول "بخلق القرآن " وأنه لا يجوز القول به مطلقا .

---

(١) الابانه عن أصول الديانه - ص ٢٦ .

(ج) الوضع في الحديث ومواجهة ذلك

لم يترك الزنادقة جانبا من جوانب الدين الاسلامى الا وقد حاولوا طمس حقيقته ، وذلك بالباسه شبها من شبههم المعروفة التى لا يملكون سبيلا الى هذا الدين غيرها ، حتى أننا نجد أن السنة النبوية لم تخل من هذا فقد (أقبر زنديق أمام المهدى بأنه وضع مائة ألف حديث. تجول فى أيدى الناس ولما قدم عبد الكريم بن أبى العوجاء للقتل اعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ويحلل فيها الحرام. وقد لمس بعض خلفاء بنى العباس ما وراء حركة الزنادقة من خطر على كيان الاسلام فتعقبوهم قتلا وتشنيعا وأشهر من عمل فى رقابهم سيف التأديب الخليفة المهدى الذى أنشأ ديوانا خاصا للزندقة تتبع فيه أوكارهم ورؤساءهم من شعراء وأدباء وعلماء .)[1]

وقال حماد بن زيد : (وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألف حديث ، بثوها فى الناس وفى رواية قال :

---

(١) محمد شوقى خضر - دراسات فى علوم الحديث - ج ٢ - ص ١٣٢ - وانظر محمد عجاج الخطيب - السنة قبل التدوين - ص ٢٠٨ .

" وضعت الزنادقة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر الف حديث .) (١)

والعلماء فى مقاومة وضاع الحديث وجدوا أنفسهم منتدبين لهذه المقاومة، فهو الجهاد الذى أوجبه الله عليهم. فكما أن الجندى فى الميدان يجاهد أعداء الله فالعلماء هنا وجدوا أنفسهم جنودا لمجاهدة أعداء الله الذين كذبوا متعمدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من فضل الله سبحانه وتعالى ان أعان هؤلاء العلماء على تأدية الرسالة اذ لولاهم لوجدنا أنفسنا الآن بين خليط من الحديث لا نعرف صحيحه من فاسده، ولكنهم رضوان الله عليهم لما قاموا بهذه المهمة حيث أناروا لنا الطريق الذى لا زلنا نسلكه وسيسلكه من بعدنا مدافعين عن السنة الى أن يأتى أمر الله .

ونضرب الآن أمثلة لجهود العلماء فى مواجهة هؤلاء الكذابين (ذكر الحافظ الذهبى في طبقات الحفاظ ان الرشيد أخذ زنديقا ليقتله فقال أين أنت من الف حديث وضعتها فقال له الرشيد : أين أنت ياعدو الله من أبى اسحاق الفزارى وابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا ؟ ، وقال ابن المبارك لو هم رجل فى السحر أن يكذب فى الحديث لأصبح والناس يقولون : كذاب .) (٢)

---

(١) محمد عجاج الخطيب ـ السنة قبل التدوين ـ ص ٢٠٨ .

(٢) محمد شوقى خضر ـ دراسات فى علوم الحديث ـ ج ٢ ـ ص ١٥٧ .

المبحث السادس

الرد على القائلين بالتناسخ

ان القول بالتناسخ ليدل على ضعف فى التفكير وفساد فى التصور ، جاء فى حوار للامام الصادق مع بن أبى العوجاء حيث سأله عن التناسخ فقال له الامام : (ان أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين وزينوا لأنفسهم الضلالات وزجوها فى الشهوات وزعموا أن السماء خاوية لاشىء فيها وأن مدبر هذا العالم فى صورة المخلوقين بحجة من روى أن الله خلق آدم على صورته[1] ، وأنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ، والنفس عندهم تتحول من قالب الى قالب آخر فان كان محسنا فى القالب الأول أعيد فى قالب أفضل منه حسنا فى أعلى درجة من الدنيا ، وان كان سيئا أو غير عارف صار فى بعض الدواب المتعبة فى الدنيا أو هوام مشوهة الخلقة ... فاستقبح مقالتهم كل الفرق ولعنتهم الأمم ، وزعموا مع ذلك أن الههم ينتقل من قالب الى قالب وأن الأرواح الأزلية التى كانت فى آدم وهلم جرا تجرى الى يومنا هذا فى واحد بعد آخر فاذا كان الخالق فى صورة المخلوق فبم يستدل على أن أحدهما خلق صاحبه .)[2]

---

(٢) الحسينى - بين التصوف والتشيع، ص ٩٢ .

ان القول بالحلول جر هؤلاء الزنادقة الى القول بالتناسخ فزعموا ذلك وصدقوا به ، والا فان العقل الراجح لا يمكن أن يفكر فى مثل هذه الضلالة السخيفة،بل ان التدرج فى مثل ذلك هو الذى قادهم الى مثل هذا، لأنه كما قال الامام جعفر رضى الله عنه اذا كان الخالق ممسوخ فى صورة المخلوق فكيف تميز ونفرق بين الخالق والمخلوق ؟ فلا يعقل هؤلاء مايقولون، انهم حقيقة ضالون مضلون .

يقول ابن الجوزى : أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار قال : أنبأنا على بن المحسن عن أبيه قال : حدثني أبو الحسن على ابن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبى بكر الفلاس قال : بأنه قد دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ، فأخذ يقول بمذهب التناسخ قال : فوجد بين يديه سنور أسود اللون وقد أخذ يمسح عليها ويحك بين عينيها تدمع كما جرت عادت السنانير بذلك وهو يبكى بكاء شديدا فسأله وقال له : لم تبكى فقال : ويحك أما ترى هذه السنور تبكى كلما مسحتها ، هذه أمى لا شك وانما تبكى من رؤيتها الى حسرة ، قال : وأخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا ، فقلت له : فهى تفهم عنك ما تخاطبها به ؟ فقال : نعم

فقلت : أتفهم أنت صياحها ؟ قال : لا ، قلت فأنت المنسوخ وهى الانسان [١].

ان القول بالتناسخ يلزم الانسان ان يتذكر ولو شيئا بسيطا من أعمال البدن الأول لأن العلم والحفظ واستحضار المخزونات فى الذهن من الصفات التى لاتختلف باختلاف الابدان والأحوال وصلتها بالنفس أوثق من صلتها بالبدن ، لأنه بالتأكيد الانسان لا يعرف شيئا عما كان قبل وجوده الذى هو فيه وفى هذا يقول فخر الدين الرازى [٢] : (والاقوى فى نفى التناسخ ان يقال : لو كنا موجودين قبل هذا البدن لوجب ان نعرف أحوالنا فى تلك الأبدان ، كما ان من مارس ولاية بلدة سنين كثيرة فانه يمتنع أن ينساها .) [٣]

---

(١) انظر تلبيس ابليس - ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) هو الامام الكبير شيخ الاسلام العلامة - الأصولى المتكلم الناظر ، المفسر ، صاحب التصانيف المشهورة فى الآفاق ... أبوعبدالله محمد بن الحسين بن الحسن بن علي ، البكرى القرشى ، الطبرستانى ، الرازى ، المولد ، الطلقب ، فخرالدين المعروف بابن الخطيب أو ابن خطيب الرى ، ذلك ان أباه كان خطيبا ، الفقيه الشافعى المذهب ، الأشعرى العقيدة ، الملقب بالامام عند علماء الأصول ، المقرر لشبه مذاهب الفرق المخالفين ، والمبطل لها باقامة البراهين ، فاق أهل زمانه فى العلوم العقلية والنقلية ، وخصوصا فى الاصلين ، أصول الفقه وأصول الدين والمعقولات ، وعلم الأوائل فريد عصره ، ونسيج وحده ، ولد فى ٢٥ رمضان سنة ٥٤٤ هـ وقيل ٥٤٣ الموافقة لسنة ١١٤٩ م ، وتوفى يوم الاثنين ، يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ (أصول الدين ، ص ٧ ، ١٢٠) .

(٣) أصول الدين - ص ١١٩ .

كذلك يقول ابن الجوزى : ان النفس لو تعلقت بعد مفارقتها للبدن ببدن آخر فانه يلزم من ذلك أن لابد أن يكون البدن مساويا لعدد المواليد بدون زيادة أو نقصان ، فانه لو زادت الوفيات فانه سوف تبقى هناك نفوس بدون ابدان وان زادت المواليد حصل العكس حيث تبقى ابدان بلا نفوس ، لأن فى أيام الحرب والجوع وانتشار الأمراض ونحو ذلك يزيد فيها عدد الوفيات عكس أيام السلم والرخاء فانه يزيد عدد المواليد على الوفيات فيلزم من ذلك أما تعطيل الأبدان أو تعطيل النفوس ، وأهل التناسخ والتقمص يلتزمون بعدم وجود المعطل فى الطبيعة هذا بالاضافة الى أن النفس لا تنتقل ولا تحل فى البدن الا عندما يكون له الاستعداد التام لقبولها ، فمثلا النبات والجماد والحيوان جميعها على اختلافها فهى ليست معدة لأن تتقبل النفس الانسانية كما أن بدن زيد لا يصلح لنفس عمر لأن نفسه تتصل به منذ بدأ تكوينه فى بطن أمه فهى مختصة به لاتنفك عنه والا لزم تخلف المعلول عن علته ، فهى بعد أن اتصلت بذلك البدن لا يمكن أن تنتقل اليه نفس أخرى ، لأنه لا يمكن ان تجتمع نفسان فى بدن واحد كما لا يشترك جسمان فى نفس واحدة وهكذا.[1]

---

(١) انظر تلبيس ابليس - ص ٩٠ - ٩١ .

كذلك يرد التبريزى [1] فى مخطوطه على القائلين بالتناسخ حيث يقول : ان الأرواح لو كانت تتناسخ فلا يحل لأحد أكل لحم ولا محاربة خلق لأنه لايدرى أيأكل خنزيرا أو يكون محاربا لأبيه . [2]

ويقول العراقى : (وأما قولهم ، الأرواح تنتقل من جسد الى جسد ، قلنا : هذا الكلام فاسد ، لأن الله تعالى خلق الأرواح وقدر أرزاقها قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف سنة . [3]

---

(١) حسام الدين حسن ابن شرف الدين التبريزى - توفى سنة ٧٩٠ .
(٢) انظر دامغة المبتدعين - ص ١٥٨ .
(٣) الفرق المفترقة - ص ٣٩ .

المبحث السابع

الرد على القائلين بالإباحية وإسقاط التكاليف

لقد فضح الامام الصادق سريرة هؤلاء الزنادقة فى حوار مع ابن أبى العوجاء عندما سأله عن التناسخ ، فقال له : زعم (أصحاب التناسخ ..... ان ليس عليهم صوم ولا صلاة ولا شىء من العبادات ، بل كل شىء من شهوات الدنيا مباح لهم من فروج النساء كالاخوات والبنات والخالات ، وذوات البعولة وكذلك الميته والخمر والدم ....الخ .)[1]

كذلك ذكر أبوزهرة فى كتابه عن أبى عبدالله جعفر بن محمد أنه كتب الى بعض أوليائه من الدعاة يكشف لهم أيضا سريرة هؤلاء الباطنية الزنادقة ، الذين انتحلوا الدعوة ، وتعدوا الحدود ، واستباحوا المحارم ، فكتب اليهم حيث قال : (وذكرت أنه بلغك أنهم يزعمون ان الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشاعر العظام والشهر الحرام انماهو دجل والاغتسال من الجنابة دجل ،وكل فريضة فرضها الله تبارك وتعالى على عباده فهى دجل ، وأنهم ذكروا ان من عرف ذلك الدجل فقد اكتفى

---

(١) الحسينى - بين التصوف والتشيع - ص ٩٢ .

بعلمه عن ذلك من غير عمل ، ويعد قد صلى وأدى الزكاة وصام وحج واعتمر واغتسل من الجنابة وتطهر وعظم حرمات الله والشهر الحرام والمسجد الحرام ، وأنهم زعموا أن من عرف ذلك الرجل ، وثبت في قلبه ، جاز له أن يتهاون ، وليس عليه أن يجهد نفسه وان من عرف ذلك فقد قبلت منه هذه الحدود لوقتها ، وان هو لم يعملها ...

وأنه بلغك أنهم يزعمون ان الفواحش التي نهى الله عز وجل عنها : الخمر والميسر والزنى والربا والميته والدم ولحم الخنزير اشخاص ، وذكروا ان الله عز وجل لم يحرم نكاح الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات ، وأن ما حرم على المؤمنين من النساء يعني بذلك نكاح نساء النبي صلى الله عليه وسلم وما سوى ذلك مباح .... وبلغك أنهم يترادفون على المرأة الواحدة ، ويتشاهدون بعضهم لبعض بالزور ، ويزعمون ان لهذا ظهرا وبطنا يعرفونه ، وان الباطن هو الذى يطالبون به ، ومن قال به فهو عندى مشرك بين الشرك ، فلا يسع أحدا أن يشك فيه .... ثم يعلق بعد ذلك الشيخ أبوزهرة على ذلك فيقول : لاشك ان محاربة الامام الجليل جعفر الصادق لهؤلاء اضعفت من نفوذهم ولكن عند المخلصين ،وسدت الطريق

عليهم ، الا على الذين على مثل نيتهم الفاسدة من ارادة هدم التعاليم الاسلامية .)[1]

وقد ذكر الملطى الشافعى فى كتابه أيضا هؤلاء الاباحيه ورد عليهم[2] بقوله تعالى :

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [3]

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : (ان الله تعالى قد بين فى هذه الآية أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال : نَحْنُ قَسَمْنَا [4] .. وقوله جلت عظمته لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا [5] .. قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا وهو راجع الى الأول ثم قال عز وجل : (ورحمت ربك) ... أى رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا .)[6]

---

(١) تاريخ المذاهب - ج ١ -ص ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ .
(٢) انظر التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع -ص ٩٣ .
(٣) سورة الزخرف آية ٣٢ .
(٤ ، ٥) سورة الزخرف آية ٣٢ .
(٦) تفسير القرآن العظيم - ج ٤ -ص ١٢٧ .

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) ﴾ (١)

يقول ابن كثير : (ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل أى بأنواع المكاسب التى هى غير مشروعة كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وان ظهرت فى غالب الحكم الشرعى مما يعلم الله أن متعاطيها انما يريد الحيلة على الربا ... وقوله ﴿ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ (٢) قرئ تجارة بالرفع والنصب وهو استثناء منقطع كأنه يقول : لا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن التاجرة المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى فافعلوها وتسببوا بها فى تحصيل الأموال ...

---

(١) سورة النساء آية ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) سورة النساء آية ٢٩ .

وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [1] أى بارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [2] أى فيما أمركم به ونهاكم عنه .. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ [3] أى ومن يتعاطى مانهاه الله عنه متعديا فيه ظالما فى تعاطيه أى عالما بتحريمه متجاسرا على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [4] وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن القى السمع وهو شهيد .[5]

وبعد هذا فكيف لهؤلاء أن يدعوا بأن هذه الدنيا ميراث لأولاد آدم والله تعالى يقول ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [6] أى أن الله له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن وأنه المطلع على مافيهن لاتخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر وان دقت وخفيت.[7]

كذلك الأنبياء أنفسهم لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ولو كانت الدنيا ميراثا لأولاده من بعده لكان قد ورثها أولاده الموجودين فى ذلك الوقت ولما تركوها حتى يأتى هؤلاء ويتحججون بذلك.[8]

---

(١)،(٢) سورة النساء آية ٢٩ .
(٣)،(٤) سورة النساء آية ٣٠ .
(٥) تفسير القرآن العظيم - ج ١ - ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .
(٦) سورة البقرة آية ٢٨٤ .
(٧) انظر ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ١ - ص ٣٣٧ .
(٨) انظر العراقى - الفرق المفترقة - ص ٧٢ .

ولقد أورد لنا ابن الجوزى شبهة هؤلاء الزنادقة والرد عليها فقال : (قد يقول الزنادقة أنه مادامت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة فلماذا نتعب أنفسنا بالعمل ونحرمها من المتعة واللذة ؟

فقال نرد على هؤلاء ونقول : ان قولكم هذا معناه رد الشرائع ودعوة الى اسقاط التكاليف لأن للآدمى كسبا هو اختياره وعلى هذا الاختيار يقع الثواب والعقاب ، لكن العبد اذا خالف فانه قد قضى الله فى السابق بأن يخالفه ، فيعاقب العبد على خلافه لا على قضاء الله له . قال صلى الله عليه وسلم : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له).[1]

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة الليل - باب فسنيسره لليسرى - ج ٨ - ص ٧٠٨ وأيضا فى كتاب الأدب - باب الرجل ينكث الشيء بيده فى الأرض - ج ١٠ - ص ٥٩٧ وكتاب القدر - باب وكان أمر الله قدرا مقدورا - ج ١١ - ص ٤٩٤ .
وكتاب التوحيد - باب ولقد يسرنا القرآن للذكر - ج ١٣ ص ٥٢١ .
أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب القدر - باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه . المجلد الثامن - ج ١٦ - ص ١٩٧ .
وأخرجه أبوداود فى السنن - كتاب السنة - باب القدر - ج ٢ - ص ٢٧٤ .
وأخرجه الترمذى فى السنن - كتاب القدر - باب ماجاء فى الشقاء والسعادة - ج ٤ - ص ٤٤٥ وكتاب التفسير سورة والليل اذا يغشى - ج ٥ - ص ٤٤١ .
قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وفي هذا الحديث اشارة الى أسباب القدر ، فمن قضى الله له بالعلم يسر له الطريق الى ذلك ، ومن قضى عليه بالجهل اقفل عنه كل أبواب العلم والمعرفة . وقال : قد يدعي منهم مدعي فيقول : باستغناء الله عن عباده حيث لاتنفعه طاعة ولا تضره معصية .

قال نرد عليه ونقول : ان منفعة العبادة انما هي راجعة للعبد لا الى الرب يقول تعالى :

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ (١)

وقال : وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ (٢)

فمثلا الطبيب عندما ينصح المريض ويأمره بالحمية فانما مصلحة ذلك ترجع الى المريض نفسه لا الى الطبيب .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦ .

(٢) سورة فاطر آية ١٨ .

ثم قال : وقد يقول أحد هؤلاء الزنادقة : ان رحمة ربي واسعة لاتعجز عن شمولنا فلماذا نحرم أنفسنا ؟

ويتابع ابن الجوزى رده على هذه المزاعم حيث يرى أن هذه الكلمة تظهر فيها الاباحية بكل معانيها ، نحن لانقول لا نطمع في رحمة الله بل هذا مطلوب ومحبب ولكن الى جانب ذلك يجب أن نخاف من عقابه فاذا كان الله غفوراً رحيماً فهو شديد العقاب ، قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ (١)

اذاً لابد لمن يطمع في رحمة الله أن يعمل بأسبابها ومن أسبابها العمل بما كلفه الله تعالى به ، وأن يتوب من الزلل وأن لا يعود اليه ثم يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يكون من الذين وسعتهم رحمته ، فبذلك يكون قد عمل بما يستحق به

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٨ .

أن يطلب الرحمة ويبقى بعد ذلك تحت مشيئته سبحانه وتعالى ليس أن يترك ما كلف به وأن يبيح لنفسه أن يرتكب كل ماهو محرم عليه ثم يطلب الرحمة قال صلى الله عليه وسلم (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)[1]

قال معروف الكرخي : رجاؤك لرحمة من لاتطيعه خذلان وحمق.

وقد تقول الزنادقة : ان مراد الشرع رياضة النفوس حتى تتخلص من أكدارها المرديه وعندما راضوها مدة قالوا بتعذر الصفاء ثم قالوا : لماذا نتعب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر؟.

ويقول ابن الجوزى : ان الشرع ليس مراده ازالة مافي الطبع بالرياضة لأن هذا محال . فالشهوة مثلا انما خلقت لفائدة اذ لولا شهوة الطعام لهلك الانسان ولما كانت هناك بشريه ... ولولا شهوة النكاح ، لانقطع النسل ... ولا نستطيع أن نتصور أن هؤلاء لايدركون هذا بل هم يتغافلون حتى يصلوا الى مرادهم لأن الرياضة كما قلت لاتغير الطبائع وانما هى كسر شهوة النفس والغضب لا لازالة أصلها . فالمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه ، وعادم

(١) أخرجه الترمذى فى السنن ـ كتاب صفة القيامة ـ باب ٢٥ ـ ج ٤ ـ ص ٦٣٨ قال أبوعيسى : هذا حديث حسن ، وأخرجه البيهقى فى المذهب كتاب الجنائز ـ باب ماينبغى لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل والاستعداد للموت ـ ج ٣ - ٣٤٢ - ٣٤٣ .

الرياضة كالصبى الجاهل الذى يأكل ما يشتهى ولا يبالى فيما تكون النتيجة ، وقد يقول أحدهم : ان حاصل النبوة يرجع الى الحكمة والمصلحة وكذلك كان القصد منها ضبط العوام وقالوا نحن لسنا من العوام ، فندخل فى التكليف . . . نحن قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة ، فبذلك سقطت عنا التكاليف ومنهم أقوام بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم بكلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة ، فاعتقدوا بذلك أنهم قد وصلوا وقالوا : باسقاط التكاليف عنهم لأنهم قالوا ما هى الا وسيلة نصل بها الى المراد كالذى يركب دابته حتى يصل الى الكعبة فمتى وصل اليها ترك السير ، وهذا كله قد أدى بهم الى انتهاك حرمات الله واتباع ما نهى عنه الشرع . . . فهم يقولون : ان رتبة الكمال لاتحصل الا لمن رأى أهله مع أجنبى فلم يقشعر جلده . فان اقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد ، اذ لو اكتمل لماتت نفسه .[1] وهذا ما دعت اليه الراوندية حيث كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته .[2]

---

(١) انظر تلبيس ابليس - ص ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) انظر الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٨ - ص ٨٣ .

كذلك الخرمية حيث يقول ابن النديم : (ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لاحد من الأمم ، اذا أضافوا الانسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائنا ماكان .) (١)

لقد تسربت هذه الأفكار الاباحية الى العالم الاسلامي وكانت ظاهرة فيه بشكل واضح في العصر العباسي الأول ، وما زلنا نعاني منها الى يومنا هذا حيث نجد أن القوانين الوضعية الآن تعتبر اباحيه فيما يتصل بالرجل والمرأة فهي لاتعاقب على الزنا وانما تعاقب عليه اذا تعلق به حق الغير فالرجل والمرأة اذا زنيا لاتعاقب المرأة الا اذا كانت متزوجة فالعقوبة هنا لحق الزوج وأما اذا كانت خالية من الزوج والفة فانه لا شيء عليهما وكذلك الرجل اذا زنا بامرأة لا زوج لها ولم يكن على فراش الزوجيه لا شيء عليه في القوانين الوضعيه وبذلك يستطيع أن يعيش مع امرأة أجنبيه ليست زوجة - كخليلة - تحت سمع القانون وبصره .

فنقول لهؤلاء : مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد ، وانما وضعت تلك الرسوم لمصلحة الناس وان في اسقاطها وتركها دمارا وهلاكا للبشرية تعديا على حقوقها فكيف يرضى بذلك عاقل ؟ .

---

(١) الفهرست - ص ٤٧٩ .

بالاضافة الى هذا نجد ان صاحب الشرع محمد عليه الصلاة والسلام قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولكنه لم يسقط ما عليه من تكاليف بل نجده يصلي حتى تكاد تتورم قدماه ويقول :أفلا أكون عبدا شكورا فالقيام بالتكاليف انما يسمو بالنفس ويرتقي بها الى درجات الكمال وان ترك تلك الرسوم والتكاليف يسقط بالفرد الى منابع الفحش على عكس ما يتصور هؤلاء السفلة، يقول جمال الدين الأفغاني : (تعاليمهم ، الاباحية والاشتراك ، فهؤلاء القوم هم الساعون في نسف بناء الانسانية ، وتذريته في ذيول السافيات ، يطلبون ضعضعة أركان المدنية ، وفساد الأخلاق البشرية ، ويقوضون بذلك مارفعه العلم ، شادته المعرفة فيهلكون الأمم باطفاء حرارة الغيرة ، واخماد ريح الحمية ، هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانه ، وأرومات الرذالة (١) والدناءة ، وأحلاس الخسة والنذالة ، وأعلام الكذب والأفتراء ودعاة الحيوانيه العجماء ، محبتهم كيد ، وصحبتهم صيد ، وتوددهم مكر ، ومواصلتهم غدر ، وصداقتهم خيانة ، ودعواهم للانسانية ودعوتهم للعلوم شرك ومكيده .

---

(١) الرذل : الدون الخسيس . وقد رذل فلان بالضم يرذل رذالة ولا ذولة ، فهو رذل ورذال بالضم ، من قوم رذول وأرذال ورذلا . (الجوهري ، الصحاح ، ج ١ - ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

يخونون الأمانة ، ولا يحفظون السر ، ويبيعون ألصق الناس بهم ، بأدنى مشتهياتهم عبيد البطون وأسراء الشهوات ، لا يستنكفون من الدنية ، اذا أعقبتها عطية ، ولا يخجلون من الفضيحة اذا تبعتها رضيخة[1] ، لا علم عندهم بالوقار ، ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ، ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر ، أو تفسير مفسر ، الابن فيهم لا يأمن أباه والبنت لا أمان لها من كليهما .)[2]

ما أحوجنا الى الاسلام للرد على الاباحية الموجودة الآن لأن كل قانون كما قلت لا يعاقب على جريمة الزنا اذا تمت برضى الطرفين فهو يقول بالاباحية .

(١) الرضح : مثل الرضخ . رضخت الحصى والنوى كسرته . ورضخت رأس الحية بالحجارة ، ورضخت له رضخا وهو العطاء ليس بالكثير وفي الحديث : " أمرت له برضخ " .
ورضخته وأرضخته ، اذا رميته بالحجارة ، وتراضخنا : ترامينا (الجوهري ، الصحاح ، ج ٤ - ص ١٧٠٨ .

(٢) الرد على الدهريين - ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الفتوى في قتل الزنديق

توبة الزنديق اختلف الفقهاء فيها فمنهم من يقول انها تقبل كالشافعي، والقائلون بذلك سندهم ما جاء في عموم قبول التوبة.

ومنهم من يقول : بأنها لاتقبل كالمذهب الحنبلي ودليلهم في ذلك ان الزنديق حينما يظهر التوبة انما يظهرها خوفا من السيف لأن من شأنه دائما ان يظهر الاسلام ويبطن الكفر والبعض بعض التفصيل :

يقول أبو الوليد الباجي في المنتقى شرح موطأ مالك : (وأما الزنديق وهو الذي يظهر منهم على كفر يسره وهو مع ذلك يدعي الاسلام فاختلف فيه العلماء فقال مالك : يقتل ولا يقبل منه الايمان اذا أسرته المنيه قبل أن يتوب ويراجع الايمان ، وقال الشافعي : تقبل توبته ولا يقتل.

ولأبي حنيفة في ذلك قولان : أحدهما مثل مالك والثاني مثل قول الشافعي وقد تعلق أصحابنا في ذلك بقوله تعالى :

فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ (١)

---

(١) سورة غافر آية ٨٥ .

وقالوا عن جماعة من أهل التفسير المتأمر فى الآية السيف .) (١)

وجاء فى الشرح الكبير (وقتل المستسر للكفر واظهر الاسلام بلا استتابه بعد الاطلاع عليه - بل ولا تقبل توبته الا أن يجيء قبل الاطلاع عليه تائبا فتقبل توبته ولا يقتل .) (٢)

جاء فى نيل المآرب بشرح دليل الطالب للشيخ عبد القادر ابن عمر الشيبانى المشهور بابن أبى تغلب تحت عنوان توبة الزنادقة مايلى :

(ولا يقبل فى الدنيا بحسب الظاهر بحيث يترك قتلهم وتثبت أحكام الاسلام فى حقهم توبة زنديق وهو المنافق الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر لقوله تعالى إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ (٣) والزنديق لا يظهر منه على ما يتبين به رجوعه وتوبته لأن الزنديق لا يظهر منه التوبة خلاف ما كان عليه فانه ينفى الكفر عن نفسه قبل ذلك وقلبه لا يطلع عليه الا الله ، فلا يكون لما قاله حكم لأن الظاهر من حاله أنه انما يستدفع القتل باظهار التوبة فى ذلك .

---

(١) المنتقى - شرح موطأ مالك - ج ٦ - ص ٢٥٠ - عن رسالة نظرية المصلحة فى الفقه الاسلامى - حسين حامد .
(٢) الشرح الكبير - ج ٤ - ص ٤٠٦ عن نفس الرسالة .
(٣) سورة البقرة آية ١٦٠ .

والمشهور على ألسنة الناس ان الزنديق هو الذى لا يتمسك بشريعة ، والعرب تعبر عن هذا بقولهم " ملحد " أى طاعن فى الأديان .

ولا تقبل توبة الحلوليه ولا المباحيه ، وكمن يفضل متبوعه على النبى صلى الله عليه وسلم أو يعتقد أنه اذا حصلت له المعرفة والتحقيق سقط عنه الأمر والنهى ، أو يعتقد ان العارف المحقق يجوز له التدين بدين اليهود والنصارى فلا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأمثال هؤلاء الطوائف المارقين من الدين ، فلا تقبل توبتهم فى الظاهر كالمنافق .) [(١)]

---

(١) ج ١ - ٣٩٣ - ٣٩٤ .

الخاتمة

قال تعالــى :

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ (١)

ان هـذه الآيـة الكريمـة تصـور أبلـغ تصويـر خاتمة الصراع بين الاسلام دين الحق ، وتلك العقائد الباطلة والمبادئ الهابطة والآراء الفاسدة من زندقة والحاد وانحلال . وان الباطل مهما زيّف وزيّن ، لا يصمد أمام نور الحق المبين

قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢)

وان هذا الصراع بين الحق والباطل وان كان متجدداً وباقياً ، وهذه سنة من سنن الله ، الاّ أننا تحدثنا عن مرحلة من مراحل هذا الصراع وصورة من صوره ألا وهى الزندقة وحركاتها خلال العصر العباسى الأول . وقد تبين لنا من خلال استعراض هذا الصراع

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٨ .

(٢) سورة المائدة آية ١٥ ، ١٦ .

وطبيعته ووسائله ، كيف زين الباطل نفسه في ثياب فكريه وفلسفيه ماكرة حاقدة لخداع عقول السذج وزعزعة عقيدتهم وبلبلة أفكارهم حتى يخرجوهم من الايمان الى الكفر ، متخذين من الوثنيات السابقة القديمة فارسية أو هندية أو يونانية ومستمدين منها أفكارهم ومعتقداتهم .

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ (١)

كما تبين لنا مدى خطورة تلك الأفكار والحركات الزندقيه على الفرد والمجتمع والأمة الاسلامية ، خاصة وأنها كانت تتوالى على الأمة في موجات متتاليه ومتعاقبه وفي قوالب وصور متعددة متخذة كل وسائل الهدم الفكرية والخلقية والحربية .

ولولا أن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه .

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ (٢)

وتعهد بنصرة عباده المخلصين :

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ (٣)

لولا هذه النعمة من الله لأصاب هذا الدين ما أصاب الأديان السابقة من زيغ وتحريف وضلالات . فقد قيض الله للدفاع عنه

---

(١) سورة التوبة آية ٣٠ .
(٢) سورة الحجر آية ٩ .
(٣) سورة الروم آية ٤٧ .

ومن صفاء العقيدة وسلامتها رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه من العلماء العاملين حتى علا الحق وساد ، وزهق الباطل وسحق أهله،وان كان مكرهم لتزول منه الجبال .

وأود في خاتمة بحثي هذا أن أعيد التركيز على بعض النتائج والنقاط الهامة التي أوردتها في هذا البحث .

أولا : ان مفهوم "الزندقة " قد اتسع ، فلم يعد يشمل فقط أولئك الذين اعتنقوا الاسلام ظاهراً وأبطنوا ايمانهم بدين الفرس القديم ، بل انه اتسع ليشمل كل ملحد حتى هؤلاء الذين كان مصدر الحادهم غير فارسي ، فالزنديق كل من ادعى الاسلام كذباً وهو يبطن الكفر به والايمان بغيره من المعتقدات ويعمل لهدم الاسلام عقيدةً وفكراً وسلوكاً واخلاقاً ، ونصرة معتقده ودينه سواء كان بالفكر أو السلاح .

ثانيا : ان المعتقدات والفلسفات الالحاديه الزندقيه التي راجت في تلك الفترة وتبنتها حركات منظمة كالزرداشتيه والمانويه والمزدكيه ، قد تزينت بأزياء براقة خادعة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبلة العذاب ، كالدعوة الى الفضيلة والعفة والزهد في الدنيا ، والعدالة الاجتماعية ،أوحب علي رضي الله عنه وآل

البيت عموماً ،أو الصفاء الروحي ، وغيرها مما يقدم
للناس واجهة حسنة خادعة . فاذا انخدع بهم السذج
من الناس تدرجوا بهم حتى يوصلوهم الى الكفر والالحاد
عقيدة والى الفجور والانحلال والاباحية خلقاً وسلوكاً .
فهم كما قال عنهم المهدى فى وصيته لابنه الهادى :
(يابنى ان صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة
... فانها فرقه تدعو الناس الى ظاهر حسن ،كاجتناب
الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ،ثم تخرجها
من هذه الى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة
ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال
بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال
الظلمة الى هداية النور ، فارفع فيها الخشب وجرد
فيها السيف ، وتقرب بأمرها الى الله لا شريك له ،
فانى رأيت جدك العباس فى المنام قلدنى بسيفين
وأمرنى بقتل الاثنين . قال : فقال موسى بعد أن
مضت من أيامه عشرة أشهر : أما والله لئن عشت
لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينا تطرف .)

ثالثا : ان أثر العقائد الهنديه يتضح فيما جاءت به
حركات الزنادقه من القول بالحلول وهو حلول الأعلى

(براهمان عند الهنود) في الأسفل (المخلوقات كلها) وكذلك في القول بوحدة الوجود ، بمعنى أن الموجودات كلها شيء واحد فما هي الا مظهر للوجود الأعلى . وأيضا عقيدة التناسخ . فان التناسخ يعتبر أحد أهم الدعائم الأساسية للنحلة الهندية .

رابعا : لقد كانت الترجمة المطلقة غير المقيدة أو المنضبطه بما هو حق أو باطل .. صحيح أو فاسد ، هذه الترجمة كانت رافداً حمل معه الى المجتمع المسلم الكثير من الأفكار والعقائد والفلسفات الفاسدة التى ساهمت في افساد عقائد الكثيرين بما تحمله من وثنيات وتعبر عنه من أفكار ضالـه وسلوكيات منحرفة ، ولقد أمدت كلها حركات الزندقة بكم هائل من الآراء التي استخدموها ونظّروها لتساعدهم على غواية الناس وافساد عقائدهم وانحلال مجتمعاتهم .

خامسا : ان حقد الزنادقة على الاسلام ورغبتهم الجامحة للقضاء عليه ، وهم كما قال تعالى :

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً (١)

---

(١) سورة النساء آية ٨٩ .

دفعهم ذلك الى اتخاذ كل السبل للوصول الى غاياتهم وتفننوا فى اتخاذ كل أساليب الغواية والاضلال ليخرجوا الناس من النور الى الظلمات ، فلم يتركوا سبيلا يأملون أن يحقق غاياتهم هذه الا وسلكوه ومن ذلك الطعن فى القرآن الكريم وفى نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم أو انكارها أو انكار النبوات جميعا بحجة الاكتفاء بالعقل ، ومنها الطعن والوضع فى الحديث بما يحقق أهدافهم ومراميهم الخبيثه ،وحتى يسلبوا الناس ايمانهم ويبعدوهم عن دينهم ، سعوا الى أغراقهم فى أوحال الشهوات واللذات وارتكاب الفواحش والمحرمات ، وحتى يسهلوا لهم هذا السقوط فى الهاوية ، اسقطوا عنهم التكاليف وانكار اليوم الآخر والجنة والنار وأولوا ذلك كله بتأويلاتهم الفاسدة وجاؤا بالقول بالتناسخ زورا وبهتانا كبديل عن الحساب والآخرة والجنة والنار .

سادسا : ولقد كان الاستتار بالتشيع وادعاؤه من أخطر وسائلهم واخبثها فى اصطياد العامة والتأثير فيهم ، وتحت اسم التشيع تألفت الجمعيات السرية التى عملت على نشر المبادىء والأفكار الباطنية والالحادية والاباحية

وفتيت الأمة ببذر بذور الفرقة والشقاق بينها . وقد تمكن الكثيرون من خداع البسطاء والعامة بدعوى النسب الطاهر أو أنه نائب الامام المستور ، وحاشى لله أن يجعل أهل بيت رسول الله دعاة للألحاد والزندقة هادمين لأركان الاسلام ، حتى قال أحدهم (فلأن يقال : اننّا رافضه وشيعة أحب الينا من أن يقال : زنادقة كفار ، وما عليّ عندنا بأحسن حالا من غيره ممن نقع بهم) .

ولقد كان أشد تيارات الزندقة عنفاً ، تلك الفرق التى استترت خلف قناع التشيع كالقرامطه والاسماعيلية وغيرهما .

سابعاً : لقد كان من آثار حركات الزندقة ونشر مبادئهم الالحادية الهدامة أن شاع فى بعض المجتمعات الاسلامية وخاصة مجتمع الكوفة تيار قوى من الانحلال والخلاعة والمجون والشرب والشذوذ والعبث بالغلمان والغزل الفاحش حتى أصبح الشذوذ ظاهرة اجتماعية يجهر بذكرها دون حياء . وقد روج لكل ذلك ما ضمه مجتمع الكوفة من أعداد كبيرة من الفرس الشعوبيين الحاقدين على الاسلام . وقد زاد من اشتعال نار الاباحية

والتحلل ظهور طبقة من الشعراء والأدباء المجان اشتهروا بالزندقة والمجون من أمثال الحمادون الثلاثة : حماد عجرد وحماد الراويه وحماد بن الزبرقان وبشار ابن برد وابن المقفع وغيرهم .

ثامنا : ان " الراوندية " و " المقنعية " و " الخرمية " حركات زندقيه الحاديه ، كانت سلاحا فتاكا أشهرته العناصر الحاقدة على الاسلام والمسلمين والتى مازالت أديانها ومعتقداتها القديمة حية فى نفوسهم وان تظاهروا خبثا - بالاسلام .واتخذوا من هذه الحركات وسيلة الى هدم الاسلام ،والثأر منه ومن بنيه بنشر تلك الأفكار الالحادية والعقائد الفارسية القديمة . ولذلك وجدنا أن هناك أرتباطا قويا بين الزندقة والشعوبية .

تاسعا : لقد كان الصراع بين الزندقة والاسلام قويا عنيفاً وتعددت ساحات الصراع وتنوعت ، فانبرت أمة الاسلام بعلمائها وفقهائها وخلفائها وأمرائها لمواجهة هذا الخطر الحاقد الخبيث بكل قواها . فقرعوا الباطل والفكر الهابط وعمليات التشكيك والتشويه بالحجة الدامغه والمنطق السليم والحكمة البالغة والرأى

السديد العاقل ، ووضحوا فى قوة وجلاء أباطيل المغرضين ، وزيف دعاواهم ، ووهن آرائهم ، وكشفوا خبث نواياهم وسوء منطقهم.

كما تصدت الأمة لهم فى ساحات القتال ومتابعتهم فى كل ميدان . وجرد لهم الخلفاء والأمراء الجيوش لملاحقتهم والقضاء عليهم . وكان هذا - كما سبق أن ذكرنا - من فضل الله على هذه الأمة ، فقد تكفل - وله الحمد والمنه - بحفظ كتابه ودينه ونصر عباده المؤمنين .

عاشرا : وكما سبق أن قلنا فى المقدمة ، ان الصراع بين الحق والباطل سنّة من سنن الله فى هذه الحياة الدنيا ، وقدر من أقداره ليبتلى الله المؤمنين ويمتحنهم ويمحص الصادقين ، قال تعالى :

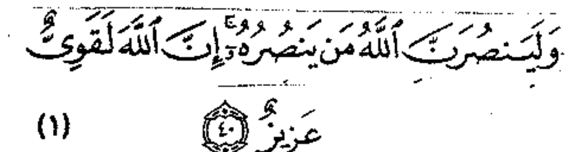
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (١)

---

(١) سورة الحجرات آية ١٥ .

فلا بد من تحقق عناصر ثلاثة : ايمان ، ويقين ، وجهاد . وقد كان الخلفاء والعلماء فى تلك الحقبة الخطيرة ، على مستوى المسئولية واجتازوا الاختبار ـ بعون الله ـ فانقذوا الأمة من خطر ماحق .

واليوم ـ وعنصر الاختبار والابتلاء مستمر ، وسنة الصراع قائمة ـ تتكالب على الأمة الاسلامية المكائد والفتن من كل جانب ، فالحقد الصليبى والعداوة اليهودية الصهيونية والأفكار والمبادىء الهدامة الألحادية من شيوعية وعلمانيه وانحلاليه وغيرها . . . كلها الآن تتكاتف وتتعاون لسحق الاسلام والقضاء عليه والعياذ بالله . ولا نجاة لنا الا بصفاء عقيدتنا وتمسكنا بديننا والتصالح مع الله والانابة اليه والاستعانه به . وأن يهب المسلمون جميعا ـ تحت راية القرآن ـ للدفاع عن دين الله ورد كيد أعداء الاسلام فى نحورهم ، بالفكر السديد والحجة الدامغة والقوة القادرة المخلصة لله والمستعينة به .



(١)

(١) سورة الحج آية ٤٠ .

ولأن أقتضت ارادة اللـه أن يكون هذا الصراع عنيفا وقويا وسجالا ، الا أن مما يثلج الصدر ويفرح القلب أن الغلبة كانت دائما لأهل الايمان والنصر دائما للاسلام . فكما رأينا فى فصول هذا البحث أنه مع عمق مكر أعداء الاسلام وشدة خبثهم وحيلهم الا أن النهاية كانت لصالح الاسلام والمسلمين والحمد للـه .

* * *

وبهذه الكلمات الخاتمة تمت رسالتى عن هذا الموضوع الهام فى تاريخ الاسلام والمسلمين وأرجو أن أكون قد وفقت فى تصوير تلك الحقبة من الصراع بين الحق والباطل وكيف واجه المسلمون . بخلفائهم وعلمائهم وجندهم ،سهام الضلال والتشويه والتشكيك حتى يظل الاسلام بنقائه وصفائه وسلامة عقيدته مشعا بنوره على العالمين .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ②

---

(١) سورة البقرة آية ١ ، ٢ .

فهرس الآيات القرآنية

مرتبة حسب ترتيب السور فى المصحف الشريف

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
الجاثية	٣٤	٣٦٤
		٣٦٥
محمد	٤	٦
الفتح	٢٨	٥
الحجرات	١٥	٤١٤
قٓ	٢٢	٣٦٧-٣٦٨
	٢٨	٣٥٨
الطور	٣٥	٣١٠
الرحمن	١٧	٣٦٠
الحديد	٤	٣٣٠
المجادلة	٧	٣٢٨-٣٢٩
الصف	٩	٥
الملك	١٦-١٧	٣٢٥
المعارج	٤٠	٣٦٠-٣٦١
القيامة	٢٢ - ٢٣	٣٦٣-٣٦٤
المرسلات	٣٥ - ٣٦	٣٥٧
النازعات	٤	٢٩٨
الاخلاص	١	٣٧٩

الصفحـــة

الصفحـــــة

فهرس المراجع

مرتبة حسب الحروف الأبجدية لأسمائها

١ - الابانة عن أصول الديانة - لأبى الحسن على بن اسماعيل ابن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - المتوفى بضع وعشرين وثلاثمائة .

- عنيت بنشره ومراجعة أصوله والتعليق عليه ، ادارة الطباعة المنيرية - درب الأتراك رقم (١) - القاهرة .

٢ - ابن حنبل - للأستاذ محمد أبوزهرة - دار الفكر العربى .

٣ - أبوحنيفة ؛ حياته وعصره وآراؤه وفقهه - للأستاذ محمد أبوزهرة - ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى .

٤ - آثار ابن المقفع (من التراث العربى) - وهو يحتوى على كليلة ودمنة والأدب الكبير والأدب الصغير - الدرة اليتيمة رسالته فى الصحابة والآثار الأخرى من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

٥ - أخبار العلماء بأخبار الحكماء - للوزير جمال الدين القفطى مطبعة دار السعادة - مصر - ١٣٢٦هـ .

٦ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام للدكتور علي عبد الواحد - دار النهضة للطباعة والنشر - الفجالة القاهرة .

٧ - الأصول الأفلاطونية (فيدون) -ترجمة وتعليق : دكتور علي سامي النشار - نجيب بكري - عباس الشربيني - دار المعارف بمصر - ١٩٦٢م.

٨ - أصول التشيع - عرض ودراسة : هاشم معروف الحسيني - دار القلم - بيروت - لبنان .

٩ - الأصول الخمسة - تعليق الامام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان - الناشر مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

١٠ - اظهار الحق - تأليف الشيخ رحمت الله الهندي - ١٢٣٣ - ١٣٠٨ م - تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي للطباعة والنشر - ميدان المشهد الحسيني - تلفون ٩٣٦١٤٥.

١١ - الاعتقاد (على مذهب السلف أهل السنة والجماعة) للامام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء باشراف دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٢ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للامام فخرالدين الرازى - مراجعة وتحرير دكتور/ على سامى النشار - دار الكتب العلميسة .

١٣ - الأعلام - للزركلى - دار العلم للملايين - ط/ ٥ آيار مايو ١٩٨٠م - بيروت.

١٤ - اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) تحقيق وتصحيح : محمد حامد الفقى .

١٥ - الأغانى - الاصفهانى - ط : ١ - دار الكتب المصرية.

١٦ - التقاء الحضارتين العربية والفارسية - د/ يحيى الخشاب ١٩٦٩م.

١٧ - أمالى المرتضى ؛ غرر الفوائد ودرر القلائد . للشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) - تحقيق : محمد أبوالفضل - دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) - ط : ٢ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٨ - أنباء الرواة على أنباء النحاة - الوزير جمال الدين القفطى مطبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ.

١٩ - الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد - ماقصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم - تأليف أبى الحسين عبد الرحيم ابن محمد بن عثمان الخياط المعتزلى - نقله الى الفرنسية

الدكتور / البيد نصرى نادر - المطبعة الكاثوليكية -
بيروت - ١٩٥٧م.

٢٠ - الأنساب - للامام سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى (٥٠٦ - ٥٦٢ هـ) حقق نصوصه وعلق عليه محمد عوامه - الناشر : محمد أمين دميج - بيروت لبنان. الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٢١ - ايران فى عهد الساسانيين
ألفه بالفرنسية : أثوكريستنسن - ترجمة :د / يحيى الخشاب - مراجعة : عبد الوهاب عزام - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٧م .

٢٢ - البداية والنهاية - أبى الفداء الحافظ بن كثير (٧٧٤هـ) مكتبة الرياض - دار الفكر - بيروت .

٢٣ - بوذا الأكبر حياته وفلسفته - حامد عبد القادر - القاهرة مصر - مكتبة النهضة-مصر - بالفجالة - ١٩٥٧م.

٢٤ - بيان مذاهب الباطنية وبطلانه -منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد - محمد بن الحسن الديلمى - عنى بتصحيحه : ر / شد وطمان - استانبول لجمعية المستشرقين الألمان - مطبعة الدولة ١٩٣٨م.

٢٥ - البيـان والتبـيين - أبى عثمـان بن بحـر الجاحـظ - تحقيق وشرح : عبد السلام هارون - مؤسسة الخانجى - القاهرة - ط : ٣ .

٢٦ - بين التصوف والتشيع - هاشم معروف الحسينى - دار القلم - بيروت لبنان .

٢٧ - تاريخ الاسلام السياسى - د / حسن ابراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية - ط : ٧ - ١٩٦٤م - القاهرة .

٢٨ - التاريخ الاسلامى وفكر القرن العشرين (دراسات نقدية فى تفسير التاريخ) تأليف : فاروق عمر - مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت - لبنان .

٢٩ - تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) - الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب - دار الكتاب العربى - بيروت .

٣٠ - تاريخ التراث العربى - فؤاد سنزكين - جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية - ١٤٠٣هـ .

٣١ - تاريخ الخلفاء - الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ط : ١ ١٣٧١هـ - مطبعة السعادة - مصر .

٣٢ - تاريخ الدول العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية - للمستشرق الألمانى يوليوس فلهوزن - نقله عن الالمانية

وعلق عليه : د / محمد عبد الهادى ، بجامعة القاهرة (والجامعات الليبية).راجع الترجمة : د / حسين مؤنس جامعة القاهرة (والمعهد المصرى بمدريد) .

٣٣ - تاريخ الشرق القديم - انتصار الحضارة - بقلم - جيمس هنرى برستد - نقله الى العربية - الدكتور /أحمد فخرى - مكتبة الانجلو المصرية - ١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة .

٣٤ - تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) - لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠) تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم - دار سويدان - بيروت - لبنان .

٣٥ - تاريخ العالم - نشره بالانجليزية - جون هامرتن - أشرف على ترجمته قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم المصرية الناشر : مكتبة النهضة المصرية بتكليف من وزارة التربية والتعليم.

٣٦ - تاريخ الفلسفة الاسلامية - وضعه بالانجليزية ماجد فخرى نقله الى العربية كمال اليازجى - بيروت - الدار المتحدة للنشر. ١٩٧٣ .

٣٧ - تاريخ الفلسفة فى الاسلام - تأليف الأستاذ / ت - ج - دى بور بجامعة أستردام نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبوريده بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول -

القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - عام ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م - القاهرة ٢٤ شعبان ١٣٥٧هـ - ١٨ أكتوبر ١٩٣٨م.

٣٨ - تاريخ الفلسفة الأغريقية - تأليف محمد غلاب. الطبعة الأولى ١٩٣٨م.

٣٩ - تاريخ الفلسفة اليونانية - تأليف يوسف كرم - الطبعة الخامسة - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

٤٠ - تاريخ المذاهب الاسلامية - للامام محمد أبوزهرة - ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ودار عطوة للطباعة والنشر مصر.

٤١ - التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين لأبي مظفر الاسفرايينى (توفى ٤٧١ هـ) - رحمه الله.

٤٢ - تثبيت دلائل النبوة - لقاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذانى (المتوفى سنة ٤١٥ هـ) حققه وقدم له : الدكتورعبد الكريم عثمان - الناشر : الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت-لبنان .

٤٣ - تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أومرذولة - تأليف ابوالريحان محمد بن احمد البيرونى المتوفى ٤٤٠هـ ١٠٤٨م صحح عن النسخة القديمة المخطوطة فى المكتبة الأهلية

بباريس (مجموعة شيفر رقم ٦٠٨٠) باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية . طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ـ الهند ١٣٧٧/١٩٥٨م.

٤٤ - ثمرات فارس ـ كتب فصوله أساتذة من المستشرقين ـ اشترك في كتابه وأشرف على نشره : أ. ج. أبوسرى . نقله الى العربية الأساتذة من كلية الآداب بجامعة القاهرة : محمد كفاني ـ السيد يعقوب بكر ـ أحمد الساداتي ـ محمد سفر خفاجة ـ أحمد عيسى ـ اشترك في كتابته وراجع ترجمته دكتور / يحيى الخشاب ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥٩م.

٤٥ - تفسير القرآن العظيم ـ للامام عماد الدين ابوالفداء ابن اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ) المجلد الرابع ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

٤٦ - التمهيد ـ تأليف أبي بكر محمد الباقلاني ـ عني بتصحيحه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ـ المكتبة الشرقية ـ بيروت ١٩٥٧م.

٤٧ - التنبيه والاشراف ـ للمسعودي ـ دار التراث ـ بيروت.

٤٨ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ للامام أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (المتوفى ٣٧٧هـ)

قدم له وعلق عليه : ..... زاهد بن الحسن الكوثرى -
مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف - بيروت ١٣٨٨/١٩٦٨م.

٤٩ - تنزيه القرآن عن المطاعن - لقاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد (المتوفى عام ٤١٥هـ) - الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - دار النهضة الحديثة - بيروت. لبنان.

٥٠ - التيار الاسلامى فى شعر العصر العباسى الأول - مجاهد مصطفى بهجت - مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت - لبنان ط : ١ سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٥١ - جامع الأصول فى أحاديث الرسول - تأليف الامام مجد الدين ابن الأثير الجزرى - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥٢ - الجامع الصحيح - وهو سنن الترمذى ، لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سوده (٢٠٩ - ٢٩٧هـ) تحقيق وتعليق : ابراهيم عطوة عوض - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - محمد نصار الحلبى وشركاه ، خلفاء - الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٥٣ - الجامع لأحكام القرآن - لأبى عبد الله بن أحمد الأنصارى القرطبى (٦٧١ هـ/١٢٧٣م).

٥٤ - الجانب الالهى من التفكير الاسلامى - د / محمد البهى - مكتبة وهبة - القاهرة - ط : ٦/ ١٤٠٢هـ دار غريب للطباعة بالقاهرة .

٥٥ - حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم فى الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق ابان العصر العباسى الأول . تأليف د / محمد جابر عبد العال - ط : ١ سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

٥٦ - الحرية فى الاسلام - تأليف : محمد الخضر حسين - طبعة ١٩٨٢م - دار الاعتصام - القاهرة .

٥٧ - حضارات الشرق القديم - د / نجيب ميخائيل ابراهيم . دار المعارف - ط : ٢ - ١٩٦٧م .

٥٨ - حضارات الهند - غستاف لوبون - نقله الى العربية : عادل زعتر - طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) .

٥٩ - الحياة الاجتماعية فى بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسى الأول - رمزية الاطرقجى - جامعة بغداد - ط : ١ ١٩٨٢ - بغداد .

٦٠ - حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى - يوسف خليف دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ .

٦١ - دائرة المعارف الاسلامية - باللغة الأوردية - اعداد جامعة البنجاب - باكستان .

٦٢ - دائرة المعارف الاسلامية - نقلها الى العربية : محمد ثابت وزملاؤه - انتشارات جهان - طهران - ايران - طبعة ايران .

٦٣ - دامغة المبتدعين ، كاشفة بطلان الملحدين - حسام الدين حسن بن شرف الدين التبريزى (المتوفى سنة ٧٩٠هـ) . مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٥ .

٦٤ - دراسات فى علوم الحديث - تأليف محمد شوقى خضر - الطبعة الأولى - القاهرة .

٦٥ - دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) أحمد محمد أحمد جلى - ط : ١ - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٦٦ - درء تعارض العقل والنقل - ابن تيمية أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم - تحقيق : د / محمد رشاد سالم - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - ط : ١ - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م الرياض - مطابع الجامعة .

٦٧ - الدعوة العباسية ، مبادىء وأساليب - د / حسين عطوان - دار الجيل - بيروت - مؤسسة خليفة للطباعة - لبنان .

٦٨ - دولة بني العباس - د / شاكر مصطفى .
وكالة المطبوعات - الكويت - ط : ١ - ١٩٧٣م.

٦٩ - الرد على الدهريين - جمال الدين الأفغاني - تحقيق : الشيخ محمود أبوريه - تقديم : الأستاذ صلاح الدين السلجوقي الناشر : دار الكرنك للنشر والتوزيع والطبع - عمارة رمسيس القاهرة .

٧٠ - الرد على الزنادقة الجهمية - الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤٦ هـ) - القاهرة - ١٣٩٩هـ.

٧١ - الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع للقاسم بن ابراهيم .

٧٢ - رسالة الغفران - أبي العلاء المعري - تحقيق : د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . دار المعارف - ط : ٧ - مصر .

٧٣ - (١) سنن الدارمي - للحافظ الحجة الامام الكبير شيخ الاسلام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - المولود سنة ١٨١ هـ والمتوفى ٢٥٥ هـ .
(٢) تخريج الدارمي وتصحيحه وتحقيقه ، لمحب السنة النبوية وخادمها السيد عبد الله هاشم يماني المدني بالمدينة المنورة (الحجاز) ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - دار المحاسبة للطباعة - ٢٤١ شارع الجيش - القاهرة .

٧٤ - السنة قبل التدوين - محمد عجاج الخطيب .
دار الفكر - بيروت - ط : ١ عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. ط:٢
عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

٧٥ - سهام الدين المارقة فى صدور الزنادقة - محمود حسن ربيع
جمعية التأليف والنشر الأزهرية بمصر - ط : ٢ عام ١٩٣٣م
مطبعة الآداب الحديثة - بالفجالة - القاهرة.

٧٦ - الشافعى ، حياته وعصره وآراؤه وفكره - للأستاذ محمد أبو
زهرة - ملتزم الطبع والنشر - دار الفكر العربى - ١٩٧٨م.

٧٧ - الشامل فى أصول الدين - لأمام الحرمين (٤٧٨ هـ)
د / سامى النشار وفيصل بدير وسهير محمد مختار . الناشر
دار المعارف بالاسكندرية - ١٩٦٩م.

٧٨ - شذرات الذهب - أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى
(١٠٨٩هـ) المكتبة التجارية للطباعة والنشر - بيروت.

٧٩ - الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية
فى العصر العباسى الأول - زاهية قدورة - دار الكتاب اللبنانى
عام ١٩٧٢م - بيروت - لبنان.

٨٠ - الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية - اسماعيل بن حماد
الجوهرى - تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للمسلمين
ص . ب ١٨٥ - بيروت.

٨١ - صحيح سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم - امام المحدثين أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى - الناشر دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

٨٢ - صحيح مسلم بشرح النووى - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٨٣ - الصلة بين التصوف والتشيع - كامل مصطفى الشيبى - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٤ - ضحى الاسلام - أحمد أمين - دار الكتاب العربى - بيروت لبنان .

٨٥ - طبقات الأطباء والحكماء - لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل - ألفه سنة ٣٧٧ .
تحقيق : فؤاد سيد - طبع مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة عام ١٩٥٥ - ص ٢٥/٢٦/٢٧.

٨٦ - العراق وماتوالى عليه من حضارات - حسن عون - ط:٢- ١٩٧٦.

٨٧ - العصر العباسى الأول (أو : القرن الذهبى من تاريخ الخلفاء العباسيين) د / عبد المنعم ماجد - مكتبة الانجلو المصرية ط : ٣ - ١٩٨٤م - القاهرة .

٨٨ - عقائد السلف ، للأئمة : أحمد بن حنبل ، البخارى ، ابن قتيبة ، عثمان الدارمى - د / على سامى النشار وعمار الطالبى - الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية - ١٩٧١م

٨٩ - العقيدة والشريعة فى الاسلام - أجناس جولدتسيهر . ترجمة : د / محمد يوسف موسى وزميليه - دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ببغداد . ط : ٢ .

٩٠ - علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب - لاصى أوليرى - ترجمة : د / وهيب عاقل - راجعه : زكى على - الناشر : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢م .

٩١ - عيون الأخبار - أبى محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى (توفى ٢٧٦هـ) - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة بيروت - مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ/١٩٢٩م .

٩٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى الامام عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - للامام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى مكتبة الرياض الحديثة - البطحاء - الرياض.

٩٣ - فجر الاسلام - تأليف : أحمد أمين - الناشر - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - الطبعة العاشرة ١٩٦٦.

٩٤ - الفرق بين الفرق - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفراييني (توفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٩٥ - فرق الشيعة - الحسن بن موسى النوبختى (من أعلام القرن الثالث الهجرى) دار الأضواء - بيروت - ط : ٢/ ١٤٠٤هـ .

٩٦ - الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة - أبى محمد عثمان ابن عبد الله بن الحسن العراقى الحنفى - تحقيق وتحشية وتقديم د / بشار قوتلو آى .

٩٧ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل - للامام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى (وبهامشه الملل والنحل للامام أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٩٨ - فضائح الباطنية - لأبى حامد الغزالى .
حققه وقدم له : د /عبد الرحمن بدوى - مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت - حولى .

٩٩ - الفلسفة الاسلامية فى الشرق - د / فيصل بديرعون - مكتبة الحرية الحديثة - جامعة عين شمس - ١٩٨٢ . القاهرة .

١٠٠ - الفلسفة الشرقية - تأليف الدكتور محمد غلاب - الطبعة الثانية - الناشر - مكتبة الانجلو المصرية - شارع عماد الدين - ت ٥٠٣٣٧ مطبعة لجنة البيان العربى .

١٠١ - الفلسفة فى الشرق - تأليف : بول ماسون أورسيل - ترجمة : محمود يوسف موسى - ملتزم الطبع والنشر - دار المعارف بمصر .

١٠٢ - الفهرست - لابن النديم - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

١٠٣ - القادسية الكبرى (قادسية صدام) - د / محمد بديع شريف - دار الجيل للطباعة - القاهرة .

١٠٤ - قرامطة البحرين دعوتهم ودولتهم - ناصر بن فوزان الزامل - ١٤٠٣ - ١٩٨٢م .

١٠٥ - قصة الحضارة - ول ديورانت - ترجمة : د / زكى نجيب محمود الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية - مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة - ط : ٣ (١٩٦٨م) .

١٠٦ - القصور العوالى رسائل الامام الغزالى - (القسطاس المستقيم منهاج السنة ، الرسالة اللدنيه ، فيصل التفرقة، أيها الولد للامام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى - حققه وخرج أحاديثه : فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبوالعلا - مكتبة الجندى بسيدنا الحسين بمصر .

١٠٧ - الكامل فى التاريخ - تأليف الشيخ العلامة عزالدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير - دار صادر - بيروت - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٠٨ - كشاف اصطلاحات الفنون - محمد على الفاروقى التهاوندى حققه : د / لطفى عبد البديع - ترجم النصوص الفارسية : عبد النعيم محمد حسين - راجعه : الأستاذ / أمين الخولى - وزارة الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

١٠٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل تأليف : أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - دار المعرفة للطباعة والنشر مكة المكرمة .

١١٠ - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - للعالم العلامة الفقيه الزاهد محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى ، من فقهاء السنة فى اليمن فى أواسط المائة الخامسة للهجرة ، نشره وصححه وراجع أصله على النسخة الفتوغرافية الوحيدة المحفوظة بدار الكتب المصرية الأستاذ عزت العطار - ١٩٣٩م.

١١١ - كليلة ودمنة - عبد الله بن المقفع - دار الكتاب العربي سورية .

١١٢ - اللباب - لشيخ المؤرخين عزالدين على بن الأثير - مكتبة حسام الدين القدسي - باب الخلق ، القاهرة - مطبعة الصابونجي ١٣٨٦هـ .

١١٣ - لسان العرب - لابن منظور - (جمال الدين أبوالفضل محمد بن جلال الدين أبوالعز - توفى سنة (٧١١هـ) - طبعة دار صادر بيروت - ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

١١٤ - اللمع - لأبى نصر السراج الطوسى .
دار الكتب المصرية ومكتبة المثنى - بغداد - ١٣٨٠ مصر .

١١٥ - مالك ، حياته وعصره وآراؤه وفقهه - للأستاذ / محمد أبوزهرة ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربى .

١١٦ - مباحث فى علم الكلام والفلسفة - د / على الشابى - دار بوسلامة للطباعة والنشر - تونس : ط ١ .

١١٧ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية - جمع الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم - حكومة المملكة العربية السعودية - ط : ٣ / ٣٩٨هـ .

١١٨ - مجموعة الرسائل والمسائل - شيخ الاسلام ابن تيمية - دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

١١٩ - مختصر الصواعق المرسلة - ابن قيم الجوزية - طبعة بيروت - دار الندوة الجديدة - ١٤٠٥/١٩٨٤م.

١٢٠ - مروج الذهب - لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (توفى ٣٤٦ هـ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٢١ - مسند الامام أحمد بن حنبل - وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال .

الناشر : المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر - بيروت .

١٢٢ - المصلحة فى الفقه الاسلامى - تأليف : حسين حامد - ط : ١ .

١٢٣ - المعارف - لابن قتيبة أبى محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣هـ/٢٧٦هـ) (٨٢٨م/٨٨٩م) .

حققه وقدم له : دكتور /ثروت عكاشة - دار المعارف .

١٢٤ - معالم أصول الدين (من تراث الرازى) للامام فخرالدين محمد ابن عمر الخطيب الرازى - الناشر : دار الكتاب العربى ص.ب ٥٧٦٩ - بيروت .

١٢٥ - معجم البلدان - للامام الشيخ شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموى الرومى البغدادى .

دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٢٦ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت .

١٢٧ - المعجم الوسيط - قام باخراج هذه الطبعة الأساتذة :
ابراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحى ، محمد
خلف الله أحمد - أشرف على الطبع : حسن على عطية
محمد شوقى أمين - دار الباز للنشر والتوزيع (عباس أحمد
البار) مكة المكرمة .

١٢٨ - المغنى فى أبواب التوحيد والعدل (الفرق غير الاسلامية) املاء
القاضى أبى الحسن عبد الجبار الأسدى آبادى (توفى ٤١٥هـ)
تحقيق : محمود محمد الخضيرى - مراجعة :د /ابراهيم مدكور
اشراف د / طه حسين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء
الدار القومية للتأليف والترجمة والنشر - مطبعة مخيمر ١٩٦٥م

١٢٩ - مفتاح كنوز السنة - محمد فؤاد عبد الباقي - المكتبة
الامداديه - وضعه باللغة الانجليزية د - أ - ى فنسنك
الناشر ادارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان .

١٣٠ - مفاتيح العلوم - محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى (٣٨٧هـ)
الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت . ط: ١ - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

١٣١ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين - للامام أبى الحسن على بن اسماعيل الأسدى - تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ملتزم الطبع والنشر : مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده - ٩ شارع عدلى باشا - القاهرة .ط : ٢ ١٣٨٩هـ .

١٣٢ - مقالات فى أثر الشعوبية فى الأدب العربى وتاريخه - د /نعمة رحيم العزاوى - سلسلة المكتبة الثقافية لنقابة المعلمين .

١٣٣ - الملل والنحل - لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) - تحقيق : محمد سيد الكيلانى - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

١٣٤ - من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام - تأليف : بندلى جوزى مطبعة القدسى - القدس.

١٣٥ - من تراث الرازى - أصول الدين ، وهو الكتاب المسمى معالم أصول الدين للامام فخرالدين محمد بن عمر الخطيب الرازى - طبعه عبد الرؤوف سعد - الناشر - دار الكتاب العربى - ص.ب ٥٧٦٩ - بيروت.

١٣٦ - منهاج السنة النبوية فى نقض الشيعة والقدرية - لشيخ الاسلام أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية الحرانى الدمشقى الحنبلى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٢٧ - المنيـة والأمـل - لأحمد بن يحيى المرتضـى - اعتنى بتصحيحه توما ارنلـد - دار صادر - بيروت.

١٢٨ - المهذب في اختصار السنن الكبير - للامام الحافظ أحمد بن الحسين بن على البيهقي - اختصار المحدث محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي - حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الأستاذان : حامد ابراهيم أحمد ومحمد حسين العقبى . الناشر : زكريا على يوسف - مطبعة الامام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة بالقاهرة .

١٣٩ - موجز تاريخ الحضارة ، حضارات العصور القديمة - تأليف الدكاترة نورالدين حاطوم ، ونبيه عاقل وأحمد طرابيشي وصلاح مدني أعضاء قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة دمشق - مطبعة الكمال ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

١٤٠ - موسوعة الملل والنحل - لمؤرخ الأديان والمذاهب في القرون الوسطى : أبي الفتح الشهرستاني - مؤسسة ناصر للثقافة .

١٤١ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام - د / سامي على النشار . دار المعارف - مصر - ط : ٨ .

١٤٢ - نقد العلم والعلماء (أو : تلبيس ابليس) للامام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزى البغدادى (توفى ٥٩٧ هـ) ادارة الطباعة المنيرية - مصر .

١٤٣ - وفيات الأعيان وانباء أنباء الزمان - لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ)

تحقيق : د / احسان عباس.

اصدار : دار الثقافة - بيروت - لبنان .

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحـــــــة
* الأساطير التى حيكت حول مولده	٦٢
* تأثره بالديانات	٦٤
* أسماء كتب مانى	٦٦
* أسماء الرسائل التى تنسب الى مانى	٦٦
* بداية دعوتـه ومدى انتشارها	٦٧
* جانب العقيدة عند مانى	٧٠
* عقيدتـه فى أصل العالم	٧١
* الشريعة عند مانى	٧٣
* عقيدتـه فى بداية الخلق	٧٦
* عقيدتـه فى نهاية الخلق	٧٧
* عقيدتـه فى المعاد	٧٩
* نهايـة مانى	٨١
- المـزدكيــــــــة	٨٤
* نسبتهـا	٨٤
* عـقيدتـه فى الأصلـين : النور والظلمـة ..	٨٥
* دعوتـه الى الاباحيـــة	٨٩
* نـهايـة مـزدك	[illegible]
* فرق المزدكيـة	٩٥
الفصل الثانـى : المصدر اليونانـى	٩٧ - ١٢٢

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحـــــة

تم بحمد اللـه وتوفيقـه ،،،

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩١	الهامش (١)	بجمـال	جمـال
٣٧٠	٦	فيقول	فسيقول
٣٧٠	٨	سقط من النص عدة اسطر وهي	فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من اراد من يلحد في تنزيله .. ويبتغي الفتنة في تاويلها وذلك ان – جعل – في القرآن من المخلوقين علي وجهين ، على معنى التسمية وعلى معني فعل من افعالهم وقوله : (الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا هو شعر وانباء الاولين وأضغاث احلام – فهذا على معنى التسمية . – قال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) يعني انهم سموهم اناثا . ثم ذكر " جعل " على غير معنى التسمية فقال : (يجعلون اصابعهم في اذانهم) ، فهذا على معني فعل من افعالهم " – وقال (حتى اذا جعله نارا) ، هذا على معنى فعل فهذا جعل المخلوقين ، ثم جعل من امر الله على معنى " خلق " وجعل على معنى غير خلق لا يكون الا خلق ، ولا يقوم الا مقام خلق خلقا لا يزول عنه المعنى – واذا قال الله جعل على غير معنى خلق ، لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى . فمما ؟ قال الله جعل على معنى خلق الى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض .... الخ
٣٩٥	٧	لوكن	لكن

ملاحظه : هناك اخطاء مطبعية غير هذه يمكن ان يدركها القارئ بسهوله لذلك تركتها .